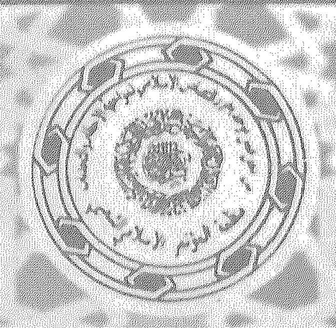
مطبوعات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي

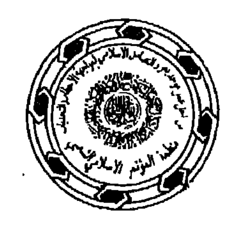


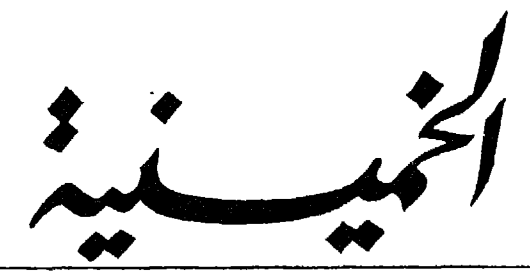
الخمينية
وصلتها بحركات الغلو الفارسية وبالإرث الباطني

الدكتور: فاروق عمر فوزي

استاذ التاريخ الاسلامي بكلية الاداب - جامعة بغداد

منشورات
منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي





وصلتها بحركات الغلو الفارسية

وبالأرث الباطني

الدكتور فاروق عمر
استاذ التاريخ الأسلامي بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

كلمة لابد منها

هؤلاء هم المنافقون
حزب الشيطان

الدكتور بشار عواد معروف
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾

صدق الله العظيم

الآيات ١٤ ـ ١٩ سورة المجادلة

يوم تبلورت فكرة الانتظام في الصحوة الاسلامية ، والاستقامة الاعتقادية وانتداب البيان للانعطاف بالدعوة العربية المؤمنة نحو الاجتهاد في الايـراد اضحت منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي ضرورة مصطفاة للامتياز بالأشيـاء.. منها هذه الافادة القويمة من الافكار الحرة والآراء والدراسات المتيـنـة ، والاستعلان ابدا في سبيل الله شرعة ومنهاجا.

ومن هذه الالتفاتة استنفار الفضلاء في العلوم والتواريخ والـمـوافـقـات التي تفتكر الحقيقة ، وتمون الاعتقاد ، وتحمي الثقافة التي تفقه بالحياة للاسهام في الصحوة والمبادرة باليقظة ، والامتثال في نهضة علمية تـتـسـع بالآراء والمعلومات فتزيد في الوعي ، وتميز الاعلام وتفقه بالناس العصر.

ولعل من اخطر هذه المساهمات ماكان للمؤرخين الأفذاذ من رصد المواقـف والسابقات ، وغيرها من شجون الشؤون ،.. وكذلك اهل الذكر والبيـان مـع الفقهاء ومن نفروا في سبيل الله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قـومـهـم اذا رجعوا اليهم ، حتى يستبين الصراط لكل ذي بصيرة امين.

* * * *

ومن هؤلاء الخيرين النجباء فاروق عمر – أحد شيوخ التاريـخ فـي آداب بغداد، الذي كان له الباع في المطارحات التاريخية والحضارية ، والموازنات الفكرية في جانبيها ؛ الايجابي الخير الذي يتحرى الكرامة التي تعهد بها الخالق الرحيم هذا المخلوق الانسان في خلقه وبعثه ،.. والآخر الـسـلـبـي الذي ينكص به عن تلك الكرامة يخسره الدنيا والآخرة !..فكان له جـمـلـة صالحة من الدراسات في هذا الشأن .

وهو حين ينفر للموضوع الذي شغل الناس وآذاهم وأساء اليهم في العقد الأخير ؛ بخلطه في الدعوة ، وقصده في الافتراق ونهجه الغالي بالابـتـعـاد والانحراف والتعطيل والتبديل . ونعني به الخمينية الاثيمة ،.. فانـمـا هو اهل لهذا النفير ، وحكم في سياسته له بالمقارنة التاريـخـيـة وسـوء التاثير ، والموازنة مع الاضطراب وانقلاب التدبير.

كانت دراسة الدكتور فاروق اولا في الدعوة العباسية التي اساء اليـهـا الشعوبيون والمستشرقون بالدراسات غير المنصفة والروايـات الـمـتـبـاعـدة والمتخالفة ، والصفات غير الامينة ، والنعوت التي وصلت احيـانـا حـد

الافتراق في نصب أثيم يستمرئ القصص والتخاريف ،.. فاعادها الى العروبة ، ونقاها من معظم ما علق بها من اوشاب الدراسات والروايات ، وكاد يخلص بها هاشمية تفقه ارادة التغيير ، مع ما اختلط به بعض دعاتها من مواقف مرحلية كشف عنها في دراسات لاحقة في الوزارة وغيرها.

وكانت تلك الدراسة مفتاحا لحسن الاعتقاد والاندفاع الحر في اعادة تقويم الاشياء والوقائع ،.. وتعريب التاريخ بامانة علمية مستوفاة ،. وهي روح الدعوة الى اعادة كتابة التاريخ التي يلهج بها القائد المهيب صدام حسين حفظه الله ورعاه.

وكانت دراساته الاخريات التي زان بها المكتبة التاريخية وزاد في انتباهة ابناء الامة الى خطورة شأن الثقافة العربية في ابعادها الفقهية والتاريخية الموازنة.

* * * *

يأخذ الكاتب المؤرخ على عاتقه مهمة الكشف عن دقائق وحقائق في الحركات الطائفية والمذهبية بانواعها المفترقة والمرتدة ، وغنوصياتها التي تذهب بها مذاهبها في الاختلاق والافتراء وما تجتره من ماض سحيق فتدلس به على الرعاع والاتباع .

يعرض لتواريخ تلك الحركات وصلتها بالتخاريف الايرانية القديمة ومحاولاتها نقل تلك الاباطيل والسخافات الى مذاهب وافكار تسمى على الدين وتزعم الذهاب فيه ،.. فيسمي تلك الفرق ويصف النحل ويركز على مسيراتها المتكررة والمتماثلة من حيث النشأة والتحول والانقلاب من ثم بالكفر الوقاح ،.. وهدفها جميعا هدم الدولة العربية الاسلامية ، نظاما وعقيدة.

ولايكاد يصف الباطنية او ينعت الغلاة او يعرف بالخطابية او ينبه على العبيديين ، او يذكر اهل التناسخ والحلول والنكاح الروحي !! حتى تمثل للقارئ العربي المسلم هذه الصورة المستعلنة اليوم والمقززة للنفوس والمثيرة للمتاعب والمصائب وسوء الامور.

وهو حين يوازن بين تحركها ودعوتها ووضع اتباعها ودعاتها الحافر على الحافر ، كأنما يحضر للناس المعاصرين المبتلين بهذه الخمينية اشباها

ونظائر من ذلك التاريخ النخر الاليم ، ويصور لهم المآل والنهاية المحتومة لكل تلك الحركات مهما استطالت بها الايام والاوضاع.

الخميني لم يكن بدعا في المجوسية واحوالها ، ولا في المزدكية واطوارها ، ولا في المانوية وتخريبها ، ولا فيما تقلب به سابقوه من صفات ونعوت حسبوها على الدين وارادوا الصاقها بالاسلام او نحلها آل البيت النبوي ،.. وانما هو يحاول ان يتجاوز تواريخهم واوضاعهم واخفاقاتهم كلها بادعاء التجديد في الدين والنبوة والتمكن من الحكم والسيطرة فلا يأخذ بتخليطاتهم فحسب ، وانما يزيد عليها من قحته وسوء ادبه وطويته مايرمي بنفسه في آتون هذه الحرب التي قصد بها العراق واهليه الامجاد ،..

وربما فاته وفات همجه الهامج ان العراق حتفهم ، والتاريخ يشهدهم نهايات المتنطعين السابقين.

* * * *

في المقدمة والفصول الاربعة الاولى يلزم مؤرخنا الفاضل نفسه بالمنهاج العلمي القاسي فلا يقارن او يشير الا بمقدار ضئيل فيعرض للمقنع الخراساني وبابك الخرمي وميمون القداح وعبيد الله ..حتى الرشتي والباب والبهاء والقادياني وغيرهم من رؤوس العفن الفكري الذي يتولى التفكير والعقل الانساني في حالات من ركودهما والتعطيل ، واحتجان الذهن او قلة الاجتهاد والبيان فيفيها تاريخا ودقة صفة ، ويجمع اليها الوانها التاريخية وفصولها المأساوية واحوالها جميعا في ذلك السلك الذي تنطع به عل مدد مما تقدمت الاشارة اليه آنفا عند التوقف والانحسار خاصة ، وفي حالات التبدل السياسي ايضا ، وما في طبيعة اولئك الاوغاد من فساد وهدم وتلويث.

ولكنه في الفصل الخامس حين يعرض للخمينية نفسها ؛ يستجمع للمقارنة ذلك الماضي كله ، ويخلع عليه من رأيه واعتقاده المتين كل صفات الحكم عليه ، وهو حتمي لامحالة.

* * * *

ما احرى الذين ظنوا بالخميني الظن الحسن يوما ما ان يقرأوا هذا الكتاب ويتدبروا فصوله ونقوله ، فانه ثروة علمية وتأريخية وانهم عندئذ سيدعون الله سبحانة وتعالى:

(ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بـه ، واعـف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين).

والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور، وآخر دعـوانـا ان الحمد لله رب العالمين ..

الدكتور

بشار عواد معروف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيـــــد

وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

الآية ١٢٠ سورة هود

رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾

الآية ٨ سورة آل عمران

يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

حديث شريف.

"أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر" حديث شريف

"لا تقاعدوا الغلاة ولا تناكحوهم فهم شر من اليهود والمجوس"

جعفر الصادق (رض)

"لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"

سفيان الثوري

لابد ان نشير بدء بأن ظهور الحركة الخمينية في ايران وما اتبعته من أساليب سياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي وما نشرته من افكار وتأويلات ومفاهيم رمزية لا يضبطها معيار شرعي او لغوي في المجال الديني العقدي ، جعل العديد من المفكرين والمؤرخين المسلمين وغيرهم يعودون الى أمهات المصادر التاريخية والعقائدية العربية الأسلامية ليعيدوا قراءة رواياتها التاريخية ويمحصوها استقصاء واستقراءً علهم يتعرفون على طبيعة هذه الحركة وأسبابها وموقعها بين الحركات الدينية ـ السياسية استنادا الى ماتقدمه مصادرنا الاصلية من معلومات موثقة عن الماضي من تاريخنا العربي الأسلامي اولا والاستنارة بمعطيات حاضرنا المعاش ثانيا.

إن الفرضيه التي تنطلق منها هذه الدراسة تحاول ان تثبت بان الخمينية ليست ظاهرة معزولة بل هي جزء من حركات دينية ـ سياسية فارسية تفجرت بين حين وآخر عبر عصور الخلافة العربية الإسلامية وبعدها. وقد اعتمدت هذه الحركات على مبادىء الغلو والارث الباطني عقائديا رغم تسترها بالاسلام وتبرقعها ببرقع الدين واستخدمت سبيل الارهاب السياسي والعنف والقوة سياسيا على الرغم من ادعائها خلاف ذلك.

لقد شهد المجتمع العربي الاسلامي في عصر الخلافة ظهور حركات دينية سياسية فارسية تتخذ الدين ذريعة لكسب جماهير الناس الى جانبها. ثم

تستخدمها لهدم النظام السياسي الاعتقادي القائم واستبدال نظام فارسي ذي قيم باطنية مغالية تحريفية يه.

لقد وجدت الحركة الخمينية المعاصرة من الارث الذي خلفته تلك الحركات الدينية السياسية الاعجمية ذلك الارث الغني بعقائد وقيم باطنية واسطورية وعنصرية وارهابية سابقة مناسبة وتجربة رائدة ومعينا تستقي منه وتحذو حذوه .

أن الحركة الخمينية مثلها مثل الحركات المغالية والباطنية والخرمية (المزدكية) شكلت تهديدا للنظام الاسلامي القائم بكل مؤسساته وما يمثله من قيم دينية واجتماعية وسياسية وغيرها وعملت على ثلاثة محاور رئيسية هي:

المحور الديني ويهدف الى صرف الدين الاسلامي عن مقاصده الحقيقية والتشكيك فيه وفي جدواه واهميته .

المحور السياسي ويهدف الى ضرب السيادة العربية الاسلامية والمتمثلة برئاسة الدولة (الخلافة) وازلحة العرب عنها .

المحور العنصري ويتمثل في شعوبية تلك الحركات ابتداءا من صدر الاسلام وانتهاءا بالخمينية ،ونعني به كره كل ماهو عربي من حضارة وارث والاستخفاف بمكانة العرب في التاريخ ومساهماتهم في التقدم البشري .

ومثلما اساءت تلك الحركات الباطنية في عصور الخلافة الى الفكر الاسلامي عموما والى صورة الاسلام الخالصة النقية والى دور العرب حملة الرسالة الاسلامية الى شعوب الارض ورعاتها الاوائل. كذلك فعلت الخمينية موظفة كل اساليب حركات الغلو والحركات الباطنية وتقاليدها في الدعوة والحركة . فكانت بذلك الوريث الطبيعي لتلك الحركات بكل تعاليمها السياسية والمذهبية واهدافها التخريبية في المنطقة .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الدراسة التي بين ايدينا هي دراسة تاريخية سياسية بالدرجة الاولى ، ومن هذا المنطلق فانها ستعير البعد السياسي لحركات الغلو والحركات الباطنية أهمية اكثر من الابعاد الاخرى! وسيكون المحور السياسي - التاريخي هو العمود الفقري الذي تستند عليه في المناقشة والتحليل والتفسير محاولة ايجاد الترابط بين المسائل

العقائدية والاهداف السياسية. والسبب الرئيسي في ذلك يعود اساسا في اعتقادنا الى ان حركات الغلو والحركات الباطنية هي في اساسها وجوهرها حركات سياسية، أما ماتبثه من عقائد وتعاليم دينية فتأتي تبريرا لمنهاجها السياسي .

وبكلمة اخرى فان هذه الحركات المغالية والمتطرفة الباطنية تشكل موقفا سياسيا مسبقا له خصائصه ثم تحاول اضفاء الشرعية على ذلك الموقف السياسي من خلال تأويل النصوص الدينية. وهي بهذا تسوغ الموقف السياسي استنادا الى الدين أو توظف المفاهيم الدينية لخدمة اغراضها السياسية. وقد كان هذا منهجها وديدنها ابتداءا من حركات الغلو الاولى في أواخر العصر الأموي مرورا بالخرمية والحشيشية الباطنية وانتهاءا بالبابية والخمينية. ففي "ولاية الفقية" مثلا يعبر الخميني عن موقف سياسي بحت ولكنه يضفي على هذا الموقف الشرعية باستخدامه مفهومات ونصوص دينية يؤولها حسبما يشاء او يزعم ... وهو بهذا لا يبتدع شيئا جديدا بل يسير على نهج زعماء حركات الغلو والباطنية الذين سبقوه .

ان العديد من العقائد التي طرحتها هذه الحركات مثل التأويل والقدسية والحلول والتناسخ والعصمة والتقية وغيرها لها جانب عقائدي نظري واخر سياسي عملي ، وفي رأينا ان هذا الجانب الاخير هو المهم تاريخيا ذلك لان العقيدة اذا ظلت في حيز النظرية دون ان يكون لها دواعي سياسية تحركها او اسقاطات سياسية تثيرها فلن يكون منها خطر يذكر. أما اذا كان العكس وهذا ما حدث بالنسبة لكل الحركات انفة الذكر ـ فان موقفها السياسي وهدفها السياسي يشكل خطرا كبيرا على الوضع الراهن. واكثر من ذلك فان هؤلاء الغلاة والباطنية وخاصة من الموالي الفرس استغلوا اسم (التشيع) وادخلو فيه العديد من المفاهيم والعقائد الفارسية او المجوسية القديمة المترعرعة في البيئة الايرانية ونسبوها زورا وبهتانا الى الأئمة الاثني عشر وبصفة خاصة في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي وما بعده. ولهذا سنلاحظ بان هذه المفاهيم الغريبة عن الاسلام الحنيف وعن البيئة العربية غدت لازمة من لوازم الحركات المغالية والباطنية وصنو الحركات الدينية ـ السياسية الفارسية وجزء لا يتجزأ من مناهجها لانها الوسيلة

الفعالة لعمليات الهدم السياسي والتخريب الديني في المجتمع العربي ـ الاسلامي .

والله نسأل أن نكون قد وفقنا في القاء الضوء على حركة من اخطر الحركات التي تعرض لها المجتمع الاسلامي عبر عصوره المتعاقبة . والله من وراء القصد وهو خير معين.

"قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" الآية ١٠٣ و ١٠٤ الكهف

صدق الله العظيم

المؤلف

بغداد ١٩٨٨

أوضاع ايران في ظل النظام الساساني ومدى تقبل ايران للدين الاسلامي

ليس لدينا معلومات تاريخية موثقة كثيرة عن اخبار الفرس وبلادهم قبل الاسلام غير ان ما استطاع المؤرخون المسلمون جمعه من اخبارهم وتاريخهم (١) يوضح على الاقل ظاهريتين بارزتين في فترة حكم الاسرة الساسانية وهي الاسرة الفارسية الاخيرة التي حكمت ايران قبل الفتح الاسلامي لها.

لقد حكمت هذه الاسرة ايران والاقاليم المجاورة لها مدة تزيد على الاربعة قرون (من ٢٢٤م - ٦٤١م) حين انهارت الدولة تحت وطأة الزحف العربي الاسلامي. أما هاتان الظاهرتان فهما :

اولا - ان النظام الساساني الذي اعلنه اردشير من بابك قام على اساس دعوة دينية وكان نجاح اردشير يرمز الى بعث تراث ايران الديني المتمثل بديانتها الزرادشتية (المجوسية). وقد عَدَّ الملوك الساسانيين اعادة الزرادشتية رسميا بعد ان اضمحلت منذ ايام المقدونيين مكسبا "قوميا" اذا صح هذا التعبير (٢).

صحيح ان هذه "الفورة" الدينية كان لها إسهامها في تثبيت أركان النظام الساساني في عهده الاول ولكن وبمرور الزمن بدأت نتائجها السلبية بالظهور. فقد غدا رجال الدين الزرادشت طبقة متميزة من طبقات المجتمع العليا في النفوذ والثراء تتحكم بمصائر المستضعفين من الفلاحين والكسبة.

كما انهم عدوا من الملاكين الكبار بعد ان منحهم الاكاسرة اقطاعات واسعة في ارجاء عديدة من البلاد [٣].

ثانياً- اما الظاهرة البارزة الاخرى فهي الطبقية الصارمة والمغلقة التي تفصل بين ابناء المجتمع الايراني الواحد. فهناك طبقة العظماء والنبلاء وطبقة رجال الدين وطبقة المحاربين وطبقة العوام ، حيث لا يجوز لافراد من طبقة معينة ان تندمج مع افراد من طبقة اخرى. وقد اكتسب هذا النظام الطبقي صرامته من تأييد رجال الدين الزرادشت له ولنهج الدولة في تثبيته [٤].

ان هذا التعاون بين رجال الدين(الموابذة) وبين الملوك الاكاسرة في العصر الساساني في ظل نظام قائم على الطبقة والعبودية ادى الى ان يكون الشاهنشاه عنوانا لنفوذ الزرادشتية في ايران ولم يبق من الدين لدى جماهير الايرانيين سوى مايعنيه من طاعة رجل واحد (كسرى) طاعة عمياء!!

طبيعة الديانة المجوسية :

أشرنا قبل قليل ان الزرادشتية هي الديانة الرسمية للساسانيين. وتنسب هذه الديانة الى زرادشت الذي عاش في ميديا (شمالي غربي فارس) ومات حوالي سنة٥٨٣ ق.م. وقد ادعى بانه نبي ارسله اله الخير ليهدي الناس الى الحق وكتب في تعاليمه كتاب الأفستا الذي شرح بكتاب اخر سمي(الزند) .

والذي يعنينا من الزرادشتية أنها ديانة ثنوية تدعى ان العالم يحكمه الهان واحد للخير (اهورا) والثاني للشر (اهرمن). ويتمثل اله الخير بالنور وقد خلق كل نافع واله الشر يتمثل بالظلمة وخلق كل ماهو مضر في العالم. والنزاع سجال بين الخير والشر الا ان الفوز النهائي لاله الخير. وترى الزرادشتية ان الانسان مخير وعليه وحده اختيار أي السبيلين يسلك في حياته الخير ام الشر. على ان الزرادشتية تحولت عن طريق الموابذة من رجال الدين الى مؤسسة كبيرة على طراز الكنيسة في العصور الوسطى الاوربية لها مصالحها الدنيوية الكبيرة حيث توظف الدين لخدمة المصلحة الدنيوية للموابذة والاكاسرة .

وبعد حوالي ثمانية قرون ظهرت المانوية حركة اصلاحية للزرادشتية.

وتنسب هذه الديانة الى ماني الذي ولد ايام سابور بن اردشير حوالى سنة ٢١٥ م. وكانت تعاليمه توفيقا بين الزرادشتية والنصرانية فهي زرادشتية منصرة. وتتفق المانوية مع الزرادشتية في الثنوية. ولكن ماني عدّ الحياة الدنيا شرا لابد من انقضائه فدعا الى الاعتزال والرهبنة وحرم النكاح لكي يستعجل الفناء البشري في الوقت الذي لم تدع الزرادشتية الى الرهبنة وحللت زواج الرجل بأمه واخته وابنته وهي عادة فارسية قديمة حرمها الاسلام. ان هذه المانوية هي ما اطلق عليه المسلمون فيما بعد (الزندقة) .

وفي سنة ٤٨٧ م ظهر مزدك في بلاد فارس ودعا الى ثنوية جديدة ولكنه دعا الى الاباحية في الاموال والنساء ، كما اختلف مع المانوية حين دعا الى حمل السلاح والقوة ضد النظام الساساني. ويلاحظ في المزدكية انها ديانةٌ فوضوية اباحية دعت الى مشاعية الاسرة والثروة في المجتمع وكانت رد فعل على الاضطهاد والتمايز الاجتماعي الاقتصادي الذي عانى منه المجتمع الايراني. وقد استمرت هذه الديانة بعد الفتح الاسلامي تدعو الى عقيدتها وتحمل السلاح ضد الخلافة ، وغدت تسمى في العصر العباسي (الخرمية). وكان البعد السياسي في الحركات الخرمية واضحا على الرغم من تبرقعها بالدين ورفعها شعارات الاصلاح ومحاولتها التوفيق بين المجوسية والاسلام (٥).

ان التلاحم المصلحي بين الشاهنشاهات والموابذة (رجال الدين الزرادشت) كان يستند على منفعة متبادلة ومن هنا جاءت مساندة رجال الدين الزرادشت لاجراءات الاكاسرة القمعية ضد المذاهب المجوسية الجديدة المنشقة. وفي المقابل غدا كسرى "سلطان الله في الارض" ليس لأحد ان يناقش سياساته لان سلطته تستند على "حق الملوك الالهي المقدس" الذي توارثه من ابيه وجده اذ ان اسرته تحتكر وحدها هذا النور الالهي الذي ينتقل بالحلول في اصلابها (٦).

ولعلنا هنا نستطرد ونقول بان بعض الكتاب والمفكريين الفرس من الشعوبين حاولوا ان يحشروا في المجتمع الاسلامي في عصور الخلافة امثال هذه القيم والافكار السياسية والدينية والاجتماعية المجوسية ولكنها لم تلق

قبولا ولم يقتنع بها الرأي العام العربي الاسلامي .

الاسلام وايران : (٢)

كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) قد أذن بالانسياح في بلاد العجم بعد سنة١٧هـ / سنة٦٣٨م. وقد خاضت جيوش المسلمين سلسلة من المعارك الحاسمة قصمت فيها ظهر القوة الساسانية رغم ان الفتوحات في هذه الجبهة كانت اكثر صعوبة من غيرها وان بعض الاقاليم أبدت مقاومة شديدة ولم تخضع الا لتتمرد مرة ثانية وثالثة ورابعة ويتكرر فتحها من جديد.

على ان عنف المقاومة والتعنت لم يكن يشمل كل اهل فارس ويمكننا القول بان الموقف كان واحدا من امرين :

فئة اعتنقت الاسلام لاعتقادها بمبادئه الهادية التي ستخلصها من الجبروت والطغيان السياسي والدين والطبقية الاجتماعية المغلقة .

وفئة ظلت متمسكة بعقيدتها المجوسية وهي اما "رامت كيد الاسلام بالمحاربة" والقتال او انها رأت "أن كيد الاسلام على الحيلة أنجح فأظهر قوم منهم الاسلام" أي تستروا به ورفعوا شعاراته ولكنهم كانوا يهدفون الى هدف ابعد من ذلك الا وهو "عودة الدولة الى ما كانت عليه ايام العجم" قبل الاسلام .

وهكذا فقد استمر الصراع بين القديم والجديد ، بين المجوسية والاسلام واتخذ صورا واشكالا شتى وكان هذا الصراع يختلف من اقليم الى اقليم ومن جماعة الى اخرى من بلاد فارس. ولكن المهم ان اثار هذا الصراع ظهرت واضحة في انتظام الاسلام عقيدة وفي تطور تاريخ ايران السياسي كذلك. ولا يمكن لأي مؤرخ ان يدرس الاسلام في ايران أو تاريخ ايران دون ان يفهم اولا ابعاد هذا الصراع الذي كان واضحا حينا ومستترا احيانا اخرى .

ان هذه الفئة التي تسترت بالاسلام وتبرقعت بمبادئه ورفعت شعاراته دون ان تؤمن بها هي التي تمثل التيارات المجوسية في ايران سواء كانت زرادشتية ام مانوية ام مزدكية. وقد تمثلت بحركات الغلو (التطرف الديني) التي كان جل اتباعها من الموالي **الفرس** مما يؤكد ان وراءها تنظيمات مجوسية وعناصر تخريبية تحاول اعادة "القديم الى قدمه" وخلق العديد من

المشاكل امام الحكم العربي الاسلامي .

لم تشكل هذه الحركات خطرا على الدولة العربية الاسلامية خلال القرن الاول الهجري / السابع الميلادي فالعرب "مادة الاسلام" كانوا ما يزالون امة موحدة قوية والدولة كانت قوية متماسكة .. ولكن ما ان انقضى ردما من العصر العباسي حتى اصبحت هذه الحركات اكثر خطرا على سلامة الدولة وتماسك المجتمع. فقد ظهرت (الزندقة) وهي مانوية بثوب جديد وظهرت (الخرمية) وهي مزدكية بثوب جديد كما استمرت حركات زرادشتية في بلاد فارس. هذا بالاضافة الى حركات الغلاة الباطنية المتطرفة من اسماعيلية وقرامطة وحشيشية وحروفية وغيرها. فمن المتعارف عليه لدى مؤرخي العصر العباسي ان الاقاليم الايرانية كانت اكثر الاقاليم اضطرابا وخطرا على كيان الدولة وقيمها ومثلها الاسلامية الصحيحة .

ان هذه الفئة التي تبرقعت بالاسلام هي المسؤولة عن النزعة الهدامة التي شوهت الاسلام وعرقلت سبل انتشاره واعاقته عن تحقيق اهدافه في بلاد فارس. واكثر من هذا ادخلت على المذاهب الاسلامية طقوسا وافكارا ليست من الاسلام الصحيح في شيء. وهكذا فان الاسلام وكل مذاهبه التي دخلت بلاد فارس من خوارج او شيعة او معتزلة او كرامية حرفت وبدلت لان الغرض لم يكن تبني هذا المذهب او ذاك او تطبيقه بصورته الصحيحة التي ظهرت في بلاد العرب ، بل كان القصد استغلاله ورفعه شعارا ضد الخلافة وعقيدتها الاسلام الصحيح .

ومن المؤسف حقا ان تساعد ظروف عديدة منها مايتعلق بطبيعة الفرس وتعلقهم بتقاليدهم القديمة ومنها ما يتعلق بطبيعة دياناتهم قبل الاسلام وبظروفهم الاجتماعية والاقتصادية قبل الفتح وبعده ان تكون هذه الفئة الشعوبية من الفرس صاحبة القيادة والريادة في توجيه حركة التاريخ في ايران في العصور الاسلامية الوسيطة والعصور الحديثة والمعاصرة ... وما تسلط الفئة الخمينية على مقدرات ايران الا مثل لما أشرنا اليه.

الفصل الاول

الغلو في الدين
معناه - بداياته - أهدافه



ان الذي يعنينا في معنى الغلو هو التعريف الاصطلاحي التاريخي ، فالغلو بهذا المعنى هو التطرف وتجاوز الحد المعقول والمقبول. فقد عرف ابن خلدون الغلاة بكونهم طوائف .

"تجاوز حد العقل والايمان في القول بألوهية الأئمة اما على انهم بشر اتصفوا بصفات الالوهية او ان الإله حل في ذاتهم البشرية..."[8]

بينما يعرفهم الشيخ المفيد بقوله :

الغلاة المتظاهرون بالاسلام. هم الذين نسبوا امير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام الى الالوهية والنبوة ووصفوا لهم من الفضل في الدين والدنيا الى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد وهم ضلال كفار حكم فيهم امير المؤمنين عليه السلام بالكفر والقتل والتحريق بالنار وقضت الائمة عليهم السلام عليهم بالأكفار والخروج عن الاسلام"[9] .

ومعنى ذلك ان حركات الغلاة في التاريخ العربي الاسلامي كانت من حيث بعدها السياسي ـ وهو مايعنينا ـ حركات فارسية مرفقة هدفها ضرب الدولة الاسلامية وهدم عقيدتها الاسلام والتشكيك بالقيم والمثل السائدة في المجتمع .

لقد بدأت حركة الغلو تعمل عملها من داخل المجتمع الاسلامي ومنذ العصر الراشد . ولعل بداياتها الأولى ظهرت مع مايسمى بالسبئية و سواء صح وجود شخصية بأسم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تستر بالاسلام ظاهرا ام لم يصح. فأن الذي يهمنا هو وجود تلك الاراء والافكار المغالية والمتطرفة التي خرجت عن الاسلام الصحيح في اواخر عهد الراشديين .

فقد زعمت السبئية ان عليا حي لم يقتل ولم يمت وانما الذي قتل الشيطان تصور بصورته وتطرفت السبئية فقالت ان عليا نبي ثم غلت فيه اكثر وزعمت أنه اله. ثم نقلت السبئية الالوهية من الانبياء الى الائمة عن طريق التناسخ وقالت ان عليا والائمة من بعده الهه وبهذا خرجت عن دائرة الإسلام

ويبدو البعد السياسي في السبئية فتي هدم الاسلام الصحيح بل في تفتيت الدولة الاسلامية الفتية واثارة الفرقة بين المسلمين حيث لم يكن من مصلحتها الاستقرار والوحدة.

ففي رواية تاريخية اشارات واضحة الى انتقاص السبئية للخليفة عثمان بن عفان (رض) وسياساته واثارة الناس ضده يقول ابن حزم في عبد الله بن سبأ:

" انه لعنه الله أظهر الاسلام لكيد أهله فهو كان أصل اثارة الناس على عثمان رضي الله عنه "(١٠)

وفي رواية اخرى يبدو دور السبئية واضحا في افساد الاتفاق على الصلح بين الامام علي (رض) وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام (رض). فقد اثاروا الحرب بعد ان كان الاتفاق على حسمها قد تم. تقول الرواية

"واقبل القوم وامامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح"(١١)

فلم يكن من مصلحة السبأية الصلح والوفاق وتم ماارادت وحدثت موقعة الجمل. ولا بد لنا ان نشير بان هذا الذي ابتدعته السبئية في تجريح الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والتعريض بهم بالباطل يحد منطلقا خطيرا احدث شدخا كبيرا في المجتمع الاسلامي واثار الفرقة بين المسلمين ظلت اثاره حتى يومنا هذا،وما تعريض الخمينية بأصحاب رسول الله (ص) والتطاول عليهم بالباطل الا مثل واضح لما نقول وبرهان على الاصول التي استقت منها هذه الحركة المغامرة عقيدتها المغاليةالباطنية .

استمرت حركة الغلو في النشاط والتبلورفي العصر الاموي وخاصة في مجتمعات المدن والامصار التي يكثر فيها الموالي. وقد ظلت حركة الغلو تركز عملها على ذات المحورين وهما هدم الدين وتفتيت المجتمع وبذر الخلاف بين فئاته. ففي رواية :

"لم تقبل بنو الارقم من كندة ان تقيم في الكوفة حيث يشتم عثمان فرحلت الى الجزيرة وخرجت معهم بنو احمر بن عمرو وبعض بني الحارث بن عدي وبنو الاخرم من بني حجربن وهب." (١٢)

ولاشك أن ذلك يدل على استمرار دور السبئية الهدام ، بل انها استغلت الفرصة الجديدة التي واتتها بظهور المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة سنة٦٦هـ / سنة٦٨٥م فتغلغلت في صفوفه تبث اراءا مغالية جديدة امعانا في الهدم الإعتقادي والسياسي على حد سواء. ومن هنا تكمن أهمية الرواية التي تصف أتباع المختار بكونهم خليطا من السبأية وعبيد اهل الكوفة والموالي الذين تزعمهم كيسان مولى بجيله وصاحب شرطة المختار الثقفي في الكوفة وسموا (بالكيسانية) نسبة اليه. ويبدو الضعف في حركة المختار الثقفي منذ البدايات الاولى لها اذ لم يستطيع ان يحفظ التوازن بين الجناح المتطرف (الغلاة) الكيسانية وبين الجناح المعتدل من القبائل العربية من اهل الكوفة الذين ايدوه وسموا أنفسهم بالمختارية نسبة اليه. (١٣)

الكيسانية :

تمثل في عقيدة الكيسانية العديد من الاراء المتطرفة والبدع التي جعلت منها الحركة السياسية الدينية الاولى التي بلورت عقيدة الغلو في المجتمع الاسلامي. ومن هنا جاء ربط كتاب الفرق بين السبئية والمختارية او الكيسانية. ولعل اول ظاهرة تجلب الانتباه هو تستر الحركة وراء الائمة العلويين من آل البيت فقد رفعت شعار الثأر للحسين بن علي (رض) وعمل المختار الثقفي على كسب تأييد علي بن الحسين (زين العابدين) دون جدوى فانتقل الى الادعاء بأنه يعمل من أجل محمد بن علي بن ابي طالب (محمد ابن الحنفية). ومهما كان موقف ابن الحنفية من حركة المختار الثقفي فتان

المتعارف عليه انه تبرأ من المختار وعقيدته بعد افتضاح غلوه وتطرفه .

لقد زعم المختار واتباعه من الكيسانية ان محمدا بن الحنفية مهدي وهو الذي أمر المختار بأخذ ثأر الحسين (رض). ثم ادعوا القول بأن ابن الحنفيه هو وصيّ علي بن ابي طالب (رض) وليس لأحد من أهل بيته ان يخالفه في أمر من الأمور. وظهر بينهم القول بأنه (الامام المنتظر) وهو حي لم يمت وسيعود ليملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وبهذا فلم يسلموا بوفاته سنة ٨١هـ/سنة ٧٠٠م بل انتظروا رجعته. وكانت فكرة الرجعة قد ظهرت اول ماظهرت عند السبأية بعد مقتل الامام علي (رض) .

كما جور المختار الثقفي والكيسانية (البداء) (١١٣) على الله سبحانه وتعالى فقد أدعوا بأن الله يغير آراءه وقراراته. فاذا كان الله يعدل عن رأي الى رأي اخر يخالفه ، فان الامام او من ينوب عنه يستطيع أن يغير قراراته. وبهذا استعمل الغلاة هذه الفكرة لأول مرة لتبرير مواقفهم وتقلباتهم الفكرية والسياسية. واكثر من ذلك فقد زعمت الكيسانية ان عليا واولاده الثلاثة أنبياء يحيطون بالعلوم كلها ويفسرونها بالتأويل .

ان كل هذه الافكار التي ابتدعتها الكيسانية من رجعة وبداء وتأويل وتناسخ تخرج دون شك الكيسانية من دائرة الاسلام الصحيح ، الا ان الاخطر هو البعد السياسي الذي مثلته في ذلك الوقت خاصة حين ادعى المختار الثقفي انه مرسل من الامام الوصي ابن الحنفية . فهو بهذا المعنى (نائب الامام). وهكذا حمل الكيسانية المختار الثقفي الى الادعاء بالنبوة مما جعله يزعم ان الوحي ينزل عليه. ووصفوه بأنه حجة هذا الزمان. وقد تمادى المختار الثقفي حين ابتاع كرسيا ادعى انه للامام علي بن ابي طالب (رض) وعين له سدنة ورسم طقوسا. بل اشاع بين اتباعه انه نبي تتصل به الملائكة وكان لجبريل وميكائيل كرسيان في مجلسه وقد استعمل السجع في اقواله ليؤثر على مشاعر انصارهوكان يطلق حمامات بيضاء في معاركه مدعيا انها الملائكة جاءت لتنصره على عدوه.وحين يرى بان افعاله واقواله لا تؤتي نتائجها المرجوة يلحقها (بالبداء) على الله تعالى.

وهكذا اصبح المختار الثقفي ممثلا للامام محمد بن الحنفية وله سلطاته

كافة وصفاته التي وصفتها الكيسانية.

وتتضح درجة الغلو التي وصلت اليها هذه الفرقة وزعيمها المختار من الرسائل التي ارسلها الى فئات من اهل البصرة الذين لم ينضموا اليه يهددهم فيها بادخالهم جهنم ان لم يطيعوا ،وبضمان الجنة اذا اطاعوه!!.

ولعل هذه الممارسات الكيسانية في القرن الاول الهجري تذكرنا بممارسات مماثلة للخمينية في القرن الخامس عشر الهجري. فقد تسترت الاولى كما تسترت الثانية وراء امام من اهل البيت اسبغت عليه صفات وقدرات تجاوزت حدود المعقول معتبرة اياه مهديا منتظرا سيعود ليقيم دولة العدل بل غيبة دون موت. ولعل الهدف السياسي واضح في كلتا الحركتين التي فسحت في المجال لزعمائها السياسيين ان يتصرف ويتكلم باسم الامام الغائب وهكذا انتقل الثقل السياسي الى هؤلاء الادعياء الذين ينوبون عن الامام. وقد اشارت رواية تاريخية عن الكيسانية بوضوح ان هدفها هو :

"يرجون دولة تكون في بعث يكون قبل قيام الساعة" "الذهبي ، تاريخ الاسلام ٣٢٩،٣" وهذا ما حاولت الكيسانية تحقيقه وما عملت الخمينية على تحقيقه في ايران .

الهاشمية :

بعد اندحار المختار الثقفي أمام مصعب بن الزبير في معركة السداز ومقتله سنة٦٧هـ/سنة٦٨٦م وما اعقب ذلك من سيطرة عبد الملك بن مروان على العراق وتوليته الحجاج بن يوسف الثقفي على الاقليم ثم مبايعة محمد بن الحنفية لعبد الملك بن مروان ثم وفاته سنة٨١هـ/سنة٧٠١م... كل ذلك كان له اثره على تحول حركات الغلو وخاصة الكيسانية(١٤).

لقد انشقت الحركة الكيسانية الى فرعين رئيسين :

الاول: وقف عند محمد بن الحنفية ولم يعترف بموته واعتقد انه حي يرزق اختفى وانه المهدي الذي سيرجع ليملأ الارض عدلا وغلوا في صفاته غلوا كبيرا وهذه الفرقة الواقفة هي الكربية .

اما الفرع الثاني فقد قطع بموته ونقل الامامة الى ابنه ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية. وهؤلاء هم الهاشمية الذين يمثلون الاغلبية من

اتباع ابن الحنفية .

لقد اعتقدت الهاشمية ان روح الله حلت في الائمة اعتبارا من علي بن ابي طالب (رض) حتى ابي هاشم عبد الله. كما ادعت بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل وان العلم الذي استأثر به الامام علي (رض) ابنه محمد بن الحنفية انتقل الى ابي هاشم بعد ان افضى به اليه ابوه محمد بن الحنفية وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا .

ولابد من الاشارة الى هذه الظاهرة الجديدة في حركة الغلو والتي تؤكد على ان الامامة تنتقل من الامام الى خليفته بالعلم لا بالنسب او النص . فكل من احاط بعلم الامام من تلاميذه يكون اماما او نائبا عنه بعده. وقد كان لحركة الغلو هدف سياسي من وراء هذه البدعة الجديدة او التطور الجديد في الفكر المغالي المتطرف وسنلاحظ ان عددا من الفرق الغالية في العصر العباسي نقلت الامامة من العلويين او العباسيين الى رجالات من الفرس وهذا هو بيت القصيد !!

وهكذا تدعى الخمينية عن طريق (ولاية الفقيه) بأن المجتهد الذي احاط بعلم الامام الغائب المعصوم تحول الى حاكم مطلق يباشر السلطة بأسم الامام ويورع فتاواه في الامور السياسية والدينية كافة !! وهذه مسألة تعودت عليها العقلية الفارسية قبل الاسلام وحاولت بعد انتشار الاسلام في ايران ان تقولب الاسلام بنفس القالب الفارسي .

لقد تعرضت الهاشمية الى سلسلة من الانشطارات في داخل الحركة فأنشقت عنها فرق عديدة خالفتها في شخص الامام بعد ابي هاشم عبد الله واضافت الى فكرة الغلو مسائل وبدعا جديدة خارجة عن دائرة الاسلام الصحيح .

كان عام ٩٨هـ/سنة٧١٦م المنعطف الجديد في حركة الغلو ففي هذه السنة توفي ابو هاشم عبد الله بن محمد الحنفية في الحميمة في طريق عودته من بلاد الشام الى الحجاز بعد زيارته لسليمان بن عبد الملك. وتشير روايات تاريخية انه التقى في الحميمة بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى له جاعلا اياه اماما للحركة السرية الهاشمية ، فلم يكن لأبي هاشم ولدا يوصي له ولهذا أمر اتباعه باتخاذ محمد العباسي لانه تلميذه وقد اخذ العلم منه. وهكذا انتقلت زعامة الحركة الهاشمية الى العباسيين

واخذت تسمى بالعباسية حينا والراوندية حينا اخر والخداشية حينا وكلها مسميات لفرقة واحدة. وهكذا تسترت هذه الفرقة المغالية وراء العباسيين هذه المرة ولكنها احتفظت بخصائص التطرف والغلو التي كانت موجودة في الحركة الهاشمية القديمة.

ولكن الراوندية لم تكن الفرقة الوحيدة التي انشطرت اليها الحركة الهاشمية. بل ان هذه الفرقة تفرعت الى خمس فرق جديدة على اقل تقدير هي : الراوندية والبيانية والحربية والجناحية واخيرا الرزامية التي تفرعت عن الراوندية وانشطرت من ثم الى فرق عديدة اخرى هي الابومسلمية والفاطمية (نسبة الى فاطمة بنت ابي مسلم) والمقنعية .

وسيأتي الكلام عن الراوندية وانشطاراتها في الفصل القادم حين نعالج حركة الغلو خلال العصر العباسي الاول. اما الآن فسنتابع الفرق المغالية الاخرى التي نشطت في اواخر العصر الاموي :

البيانية :

وتنسب الى بيان بن سمعان التميمي الذي زعم انه وصي ابي هاشم عبد الله وقال بالحلول بمعنى ان روح الله حلت في علي بن ابي طالب ثم في ابنه محمد ثم في ابنه ابي هاشم ثم في بيان. ويبدو ان حركته في بداية الامر كانت سرية خاصة في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق ثم اظهرها في ولاية خالد بن عبد الله القسري (١٠٥هـ - ١١٩هـ/٧٢٣ - ٧٣٧) وقد انتقل بيان التميمي من الوصية الى الادعاء بالنبوة ثم - على حد قول بعض الروايات - بالالوهية. يقول البغدادي أن من البيانية من زعم:

"أن بيانا كان نبيا وانه نسخ شريعة محمد (ص) ومنهم من زعم انه كان الهاً وذكر هؤلاء ان بيانا قال لهم ان روح الله تناسخت في الانبياء والائمة ثم انتقلت اليه فأدعي لنفسه الربوبية على مذاهب الطولية"(١٥)

وقد استغل بيان مبدأ التأويل ففسر آيات القرآن الكريم لتأييد حركته وفق مقتضيات الموقف السياسي فمادام ابو هاشم قد اوصى له ونصبه اماما بالنص وان روح الله قد حلت فيه فان من حقه وحده تأويل القرآن خاصة.وقد

زعم ان القرآن يعنيه حين اشار هذا بيان للناس". (١٦)

ان الآراء التي نادى بها بيان بن سمعان من تأويل وطول وتجسيد الألوهية كلها آراء متطرفة خارجة على الأسلام بيد ان الذي نود التأكيد عليه هو ادعاؤه بالوصية من الأمام ابي هاشم وهي فكرة اصبحت فيما بعد ذات خطر كبير لأنها استغلت من قبل الغلاة الطموحين لتنصيب انفسهم زعماء وأئمة وجب طاعتهم وأضفت الصفة الشرعية عليهم.

لقد استطاع خالد القسري ان يلقي القبض على بيان ثم أمر بصلبه في الكوفة وقد قابله قبل تنفيذ الحكم مستهزئا بآرائه :"ان كنت تهزم الجيوش بالأسم الذي تعرفه فاهزم به اعواني عنك "!! والمعروف ان بعض الروايات تشير بان بيانا بن سمعان ادعى القدرة على الاعمال الخارقة وانه يفعل ذلك بالأسم الأعظم ويقول البغدادي ان بيانا زعم انه يهزم العسكر بالاسم الاعظم.

المغيرية:

وتنسب الى المغيرة بن سعيد العجلي (١٧) الذي كان معاصرا لبيان بن سمعان ومولى مثله. وقد ظهر في ولاية خالد القسري كذلك حيث قبض عليه وصلبه سنة ١١٩ هـ / سنة ٧٣٧ م في واسط.

وقد اتخذ المغيرة من الدعوة الى امامة محمد الباقر بن علي زين العابدين ستارا لحركته المتطرفة وحين توفي الباقر سنة ١١٩هـ ادعى بانه اوصى له ونصب نفسه اماما ولكنه كالعادة انتقل من الأمامة الى النبوة ثم الى الالوهية تقول رواية تاريخية:

" ان المغيرة ادعى لنفسه الأمامة بعد محمد (الباقر) بن علي بن الحسين وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه وغلا في نفس علي".

وفي رواية اخرى ان المغيرة زعم :

"انه نبي وان يعلم اسم الله الأكبر.. وزعم انه يحيي الموتى بالاسم الأعظم".

وتمادى اكثر حين استحل المحارم وغلا في علي (رض) غلوا كبيرا فجعله فوق البشر ، يقول ابن عبد ربه عن الاعمش انه قال:

"دخلت على المغيرة فسالته عن فضائل علي فقال :انك لا تتحملها. قلت: بلى. فذكر ادم صلوات الله عليه فقال: علي خير منه. ثم ذكر من دونه من الأنبياء فقال: علي خير منهم حتى انتهى الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال: وعلي مثله فقلت كذبت عليك لعنة الله ، قال: قد اعلمتك انك لا تتحملها". (١٨)

وانحرف المغيرة بن سعيد حين عمد الى تاويل القرآن وتفسير كلماته على انها ترمز الى رجال معينين وتشنيعه بصحابة رسول الله (ص) وادخاله الكثير من العقائد الشرقية القديمة في مذهبه مثل عقائد المانوية المجوسية وخداعه الناس بالسحر حين ادعى انه:

"يحيي الموتى بالأسم الاعظم واراهم اشياء من النيرنجات والمخاريق"(١٩)

وتعد حركة المغيرة اول حركة منظمة ومتبلورة في سلسلة حركات الغلاة بالعراق مما دعا السلطة الاموية الى التشدد معها على الرغم من قتل المغيرة العجلي ودعاته السبعة "الوصفاء" سنة ١١٩ هـ فان حركته لم تنته اذ تزعمها بعده صابر الجعفي بالكوفة ثم جاء بعده بكر الأعور القتات الهجري.

المنصورية:

نسبة الى ابي منصور العجلي(٢٠) وهو من عبد القيس ولعله اول عربي بالعراق يقود حركة مغالية متطرفة ، اذا تركنا جانبا حركة المختار الثقفي التي اشتملت على جناح متطرف غالى في عقيدته. وقد سار ابو منصور على خطا المغيرة في التستر وراء امامة محمد الباقر على الرغم من ان الباقر تبرأ منه في الحال. ثم ادعى ابو منصور بالوصية من الباقر بعد وفاة هذا الاخير ثم زعم انه نبي ترسل !!

لقد كان ابو منصور تلميذا للمغيرة بن سعيد ونادى باغلب الآراء المتطرفة التي نادى بها المغيرة. ويبدو كذلك انه بدأ حركته والمغيرة لا يزال على قيد الحياة ، ولكن نشاطه السياسي والديني بدأ بالتصاعد بعد وفاة الباقر سنة ١١٧هـ ثم مقتل المغيرة سنة ١١٩هـ حيث اصبح بامكانه

ان يدعي الوصاية من الباقر ووراثة الحركة بعد المغيرة بن سعيد ولكن والي العراق في العصر الاموي يوسف بن عمر الثقفي استطاع القبض عليه مع زمرة من انصاره خاصة من قبيلة كندة وصلبه بعد سنة ١٢٠هـ بقليل.

وكانت عقيدة المنصورية هي نفس عقيدة المغيرية على ان البدعة الجديدة التي جاء بها ابو منصور العجلي هي فكرة "النبوة المستمرة" بمعنى ان الأنبياء والرسل لا تنقطع ابدا وانهم يظهرون في جميع العصور. وهذه الفكرة لا تشكك فقط بما جاء به الاسلام من ان الرسول محمد (ص) هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، بل اخطر من ذلك سياسيا هو انها تسوغ لأبي منصور وغيره من الغلاة الأدعاء بالنبوة ونشر عقائدهم الباطلة على اساس النبوة : يقول الأشعري ان المنصورية قالت:

"ان رسل الله لا تنقطع ابدا ، فقالوا بتواتر الرسل وان الرسالة لا تنقطع" وقد اثرت هذه الفكرة في الفرق الأخرى التي جاءت بعد المنصورية مثل الجناحية انصار عبد الله بن معاوية الطالبي ، والأسماعيلية الذين قالوا بان النبوة فيض دائم ومستمر ، وكذلك القاديانية والبهائية. كما استغل ابو منصور التأويل لضرب الاسلام فأحل النساء والميسر والخمر والدم ولحم الخنزير زاعما ان هذه المسميات هي اسماء رجال في معناها الباطن حرم الله تعالى ولايتهم. وزعم نفس الزعم بالنسبة للفرائض من صلاة وزكاة وصيام وحج فاسقطها عن المسلم به !!

اما البدعة الجديدة الأخرى التي اضافها ابو منصور الى عقيدة المغيرية فهي الأرهاب عن طريق الخنق. فقد اوضح ابو منصور لأتباعه ان القضاء على مخالفيهم في المذهب انما هو واجب ديني ، يقول النوبختي:

" وكان (ابو منصور) يأمر اصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فان هذا جهاد خفي"!!

وقد ظهر الخناقون المنصورية في اواخر العصر الأموي في العراق واستفحل امرهم في العصر العباسي اذ يصف الجاحظ اساليبهم الأرهابية التي اثارت الفزع والقلق بين الناس. يقول الأشعري عن الخناقين "استحلوا خنق مخالفيهم واخذ اموالهم" . ويبدو ان بعض قبائل الكوفة قد اذعنت لهم خوفا

او طمعا ولذلك يقول ابن قتيبة. (٢١)

" ان اكثر الخناقين بالكوفة من كندة".

ويبدو ان العديد من اتباع المغيرة بن سعيد التحقوا بخلفه ابي منصور العجلي وتبنوا آراءه في التطرف والأنحراف والأرهاب.

الجناحية:

وينسبون الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب "جعفر الطيار" ذي الجناحين ومن هنا جاءت تسميتها بالجناحية. (٢٢) وقد قام عبد الله بن معاوية بحركة ضد الدولة الأموية في اواخر ايامها وسيطر بعض الوقت على الكوفة ثم انسحب الى بلاد فارس وكون كيانا سياسيا لم يدم اكثر من ثلاث سنوات حيث قضى عليه الامويون وقتلوا عبد الله بن معاوية سنة ١٣٠ هـ - سنة ٧٤٧م.

على الرغم من ان عبد الله بن معاوية لم يكن علويا بل طالبيا فقد تسترت وراءه فرقة من فرق الغلاة وعملت باسمه بل اكثر من ذلك استطاعت ان تستغل طموحه وتكسبه الى جانبها وهي الفرقة التي سميت بالجناحية وهكذا فان جناحا واضحا في حركته كان يدين بالغلو والتطرف في الدين على نمط الجناح الراوندي - الخداشي في الثورة العباسية . وان عبد الله بن معاوية كان على علم به الا انه تساهل معه او شجعه وتركه يعمل من اجل كسب اكبر عدد ممكن من الأنصار الى حركته السياسية تماما كما كان موقف العباسيين من الراوندية اثناء فترة الدعوة السرية العباسية .

ان الجناحية من ناحية العقيدة تمثل كل خصائص الغلو والتطرف حين اكدت على مبدأ التناسخ والحلول ومعارضة القرآن والقدسية وان الدين طاعة رجل لأن معرفة الأمام تحل الانسان من الفرائض الدينية وانكرت البعث وقامت بتأويل آيات القرآن حسب مقتضيات الموقف السياسي وبهذا انحرفت عن الأسلام.

وتعد الجناحية فرقة متفرعة عن الهاشمية تعتقد بان ابا هاشم عبد الله قد اوصى بالامامة من بعده الى عبد الله بن معاوية واعتقدت بامامته

ويتفق كتاب الفرق على ان الجناحية اعتقدت بالحلول والتناسخ والعلم

آلالهي فقد زعم عبد الله بن معاوية "ان العلم ينبت من قلبه كما تنبت الكمأة". ويضيف المقريزي (٢٣) ان المناحية: " استحلوا الخمر والميتة ونكاح المحارم وانكروا القيامة". وفي رواية اخرى ان الجناحية لا يرون وجوب الصلاة والزكاة وغيرها من الفرائض لان من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج.

واشار الرازي في كتابه الزينة ان هذه الفرقة انقسمت بعد موت عبد الله بن معاوية سنة ١٣٠ هـ الى قسمين : الاولى وقفت عنده وعدته حيا لا يموت وسيرجع وانه مقيم بجبال اصبهان وهو القائم المهدي.

والثانية قطعت بموته وادعت امامة زعمائها الجدد ومنها الحارثية اتباع اسحق بن زيد بن الحارث.

* * * *

يتبين من هذا الفصل ان نزعة الغلو نمت وترعرعت بين المسلمين من غير العرب (الموالى) ، ومع انها كانت دعوة غير منظمة بدأت بالسبأية التي حاولت بث التفرقة والانشقاق في صفوف الامة ومن ثم هدم كيانها السياسي وعقيدتها الاسلامية من خلال التستر وراء الولاء للامام علي بن ابي طالب (رض) والدعوة الى الوهيته ومهديته ورجعته .

الا ان هذه النزعة المغالية والمتطرفه بدت اكثر تنظيما في حركتها واكثر بلوى في عقيدتها خلال العصر الاموي ومن خلال نشاط الفرقة الكيسانية وفروعها وكذلك فرق الغلاة الاخرى المستقلة عن الكيسانية مثل البيانية والمغيرية والمنصورية. وقد تسترت كل هذه الفرق المغالية وراء واحد من الائمة العلويين على الرغم من تبرء الائمة من زعماء هذه الفرق وتكفيرهم لهم.

ولعل نظرة عامة الى عقائد الغلاة تؤكد امرا واحدا هو هدم الدين الاسلامي واحلال شريعة جديدة او دين جديد لا علاقة له بشريعة محمد (ص) بل ينسخ تلك الشريعة ويبدلها تبديلا كاملا. فقد دعت فرق الغلاة الى الحلول حيث زعموا ان روح الله تحل في الانبياء والائمة او تتناسخ فيهم حتى تنتقل الى زعماء الغلاة وبهذا يدعون الربوبية لانفسهم. لقد اصبح (الحلول والتناسخ) سمة مشتركة لمذاهبهم جميعا وقد جرهم هذا الى القول

بعدم البعث اوالقيامة لان العقاب والثواب في هذه الدنيا حين تتناسخ الروح فتخرج من جسم وتدخل في جسم آخر غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر. ولم تقطع العديد من فرق الغلاة بموت ائمتها او زعمائها بل ادعت انهم احياء اختفوا وسيعودون مستقبلا . وقد مكنت (عقيدة الرجعة) هذه لزعماء الغلاة التصرف بحرية باسم الامام لحين عودته!!. كما زعمت فرق الغلاة ان النبوة لا تنقطع بل هي مستمرة ، وان الرسل تتواتر ضمن سلسلة دورية أبد الدهر. وظهرت في هذه الفترة ايضا النزعة الأباحية لدى الغلاة انطلاقا من الفكرة التي عملوا على نشرها والتي مفادها "من عرف الامام فليصنع ما شاء فلا اثم عليه" وهكذا جوز لهم زعماؤهم التحلل من الفرائض الدينية والنواميس الخلقية واستحلال المحارم.

ان هذه العقائد التي ظهرت في حركة الغلاة خلال فترة صدر الاسلام والعصر الاموي لم يكن هدفها ان تتقوقع ضمن البودقة الدينية بل ان الهدف الاكبر والاخطر هو انعكاساتها على/ الميدان السياسي وارتباطها بتطلع حركة الغلاة الى اقامة دولة تكون بديلة للدولة العربية الاسلامية وتحويل رئاستها عن العرب الى العجم .. وهكذا فكلما تقادم الزمن بحركة الغلو عبر العصور المتتابعة كلما كشف اكثر فاكثر ان لهذه العقائد البعيدة عن الاسلام التي حاولت ترويجها في المجتمع كان لها دواعي سياسية حركتها واسقاطات سياسية اثارتها. وان ما ذهبنا اليه سيتضح بصورة بينة في العصر العباسي والعصور التالية له. ولعل الاهداف السياسية للحركة الخمينية واطماعها التوسعية على حساب العراق ودول الخليج العربي ، بل وابعد من ذلك في لبنان وتونس وغيرها باتت واضحة لكل ذي بصر وبصيرة.

الهوامش:

(١) الثعالبي: غرر سير ملوك الفرس ، طهران ، ١٩٦٣ كذلك ينقل الطبري والدنيورى والمسعودي بعض اخبار الفرس في الكتب التي الفوها.
(٢) كريستينن ، ايران في عهد الساسانيين ، القاهرة ، ١٩٥٧ ص٧٤.
(٣) وهذا يوضح ان من تقاليد المؤسسة الدينية في ايران المجوسية زمن الساسانيين ، التدخل في الادارة والسياسة والاقتصاد ، وعلى ذلك يمكن القول بان فرضية خميني حول (ولاية الفقيه) مستقاة في منابعها في الفكر المجوسي الزرادشتي الذي جعل لرجال الدين نفوذا واسعا في المجتمع وشؤون الحكم. راجع كرستنسن ص٣٥٨.
(٤) المصدر السابق ، ٧٥ فما بعد ، ٣٠٢ فما بعد.
(٥) حول هذه الديانات ، راجع المصدر السابق.
(٦) كان الفرس يرون ان ملوكهم منحدرين من اصلاب الآلهة وهم تجسيد لروح الله التي تنتقل من الملوك الى ابنائهم في ٢٠الاسرة الآلهية الملكية المختارة. وفي تفسير آخر ان النور الآلهي هو الذي ينتقل في أصلاب الملوك الفرس من جيل الى جيل ، (ولها وزن ، احزاب المعارضة ٢٤٠) عرفان عبد المجيد ، دراسات.. ، ص٢٢.
(٧) حول المصادر : راجع فاروق عمر ، العراق والتحدي الفارسي ص٩ فمابعد.
(٨) المقدمة ، ص٨٣٢.
(٩) تصحيح عقائد الامامية ، ٦٣ وقال فيهم الصدوق القمي استاذ الشيخ المفيد:" اعتقادنا في الغلاة والمفوضة انهم كفار بالله جل اسمه وانهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع اهل البدع والأهواء المضلة.." وهذا يوضح موقف الشيعة المعتدلين من الغلاة ، راجع اعتقادات الصدوق ، ٣٩.
(١٠) ابن حزم ، ج٢ ص١١٥.
(١١) الطبري ، تاريخ ، القسم الأول ، ٣١٩١ طبعة ليدن.
(١٢) راجع النص في مخطوطة الأنساب لهشام بن محمد الكلبي ورقة ٢٥.

(١٢) حول تفاصيل حركة المختار ومصادرها ، راجع: فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ص٣٣ فمابعد.

(١٢أ) حول اصل نظرية البداء عند الغلاة وظهورها ، يختلف كتاب الفرق فمنهم من يعزوها الى يوم حروراء في المعركة بين علي بن ابي طالب (رض) ومخالفيه من الخوارج حين قال بها عبد الله بن نواف (طبري ج٢ ص٢٠٦) ومنهم من عزاها الى المختار الثقفي في حركته بالكوفة ومنهم من نسبها الى ابي الخطاب السدي وفرقته الخطابية حين قال بعد انهزامه سنة ١٣٨ هـ امام العباسيين بالكوفة :" ان كان قد بدأ الله فيكم فما ذنبي؟" بعد ان كان ابو الخطاب قد وعد اصحابه بالنصر.

والبداء بمفهوم الغلاة تغيير الله تعالى القرار قد قرره سبحانه قبلا ، اي ان الغلاة يجيزون على الله تغيير رايه وهذه الحالة لا يجوز ان يوصف بها الله سبحانه وتعالى . وقد انتقل هذا المفهوم المغالي الفارسي للبداء الى بعض رجال الدين في ايران. (راجع الحيني ص٨٨، السامرائي ص١٣٤-١٣٨، مكي حمود ص٨٣-٨٦ البغدادي ص٢٢٩-٢٣٥. وقارن موقف خميني وتهربه من الأقرار بالمفهوم الفارسي المغالي للبداء. ص٩٩ في كشف الأسرار).

(١٤) فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٨٨ (الباب الاول ، الواجهة الدينية).

(١٥) الفرق بين الفرق ، ص٢١٤-٢٢٧.

(١٦) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج١ ص٥.

(١٧) راجع : ابن حزم ، الفصل ج٤ ص١٨٤. البغدادي ، الفرق ، ٢٣١.

(١٨) العقد الفريد ، ج٢ ، ٤٠٥.

(١٩) الطبري ، القسم الاول ، ١٦١٩ ، الأشعري ، ج١ ص٧ ، ٨.

(٢٠) راجع : النوبختي ، فرق الشيعة ، ص٤٣ ، ٣٥ ، الشهرستاني ، ج٢ ص١٤. الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٥٨. الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ص٢٦٤، ٢٧١. كذلك الحيني ، ص٥٠-٥٩. السامرائي ، ص٩٧-٩٩. محمد البنداري ، التشيع ، ص٣١. الشيبي ، الصلة ، ١٣٤.

(٢١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج٢ ص١٤٧. الجاحظ ، الحيوان ، ج٦

ص٣٨٩.

(٢٢) تبحث العديد من كتب الفرق في الجناحية لاحظ: الشهرستاني ص٢٩٢. الأشعري ، ص٦٧. البغدادي ، ص٢٣٥ فمابعد. كذلك الأصفهاني الأغاني ، ج١١ ص٧٠. النوبختي ، ص٣١. الطبري ، تاريخ ، طبعة القاهرة ج٥ ص٢٧٣ - ٢٨٣. فمابعد.

(٢٣) الخطط ، ج٢ ص٢٥٣.

(٢٤) الفرق بين الفرق ، ص١٥٤. كذلك الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين ص٥٨.

(٢٥) ابو حاتم الرازي ، الزينة ، ص٢٩٨ (ملحق بكتاب الغلو للسامرائي).

الفصل الثاني

حركات الغلو في العصر العباسي حتى سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٥م

لقد تمثلت حركات الغلو والتطرف في العصرين الراشدي والاموي بـفـرق السبأية والهاشمية والكيسانية والمغيرية والبيانية والمنصورية التـي دانـت بالتطرف فاشاعت مبادىء يرفضها الاسلام الصحيح الذي انزل الله تعالى على رسوله الامين (صلعم). وعلى الرغم من تستر هذه الفرق وراء الاسلام وقيامها بمحاولات توفيقية بينه وبين الديانات القديمة من مجوسية ويهودية وغيرها. وعلى الرغم من تسترها وراء الائمة العلويين فان امرها كان مفضوحا بالنسبة للغالبية من المجتمع. خاصة وان العلويين انفسهم رفضوا مـا ادعـتـه هـذه الفرق من ارتباطات علوية وفضحوا اهدافها التخريبيـة عـلـى الـعـقـيـدة والمجتمع.

كما نلاحظ في هذه الحركات كان جل اتباعها من الموالي (المسلمون مـن غير العرب) وتمركزها في اقليمي العراق وبلاد فارس وهذا مـا يـؤكـد ان وراءها تنظيمات مرتبطة بديانات شرقية قديمة خاصة مجـوسـيـة وعـنـاصـر تخريبية تحاول اعادة القديم الى قدمه فيما يتعلق بالـوضـع الـسـيـاسـي والديني.

الا ان هذه الحركات لم تشكل خطورة كبيرة في الـعـصـريـن الـراشـد

والاموي فالدولة قوية ومادتها العرب المسلمون كانوا ما يزالون امة موحدة قوية بيدها القوة الضاربة في الجيش. ولكن هذه الحركات ستجد مجالا اوسع للتحرك خلال العصر العباسي حيث زاد اختلاط العرب بالاعاجم وكثر الامتزاج الفكري والثقافي بين الثقافة العربية والاعجمية. كما بدأت قيادات العرب ورئاستها في ادارة الدولة وسياستها بالضعف التدريجي بعد العصر العباسي الاول.

وعلى الرغم من ان الثورة العباسية كانت حركة عربية في قيادتها وتنظيمها. ولكن الغلاة نجحوا في التغلغل الى الحركة في فترة الدعوة السرية وشكلوا جناحا متطرفا في الحركة العباسية. وقد عرفت هذه الفرقة خلال فترة النضال السري ٩٨هـ - ١٢٨هـ) بعدة اسماء منها العباسية والكفية والخداشية والراوندية. واحتفظت هذه الفرقة بخصائص التطرف التي اتصفت بها الهاشمية. (١)

الخداشية:

وقد انكشف التطرف في هذه الفرقة بخراسان على يد احد الدعاة العباسيين المدعو عمار بن يزيد الملقب بخداش. ويبدو ان لقبه يعني خدشه في الدين اي هدمه للأسلام. (٢) وكان بكير بن ماهان الداعية العباسي في الكوفة قد ارسل عمارا هذا الى خراسان سنة ١١٨هـ/سنة ٧٣٦م ليدعو الى العباسيين فبدأ بنشر مبادىء مغالية متطرفة وتساهل في العقيدة الأسلامية وطعمها بمبادىء خرمية (مزدكية مجوسية) فقبض عليه أسد القسري والي الامويين على خراسان وصلبه. يقول الطبري عن خداش "انه اظهر دين الخرمية ورخص لبعضهم في نساء بعض". ويرى المقدسي بأن خداش "اول من بشر بمذهب الباطنية". ويقول صاحب (اخبار الدولة العباسية) ان محمد بن علي العباسي لما سمع بأخبار خداش تبرأ منه وارسل رسالتين الى الدعاة العباسيين بخراسان قال في احداها:

".. واني اشهد الله الذي يحفظ ما تلفظ به العباد من زكي القول وخبيثه اني برىء من خداش وممن كان على رأيه ودان بدينه وأمركم ان لا

تقبلوا من احد ممن اتاكم عني قولا ولا رسالة خالفت فيها كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)"(٣)

ومع ان الامام محمد بن علي العباسي ادرك خطورة المبادىء التي دعى اليها خداش فانكرها واوضح للدعاة طريق الدعوة العباسية الصحيح وهويتها الاسلامية ، فان الواجهة المتطرفة للدعوة بقيت تعمل. وليس من المستبعد ان خداش دعا الى نفسه قبل مقتله زاعما ان الامامة انتقلت اليه بعد محمد بن علي العباسي وان روح الله حلت فيه على طريقة الغلاة الذين سبقوه. كما زعم خداش انه يحيط بالاسرار الالهية وبهذا اقام نفسه زعيما في خراسان.

وهكذا تحقق الخطر الذي يتكرر المرة تلو الاخرى في حركات الغلو وهو ان يسيء كبار الدعاة استعمال ما علموه من اسرار الحركة ويخونوا الامانة التي حملوها فيدعون لانفسهم جهارا بدلا من الدعوة للامام الحقيقي .. وهذا ما يتحقق الآن على الساحة الايرانية حيث تحول المجتهد باسم (ولاية الفقيه) الى حاكم مطلق السلطة في شخص الخميني.

الراوندية :

لقد استمر التطرف في الدعوة السرية العباسية في شخص عبد الله الراوندي وفرقته الراوندية التي ادعت ان الامامة بعد ابي هاشم انتقلت الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بوصية من الاول.(٤) وقد انجرت الامامة في اولاده من بعده بالوصية ذاتها حتى صارت الخلافة في ابي العباس. وقال بعضهم بحق الوراثة لبني العباس لأتصال النسب وقد توفي رسول الله (ص) وعمه العباس حي فهو اولى بالميراث.

وزعمت الراوندية ان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن ابي طالب ثم في الائمة واحد بعد واحد الى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن العباس وانهم آلهة واستحلوا الحرمات. فلم يزل ذلك فيهم حتى عبدوا ابا جعفر المنصور وقالوا انه الله الذي يطعمهم ويسقيهم ويميتهم .

يتضح من الروايات التاريخية التي اشرنا اليها ان الغلاة بتأييدهم العلويين تارة والعباسيين تارة اخرى والطالبيين تارة ثالثة عملوا دون

هوادة على شق الصف العربي وذلك ببذر بذور الشقاق بين الزعامات العربية وخاصة الهاشمية منها لان الرئاسة كانت محصورة في العرب وتحديدا في قريش ولهذا كان تستر الغلاة وراء هذه الزعامات بهدف ضربها ببعضها وتفريق الصف الاسلامي من خلالها!!

بعد تاسيس الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ / سنة ٧٤٩م اعلن الخليفة ابو العباس عبد الله بن محمد صراحة في مسجد الكوفة ان الدولة تسير على كتاب الله وسنة رسوله وهاجم الغلو والتطرف في العقيدة مستعملا الاصطلاح القديم له "السبئية" . ويبدو من خطبته ان جيوب الغلاة بدات تتحرك في المجتمع تنشر دعاياتها التي تشكك في احقية العباسيين في الخلافة ، وهي بهذا لا تقصد الولاء لغيرهم من آل البيت بل ان غايتها الرئيسية شق عصا الطاعة وتفتيت وحدة المجتمع. قال ابو العباس في خطبته :

" الحمد لله الي اصطفى الاسلام لنفسه فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وايده بنا وجعلنا اهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابّين عنه والناصرين له... وخصنا برحم رسول الله (ص) وقرابته ، وانبتنا من شجرته ووصفنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع ....

وزعمت السبئية الضلال ان غيرنا احق بالرياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم بم ولم ايها الناس ؟..

ياأهل الكوفة انتم محل محبتنا .. انتم الذين لم يتغيروا عن ذلك ولم يثنكم في ذلك تحامل اهل الجور عليكم حتى ادركتم زماننا واتاكم الله بدولتنا فانتم اسعد الناس بنا واكرمكهم علينا وقد زدتكم في اعطياتكم مئة درهم فأستعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبير ".

يضع هذا الخطاب للخليفة العباسي الاول النقاط على الحروف بصورة لا لبس فيها ولا ابهام ويقطع الطريق امام الغلاة من الاصطياد في الماء العكر. ومن هنا نلاحظ تمرد الراوندية في جيوب عديدة في خراسان خاصة وبلاد فارس عامة وقضاء الدولة العباسية على حركاتها بشدة في عهد ابي العباس نفسه. كما تقرب ابو العباس من كبار العلويين امثال جعفر الصادق وعبد الله بن الحسن المحض وحاول ان يكون جبهة هاشمية بزعامة العباسيين (٥)

ولكن الراوندية الغلاة استمروا في نشاطهم الديني السياسي وتستروا

وراء الخليفة الجديد ابي جعفر المنصور وزعموا احاطته بالعلوم كلها وقدرته الخارقة وربوبيته وان ابا مسلم الخراساني نبيه. ولم يكن المنصور في بداية الامر شديدا مع الراوندية مادامت معتقداتهم لا تشكل خطرا على الدولة والمجتمع ومادامت حركتهم لا تتعدى حدودهم وهذا يفسر قوله لاحد صحابته حين اشار الى تحركات الراوندية وعقيدتهم المتطرفة اذ قال المنصور مستهزئا بهم:

"دعهم يدخلون النار في طاعتنا..."!!

فالخليفة السياسي الواقعي المحنك يدرك تمام الادراك تطرف مبادئهم وخروجها عن الاسلام وان مصيرهم نار جهنم ولكنه يفضل مراقبتهم وعدم اثارتهم مادامت آراؤهم محدودة بدائرتهم ولا تشكل خطورة سياسية على الدولة او عقائدية على المجتمع.

ولكن حين تخطى الراوندية عام ١٤١هـ سنة ٧٥٨م الحدود وباتوا خطرا يهدد امن الدولة وعقيدتها وهاجموا - ربهم - الخليفة المنصور بالذات وكادوا يقتلونه ألقى القبض على ما يقرب من ٢٠٠ منهم فتمردوا وكسروا ابواب السجن وهاجموا قصر الخليفة. فخرج اليهم المنصور بنفسه وكاد ان يقتل بسهم طائش لولا تدارك معن بن زائدة الشيباني الذي تمكن ان يفرق صفوفهم وينقذ المنصور من موت محقق على يد الغلاة الفرس الراوندية. وعندئذ جمع المنصور الجند وهاجمهم فقتل منهم حوالي ٦٠٠ شخص وفرق جمعهم.

وقد انشطرت الراوندية بعد هذه الحادثة الى فروع عديدة لعل اهمها من الناحية التاريخية والسياسية:

الأولى: استمرت في ولائها وتسترها خلف العباسيين ونقلت الأمامة بعد موت المنصور الى ابنه المهدي. كما قبلوا دعوى المهدي العباسي ان الامامة من حق العباس عم الرسول (ص) وان الرسول (ص) قد اوصى بها للعباس ولأولاده من بعده. فهي حقهم الشرعي بالنص والتعيين.

الثانية: نقلت الامامة من ابي العباس الى ابي مسلم الخراساني وهي الفرقة (الابومسلمية) وزعمت ان ابا مسلم لم يقتل وانه حي تجسدت فيه روح الاله واستحلوا المحارم وزعموا رجعته.

الثالثة: قطعت بموت ابي مسلم ونقلوا الامامة الى ابنته فاطمة وسموا (بالفاطمية) نسبة اليها. كما سموا (بالرزامية) نسبة الى زعيمهم رزام بن سابق من اهل خراسان في ولاية ابي مسلم الخراساني (١٣٢هـ - ١٣٧هـ) وقد افرطوا في موالاة ابي مسلم وقالوا فيه قولا متطرفا وادعوا له المعجزات .. فهو الله وهو العالم بكل شيء ومن عرفه فليمفح ما يشاء ويتحلل من الفرائض والنواميس الخلقية!!

وقد تفرعت من هذه الفرق الحركات الدينينة - السياسية التي اشتعلت في بلاد فارس خلال العصر العباسي الاول والتي سميت بالخرمية ومنها حركة المقنع الخراساني وبابك الخرمي وغيرهما. وهنا لابد من التأكيد على ظاهرة اشرنا اليها من قبل وهي نقل الامامة الى زعامات وشخصيات فارسية وموالاتها والادعاء بنبوتها او حلول الروح الالهية فيها..ثم انخراط الغلاة الخرمية في حركات مسلحة ارهابية تحت قيادة هذه الزعامات.

الخرمية:

انضم الايرانيون الى حركات قادها زعماء من بلاد فارس مثل بها فريد واستاذ سيز وسنباذ واسحق الترك والمقنع الخراساني وبابك الخرمي. وقد اتصفت هذ الحركات بكونها حركات فارسية في قيادتها وفي غالبية انصارها اولاء وانها حركات مسلحة استخدمت القوة ضد سلطة الدولة العربية الاسلامية ثانياء وانها كانت عنصرية تحقد على العرب وتبشر العجم بزوال حكمهم لامحالة وان دولة المجوس آتية لاريب فيها ، كما قطعت على نفسها وعدا بالسير الى الحجاز لهدم الكعبة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين ثالثا.

ومن هنا لم يجد زعماء الخرمية المجوسية فرقا بين مبادئهم وعقيدة حركات الغلو التي سبقتهم وبالفعل فقد دعى بعض زعمائهم اتباعه بالتحالف مع الغلاة فلا فرق بين الحركتين في العقيدة والهدف . وهكذا انكشف البعد السياسي لهذه الحركات في اوضح صوره وبان هدف حركاتهم الهدمية للدين والدولة على حد سواء.

والخرمية فرقة دينية - سياسية فارسية تحمل اسما فارسيا اختلف المؤرخون في أصله على ان الراي الراجح لدينا ان الاسم اشتق من "خرم -

دين" وهو تعبير يعني الدين الممتع او دين اللذة والانشراح . ويبدو ان المزدكية المنشقة عن الزرادشتية كانت في العهد الساساني تسمى "خرم - دين" ثم تطور هذا الاسم في العصر الاسلامي الى "خرمدينية" ثم اختصر الاصطلاح الى "خرمية" . وقد ربط عدد من كتاب الفرق بين الاصطلاح وبين المجون والاستهتار والتحلل من القيم الاجتماعية المتعارف عليها واشاروا الى نزوعها الى الاباحية والمشاعية والفوضوية. فالخرمية في العصر الاسلامي هي المزدكية الجديدة ذلك ان اتباع المزدكية ارادوا ان يموهوا مذهبهم امام الناس فتبرقعوا ببرقع اسلامي ومن هنا جاء قول المقدسي ان الخرمية فرقة ايرانية ثنيوية تختفي تحت برقع اسلامي !! وقد اكد السمعاني هذه الحقيقة بقوله :(٧)

" ان الخرمية يرتبطون بفرقة باطنية تسمى خرمدينية وهؤلاء يشيعون شهواتهم دون وازع او قيد ويحللون المحرمات مثل الخمرة والزواج من الأقرباء المقربين والملذات الاخرى . وهذا ما يفعله المزدكية الذين يقولون بمشاعية النساء ويحللون المحرمات ولذلك سموا خرمية حيث كان هذا الاسم يطلق على المزدكية".

ويقول الشهرستاني:

" ولما كان اكثر ذلك (القتال والمخالفة) انما يقع بسبب النساء والأموال أحل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها.."(٨)

ودانت الخرمية بنفس عقائد الغلاة فزعمت ان النبوة مستمرة لا تنقطع وان زعماءها انبياء حلت فيهم الروح الالهية بالتناسخ من آدم فنوح وهلم جرا حتى وصلت الى ابي مسلم الخراساني والمقنع الخراساني وبابك الخرمي. وان معرفة الزعيم واجبه وضرورة لازمة تعفي الفرد من الفرائض والالتزامات الدينية والاخلاقية !!

وقد اتبعت الخرمية اسلوب القوة العنف والأرهاب وسيلة لتحقيق هدفها وكانت خطة سنباذ اسقاط دولة العرب والمسير الى الكعبة لهدمها . وكان بابك ينوى اغتصاب الأرض من مالكيها وقتل الجبابرة (العباسيين العرب) ورد المزدكية.وفي رواية ان بابكا احدث في مذاهب الخرمية القتل والنصب والحروب والمثلة(٩) لقد اشار العديد من المؤرخين والكتاب المسلمين الى

البعد السياسي الهدمي للخرمية.[١٠] وهنا نلاحظ ابن الجوزي يقول بانهم ارادوا ارجاع ممالكهم وابطال الاسلام.وفي الطبري تشير رواية تاريخية بان هدفهم هو ان يعود للدين الى مالم يزل عليه ايام العجم.ويشير الذهبي الى ان الخرمية ارادت ان تقيم ملة المجوس.اما المسعودي فيرى بانهم "ينتظرون عودة الملك فيهم وقلع الاسلام" ويوضح المقريزي ذلك بقوله انهم يرومون كيد الاسلام بمحاربته".

وكان زعماء الخرمية يحث بعضهم بعضا على التحرك ضد الدولة العربية الاسلامية قائلين:

"انه لم ينصر هذا الدين الأبيض (الخرمية) غيري وغيرك.."

فالدين الأبيض هو الخرمية يقابله الدين الأسود (الأسلام) . وقد اعترف المازيار الطبرستاني حليف بابك الخرمي بان هدفه "اخذ الدولة من العرب واعادتها لاكاسرة الفرس".

ان فيما اوردناه من روايات تاريخية حول البعد السياسي والديني للخرمية ما يكفي لكشف معاداتها للأسلام والدولة العربية الاسلامية اومن هنا جاء تحالف بابك زعيم الخرمية في العصر العباسي مع شيوفيل امبراطور البيزنطيين اعداء العرب المسلمين مؤكدا ذلك بالحجة الدامغة حيث قدم البيزنطيون كل انواع المساعدة والعون للخرمية في العصر العباسي .

قامت الخرمية بسلسلة طويلة من الحركات المناهضة للخلافة العباسية ابتدأت مع بدايات الدولة العباسية وسنتكلم على هذه الحركات الخرمية خلال فترة العصر العباسي الأول:

حركة سنباذ:

اذا تركنا جانبا جيوب الراوندية الخرمية التي تمردت في خراسان بعد اعلان الدولة العباسية مباشرة وحركة بهافريد الزرادشتية التي حدثت في نيسابور سنة ١٣٩هـ / سنة ٧٤٧م واعقبتها حركة زرادشتية اخرى في باذغيس سنة ١٥٠هـ / سنة ٧٦٧م فان اول حركة خرمية تواجهنا بعد سيطرة العباسيين على بلاد فارس هي حركة سنباذ في خراسان سنة ١٣٧هـ سنة ٧٥٤م.

فلقد حاول بهافريد ان يعارض الاسلام بزرادشتية جديدة معدلة.(١١) وبمعنى آخر فانه غير من الزرادشتية وادخل عليها بعض التعاليم الاسلامية وخلق ديانة جديدة توفيقية ظنا منه انها ستكون اكثر قبولا لدى الناس . ولهذا قال البغدادي بان تعاليم بهافريد على ظلالتها احسن من تعاليم زرادشت . ولاشك فان الدافع من وراء محاولة بهافريد التوفيقية كان سياسيا اذ امل بان يضم الى حركته ليس المجوس فقط بل الموالي الفرس الذين دخلوا الاسلام. ولكن محاولته باءت بالفشل لانها لم تجابه من قبل السلطة العربية الاسلامية فقط بل عارضها رجال الدين الزرادشت والدهاقين الفرس ايضا باعتبارها منشقة عن الزرادشتية التقليدية ومعدلة لها.

اما سنباذ فقد عارض الاسلام بمزدكية جديدة معدلة هي الخرمية.(١٢) حيث حاول ان يوفق بين المزدكية وتعاليم الغلاة . وكان هدفه ديانة توفيقية تكسب عناصر اسلامية مغالية وعناصر غير اسلامية ولذلك رفع شعارات تلائم كل الفئات. فكان يبشر الفرس بان حكم العرب صائر الى زوال وان دولة المجوس آتية لاريب فيها كما وعد اتباعه بهدم الكعبة. وقد جذبت تعاليمه ، على حد قول نظام الملك ، العديد من الغلاة المتظاهرين بالاسلام خاصة بعد ان استبدل بالكعبة الشمس قبلة للصلاة ترضية للمجوس والغلاة على حد سواء!!

لقد ادعى سنباذ ان ابا مسلم الخراساني لم يمت بل انقلب الى حمامة بيضاء واختفى وانه عائد لامحالة (الرجعة). ويقول ان حركة سنباذ كانت غضبا لمقتل ابي مسلم وطلبا لثأره. وبدأ سنباذ حركته في نيسابور بعد ان قتل واليها واستولى على الخزائن والمتاع وطلب من الأمير خورشيد اصبهبذ طبرستان تأييده.

وبعد ان توسعت حركته تقدم من نيسابور الى الري (منطقة طهران الحالية) متوجها الى العراق لانهاء الخلافة ثم الى الحجاز لهدم الكعبة التي لم تعد لها اهمية في نظره بعد ان اصبحت الشمس قبلة لاتباعه. ولاشك ان البعد السياسي واضح في تحركه هذا فالعراق هو رمز السيادة العربية والحجاز هو موطن الاسلام ومنبعه النقي وان احتلالهما يؤمن النجاح لحركته!!

ورغم ان هذه الحركة وقعت بعد سنة واحدة من خلافة ابي جعفر المنصور الذي كان في ظروف صعبة للغاية .فقد جهز المنصور جيشا بقيادة القائد العربي جهور بن مرار العجلي يتكون من عشرة آلاف مقاتل تبعتها تعزيزات اخرى من القوات النظامية والمتطوعة . والتقى الجيشان بين الري وهمدان في موقعة رهيبة اظهر فيها قائد التعزيزيات عمر بن العلاء شجاعة فائقة ادت الى هروب سنباذ ومقتل حوالي ستين ألف من انصاره . وقدهرب سنباذ الى طبرستان حيث لقى حتفه .

حركة المقنع الخراساني:

بعد حركة سنباذ وقعت حركتان متتاليتان في خراسان الاولى حركة اسحق الترك (١٣٧هـ - ١٤٠ هـ) والثانية حركة استاذسيز سنة ١٥٠هـ/سنة ٧٦٧م وفي عهد المنصور بالذات ايضا. وقد دعت الحركتان الى نفس تعاليم البهافريدية اي الزرادشتية المعدلة . ولم يكن اسحق الترك واتباعه (المبيضة) خطرا كبيرا فقد استطاع والي خراسان خالد الذهلي القضاء على تمردهم. اما استاذسيز فقد سيطر على العديد من مدن خراسان وجمع حوله حوالي ثلاثين الفا من الأتباع. ارسل المنصور القائد العربي خازم التميمي لقمع الحركة كما امر ابنه وولي عهده المهدي بالمشاركة في اخماد التمرد وبعد معارك طاحنة لجأ استاذسيز الى الجبال فتبعه خازم التميمي وحاصره حتى استسلم فارسل الى المنصور فامر بقتله.

على ان حركة المقنع الخراساني التي حدثت في سنة ١٥٩هـ/سنة ٧٧٥م في خراسان ثم انتشرت في بلاد ماوراء النهر خاصة في منطقة كش وبخارى حيث ان اميرها بونيات حالف المقنع وارتد عن الاسلام تعد اقوى الحركات الخرمية في عصر العباسيين الاوائل فقد بدأت في السنة الاولى من عهد المهدي. (١٣)

كان المقنع الخراساني من الزرامية وهي فرقة اشرنا اليها سابقا وقلنا بانها قالت بامامة ابي مسلم وقدسيته وحلول روح الآله فيه .ثم تدرجت وزعمت ان المقنع اله ونادت بترك الفرائض وادعت ان الدين معرفة الامام فقط ومما يؤكد خرمية المقنع انه اباح النساء والأموال لأتباعه. ولعلنا

نجمل تعاليمه كالآتي:
ولا - نادى المقنع بالحلول والتناسخ وقال ان الله خلق آدم في صورته ثم في صورة نوح والانبياء من بعده ثم ابي مسلم الخراساني ثم صورته هو من اتباعه السجود اليه لانه الله.
ثانيا - بشر المقنع بالرجعة وادعى انه اذا ما اختفى فانه سيعود الى هذه الدنيا لنشر العدل وظل المقنع مخلصا لهذا المبدأ حتى انه رمى بنفسه في التنور حين حاصره الجيش العباسي فاحترق عن آخره ولم يترك اثرا له لكي يستمر الاعتقاد لدى اتباعه بعودته.
ثالثا - قدس المقنع ابا مسلم الخراساني ونادى بافضليته على الانبياء.
رابعا - اسقط المقنع الفرائض الدينية والالتزامات الاخلاقية ونادى بان الدين طاعة رجل .
خامسا - اعطى المقنع لاتباعه الحق بقتل من يخالفهم وان الارهاب والقتل هو جزء من عقيدتهم.

ويبدو البعد السياسي جليا في الحركة المقنعية فهي فارسية عنصرية لا تعترف بامامة العباسيين ولا بسلطة العرب المسلمين . كما ان تعاليمها موجهة ضد الاسلام والعروبة في وقت واحد. وقد صنفها العديد من المؤرخين ضمن الحركات الهدمية التي تمسكت بالروح الايرانية تمسكا كاملا. وعن هذا الطريق استطاع المقنع - وهذا يذكرنا بالخميني - ان يثير جوا محموما من الحماس الديني لدى اتباعه موظفا شعارات دينية تناسب الفئة التي يخاطبها فهو مرة يطالب بالثأر لأبي مسلم الخراساني ومرة يطالب بالثأر ليحيى بن زيد بن علي المقتول في خراسان . وكل هذه الآراء لم تكن جديدة في حركات الغلو والحركات الخرمية بل كانت موجودة قبل المقنعية . الا ان المقنع اعطاها حياة وزخما جديدا وهنا تكمن خطورته. حين زاد خطر المقنع امر حميد بن قحطبة الطائي الوالي العباسي على خراسان باعتقاله فهرب المقنع الى بلاد ماوراء النهر ونجح في ان يجمع حوله اتباعا كثيرين هناك وعندئذ احس الخليفة المهدي بخطره فارسل له عدة حملات عسكرية كان اخرها جيش بقيادة سعيد الحرشي الذي حاصره في حصن قديم وبدأ يتفاوض معه بشأن التسليم دون جدوى. ولما طال امد الحصار تخلى عنه عدد من

قواده مع ثلاثين الفا من الاتباع واستسلموا للجيش العباسي.

وحين ايقن المقنع من الاخفاق سقى مساءه واولاده وبقية اتباعه شرابا مسموما ثم القى بنفسه في التنور ومات حرقا ختى لا يظفر به العباسييون وهكذا انتهت حركته سنة ١٦٣هـ / سنة ٧٧٩م ، بعد ان استمرت حوالي اربعة سنوات ، على ان جيوب المقنعية استمرت في بلاد فارس حتى فترة متأخرة فقد الهم الكتاب في القرن الخامس والسادس والعاشر الهجري ولم يفقدوا الامل بعودة المقنع الذي سيملكهم الارض وما فيها!!

وقد استمرت حركات الخرمية في بلاذ فارس بعد المقنعية في سلسلة متصلة الحلقات فتحركت (المحمرة) في جرجان سنة ١٦٢هـ/سنة ٧٧٨م. وتحرك الخرمية في اذربيجان سنة ١٩٢هـ/ سنة ٨٠٧م ، وكانت هذه الحركة الاخيرة ممهدة لحركة بابك التي كانت من اخطر الحركات الخرمية على الاطلاق. وهناك حركات خرمية اخرى حدثت في مدن قم واصفهان وهمدان ومدن اخرى ولكنها لم تكن باهمية الحركات التي اشرنا اليها واكدنا عليها.

حركة بابك الخرمي:

تعد حركة بابك الخرمي في اذربيجان وما جاورها من المناطق ذروة التآمر الخرمي المسلح(١٤) ضد الاسلام ودولته على عهدي الخليفتين المامون والمعتصم. ورغم تستر البابكية بآراء دينية واعتقادية لا تختلف عن اسلافها من حركات الغلو والخرمية فان البعد السياسي للبابكية لينكشف في الراوية التي تشير بان بابكا:

"سيبلغ بنفسه وبكم امرا لم يبلغه أحد ... وانه يملك الارض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية ويعز ذليلكم ويرتفع به وضيعكم"(١٥)

وقد ترأس بابك الخرمية بعد وفاة زعيمها جاويدان ورشحته زوجة جاويدان لقيادة الحركة مدعية ان زوجها قال بان روحه بعد وفاته ستحل في بدن بابك. فقبل الاتباع قولها عدوا بابكا زعيما لهم . وزعم بابك انه اله وان طاعته واجبة وهي اهم من الفرائض والعبادات . وربط بابك اسمه بابي مسلم الخراساني وادعى انه من نسل ابنته فاطمة . وهكذا عقد جسورا بين الفاطمية الغلاة وبين الخرمية مما يدل على الاتفاق في الآراء والمبادىء

وعلى النزعة الفارسية القوية لدى بابك وقد اتسعت القاعدة المؤيدة للبابكية فشملت اضافة الى العوام السذج العديد من الدهاقين والأمراء لايرانيين فقد تعاون امير طبرستان مع بابك الخرمي. (١٦)

ويتفق المؤرخون ان البابكية الخرمية في عقيدتها تؤمن بالحلول والتناسخ وقدسية زعيمها بل الوهيته وترى ان معرفة الامام تغني عن الفرائض وتنتظر المنقذ ورجعته وتدعو الى الاباحية والفوضوية في النساء والمشاعية في الاموال . وترى ان وسيلتها لتحقيق ذلك هي الحرب والأرهاب ولهذا تتهم رواية تاريخية بابكا انه احدث في الخرمية القتل والحروب.

ان تحالف البابكية مع الدهاقين والأمراء الايرانيين ومع البيزنطيين اعداء الدولة العباسية كشف عن البعد السياسي فيها . فقد كانت تسعى لتوسيع سلطتها في ايران ثم لتحل محل الخلافة العربية العباسية في العراق. ويظهر من وصية جاويدان لبابك ان الهدف هو القضاء على الجبابرة العباسيين ومن هنا يرى المسعودي ان هدف بابك هو:

"ازالة ملك وقلب ملة وتبديلها" (١٧)

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كانت البابكية تسعى لنشر مذهبها ليكون بديلا عن الاسلام. ويبدو البعد السياسي واضحا في وصية الخليفة المأمون لأخيه المعتصم اذ ربط بين العدو البيزنطي والعدو الخرمي الفارسي فلم يدحر الروم وسعا في مساعدة البابكية. يقول المأمون:

" وانظر هؤلاء القوم الذين انت بساحتهم (يعني الروم) ولا تغفل عنهم في كل وقت. والخرمية فأعزهم ذا حزامة وصرامة واكنفه بالاموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من انصارك واوليائك . واعمل في ذلك مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه" (١٨)

وقد استمرت حركة بابك من ٢٠٠ هـ الى ٢٢٢هـ/٨٣٧م وقد امتدت حركته حتى شملت اذربيجان وارمينية والجبال وبعض مناطق الجزيرة واعتمد على كسب الأتباع بالأغراء والوعود والارهاب . وقد فرق اتباعه في القرى وامرهم بقتل المسلمين دون تفريق فازداد الرعب بين السكان الذين لم يعرفوا دوافع هذه الجرائم.

ورغم ان المامون بذل جهده لقمع الحركة الا انه توفي قبل ذلك فجاء المعتصم سنة ٢١٨هـ وارسل حملة جديدة سنة ٢٢٠هـ/سنة ٨٣٥م لمواجهة البابكية . ولم تكن الحرب سهلة خاصة وان البابكية يتمركزون في الجبال ذات المسالك الصعبة. على ان القائد الأفشين استطاع محاصرته في حصن البذ وعرض عليه الامان الا ان بابكا رفض وهرب ليلا باتجاه ارمينية وهناك القي القبض عليه سهل بن سنباط الأرميني وارسل الى سامراء حيث اعدم اما رأسه فعرض في بغداد. وهكذا انهيت الحركة البابكية سنة ٢٢٢هـ / سنة ٨٣٧م.

ولعل فيما اوردناه من حركات خرمية يؤكد ان منهاجها الاعتقادي والسياسي يتوافق مع حركات الغلو التي سبقتها وانها ضمت العناصر المتذمرة والحاقدة على سيادة العرب المسلمين وعلى انتشار الدين الاسلامي وكان لابد لها ان تجد شعارا لها او تعمل من خلال رمز معين ولم يكن من الصعب ايجاد ذلك البرقع. والتستر وراءه املا في تحقيق اهدافها الهدمية والتخريبية.

حركة الزندقة:

ولم تكن حركة الزندقة التي بدأت في المجتكع الأسلامي لتختلف عن الحركات السابقة ، فهي في واقعها مانوية مجوسية بثوب جديد رفعت شعارات سترت بها حقيقتها ونادت بافكار حاولت جذب الناس اليها ، ثم العمل بعد ذلك لهدف الدين الأسلامي والتشكيك في العقيدة السمحة. ان التلازم والأرتباط بين اهداف الزندقة والشعوبية واضح في مجمل كتابات الجاحظ ذلك ان كره العرب ادى الى كره الدين الذين نشروه وبشروا به.

ومن الواضح تاريخيا ان الزندقة هي الحركة المانوية الجديدة التي عادت فانتعشت في العصور العربية الأسلامية في العراق وبلاد فارس ،[١٩] كما انها شملت جميع المشككين بالأسلام والعاملين على هدمه من اصحاب الديانات الاخرى ، ولذلك غدت ادبيات الزندقة كثيرة ومنتشرة بلغات عديدة عربية وسريانية وفارسية.

لقد باتت الزندقة تنظيما فكريا ذا منهج دقيق تستر بالاسلام ولكنه عمل على هدمه ولم يعترف بنبوة محمد (ص) ، وعمل جاهدا على احياء

التراث المانوي الفارسي القديم في الثقافة والعقيدة. ومن هنا كانت الزندقة مكملة للشعوبية في اسلوبها وهدفها .

حاول المانوية ضمن مخططهم الفكري وضع كتاب يشبة القرآن الكريم ، كما طعنوا بالرسالة المحمدية فقال ابن الراوندي ان معجزات الانبياء ما هي الا مخاريق ومن عمل السحرة . وهاجم القرآن وزعم انه متناقض !! وحاول عبد الكريم بن ابي العوجاء ان يضع كتابا يعارض فيه القرآن اضافة الى وضعه الأحاديث. وكتب يونس بن ابي فروة في عيوب الاسلام. وكتب العديد من الكتاب رسائل حول المانوية والدفاع عنها منهم: ابن طالوت وابو شاكر الديصاني.(٢٠) وتجاه انتشار كتب المانوية كان لابد للخلافة العباسية والمفكرين المسلمين ان يتصدوا لها ويفضحوا اهدافها واساليبها كما سنرى في فصل قادم ان شاء الله.

الهوامش:

(١) فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٨٨ ص١٠٧ فمابعد.

(٢) الطبري ، تاريخ ، القسم الثاني ، ص١٥٨٨.

(٣) المؤلف المجهول ، اخبار العباس وولده ، ٦٠.

(٤) البغدادي ، ص٢٧. الشهرستاني ، ج١ ص٢٠١ ـ الطبري ، طبعة القاهرة ج٣ ص٤١٨.

(٥) فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، بغداد ١٩٨٦ ص٢٥.

(٦) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٧ ص٣٦٢ ـ نظام الملك ، سياسة نامة ص٢٦١ ـ ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ص١٠٢.

(٧) المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٣ ص١٤. السمعاني ، كتاب الانساب ص٧٢.

(٨) الشهرستاني ، ج١ ص٢٤٩.

(٩) ابن النديم ، الفهرست ٤٤٩.

(١٠) فاروق عمر ، التاريخ الأسلامي وفكر القرن العشرين ص٢١٦ فمابعد.

(١١) البيروني ، الآثار الباقية ، ص٢١٠ ـ فهرست ابن النديم ص٣٤٤.

(١٢) الطبري ، طبعة القاهرة ١٩٤٩ ، ج٦ ص١٤٠. ـ المسعودي ، مروج ج٦ ص١٨٨.

(١٣) الطبري ، الطبعة الأوربية ، القسم الثالث ص٤٨٤ ، النرسخي ، تاريخي بخارى ص٦٣ ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ص٢٤٣ ـ ابن خلكان وفيات ، ج٢ ص١٣٦.

(١٤) الطبير ، القسم الثالث ، ص١٢٢٧.

(١٥) المصدر السابق ، ص١٠١٥. ـ الفهرست ، ص٣٤٣.

(١٦) فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ج٣ ص١٥٣.

(١٧) المسعودي ، مروج ، ج٤ ص٦١.

(١٨) الطبري ، ليدن ، ١٣٠١.

(١٩) المسعودي ، مروج ، ج٢ ص١٦٨.

(٢٠) حول الزندقة راجع التفاصيل في : التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ص١٠٩ـ١٣٠.

الفصل الثالث

حركات الغلو الدينية - السياسية في العصور العباسية المتأخرة حتى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م.

لاحظنا في الفصول السابقة ان الدولة العربية الاسلامية كانت قوية ومتماسكة ولهذا تصدت بحزم لحركات الغلو والحركات الخرمية الفارسية. على ان الامر اختلف حين ضعفت الدولة بعد ان سيطر عليها الاجانب من فرس بويهيين واتراك سلاجقة وتعقدت ظروف المجتمع الاقتصادية والاجتماعية وقد أفرز هذا الوضع في اواخر القرن الثالث الهجري وخلال القرن الرابع الهجري وما بعده (التاسع والعاشر الميلاديين) حركات خطرة جدا على المجتمع والدولة سميت (الحركات الباطنية). وقد تبرقعت هذه الحركات - مثل اسلافها - بالدين لكي تنشط بين الناس وتكسبها الى جانبها ثم تستخدمها لضرب بالنظام العباسي الذي يرمز الى دور العرب القيادي في الامة الاسلامية ولكي تستبدل كذلك بكل القيم والمثل والمبادىء العربية - الاسلامية مثلا وقيما فارسية بديلة ، وهذه الحركات هي: الحركة الاسماعيلية والفرق المتفرعة عنها من قرامطة وحشيشية ودروز.

لقد اطلق على هذه الحركات تسميات عامة عديدة لعل اشهرها واهمها: الأسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق وهو الامام السابع لدى

الاسماعيلية باعتباره الابن الاكبر لجعفر الصادق الذي اوصى اليه بالامامة من بعده . ثم الباطنية لزعمها ان لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ومن هنا اولوا آيات القرآن تأويلا يخدم اغراضهم في هدم الدين وتحقيق مآربهم السياسية . ثم السبعية لاعتقادهم بان اسماعيل بن جعفر الصادق هو الامام الظاهري السابع ، وان ادوار الامامة سبعة وان هذه الادوار السبعة تتعاقب ولا آخر لها وان تدبير العالم السفلي منوط بالكواكب السبعة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة والشمس وعطارد والقمر. وآخر هذه التسميات العامة هي التعليمية لانهم دعوا الى ابطال تصرف العقول والى التعليم من خلال الامام المعصوم وهو السبيل الوحيد لادراك العلوم. (١)

الحركة الاسماعيلية:

ان السمة الرئيسية في الحركة الاسماعيلية هي سريتها وغموضها ومن هنا فقد اختلفت الآراء حول نشأتها وجذورها التاريخية ، ولكن الرأي الغالب(٢) يؤيد الصلة الفكرية الوثيقة بين الخطابية والاسماعيلية والواقع ان الخطابية هي فرقة من فرق الغلاة التي ظهرت اواخر العصر الاموي في الكوفة بالعراق وتنسب الى ابي الخطاب محمد بن ابي زينب الاجدع الاسدي مولى بني اسد الذي يعده بعض الباحثين اخطر شخصية عرفها الغلو في النصف الاول من القرن الثاني الهجري.

بدأ ابو الخطاب الاسدي نشاطه مدعيا العمل باسم الامام جعفر الصادق زاعما ان الصادق جعله قيمه ووصيه من بعده وعلمه العلوم الالهية واسرارها!!.

وقالت الخطابية بالوهية جعفر الصادق وان ابا الخطاب رسوله وبذلك تعلو الالوهية الى الائمة وقالوا (ان عبادة الائمة واجبة). ثم انه اول آيات القرآن حسب مشيئته فاحل المحارم وترك الفرائض (٣) .

وحين علم جعفر الصادق بآراء ابي الخطاب المغالية تبرأ منه ومن اقواله واعماله ، وبذلك ترك المجال للسلطة العباسية لوضع حد لنشاطه واعماله الهدامة. (٤)

هذا على النطاق الديني اما من الناحية السياسية فيبدو ان ابا الخطاب

الاسدي كان ضمن مجموعة من الغلاة المتطرفيين امثال الجعفي الصيرفي وجابر الجعفي الذين حاولوا التأثير على جعفر الصادق واقناعه بالتحرك ضد الدولة العباسية ابان تأسيسها ولما اخفقوا في مسعاهم التفوا حول اسماعيل بن جعفر ونجحوا في كسبه الى جانبهم مما دعا الصادق الى التبرئ من اسماعيل وابي الخطاب بسبب افكارهما الاعتقادية وفعالياتهما السياسية. ففي رواية للكشي ان جعفرا الصادق قال للمفضل الجعفي (ياكافر يامشرك مالك ولابني؟).

وفي رواية اخرى توضح العقيدة الخطابية:" زعم (ابو الخطاب) ان جعفر بن محمد اله واستحل المحارم كلها ورخص فيها وكان اصحابه كلما ثقل عليهم اداء فريضة اتوا وقالوا ياابا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات واباح لهم ان يشهد بعضهم لبعض بالزور ، وقال من عرف الامام فقد حل له كل شيء كان حرم عليه ، فبلغ امره جعفر بن محمد فلم يقدر عليه باكثر من ان لعنه وتبرأ منه."(٥)

وفي رواية اخرى ان الخطابية زعمت:(٦)

"ان جعفر بن محمد الصادق اورعهم جلدا يقال له جفر فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن"

و اخطر من هذا وذاك ان ابا الخطاب دعا الى تاويل الفاظ القرآن الكريم تأويلا رمزيا وليس على مدلولاتها اللغوية المعروفة بالعربية بل انها رموز واشارات لشخصيات او مظاهر اخرى لا يعرفها الا الائمة ونوابهم لانهم يعلمون المعنى الباطن للقرآن وفي هذا المجال يقول النوبختي:

"وجعلوا الفرائض رجالا سموهم والفواحش رجالا"(٧)

وقد رد الامام جعفر الصادق على دعاوى الخطابية هذه بان اصدر فتواه من قال به فهو عندي مشرك بالله بين الشرك."(٨)

ان البعد السياسي ـ الديني لعقيدة الخطابية واضح فهي بهذا التأويل الغريب للقرآن ارادت ان تهدم ما فرضه القرآن من فرائض الصلاة والصيام والزكاة والحج وان تفتت المجتمع باباحة المحارم والشهوات دون قيد او شرط وفي هذا يقول النوبختي في الخطابية :

" واحلوا المحارم من الزنا والسرقه وشرب الخمر وتركوا الزكاة والصلاة والصيام والحج واباحوا الشهوات بعضهم لبعض". (٩)

ولعل اول حركة سياسية قامت بها الخطابية وقعت سنة ١٢٨هـ/سنة ٧٤٥م اي في اواخر العصر الاموي حين قادهم عمير ابن بيان العجلي في الكوفة وهم يهتفون بان المهم هو جعفر الصادق فالقى يزيد بن عمر ابن هبيرة والي الكوفة القبض على عمير العجلي فقتله وحبس بعض اتباع الخطابية . ولكن ابا الخطاب الاسدي استمر في دعوته مؤكدا انه نبي مرسل من الاله جعفر الصادق حتى جاءت الدولة العباسية حيث اعلن حركته في عهد ابي جعفر المنصور سنة ١٣٨هـ/ سنة ٧٥٥م في الكوفة بالعراق فحاربهم الوالي العباسي عيسى بن موسى حتى قضى عليهم واسر ابا الخطاب ثم قتله في نفس السنة .

يقول النوبختي فيهم:

"فحاربوا عيسى محاربة شديدة بالحجارة والقصب والسكاكين وكان ابو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فان قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ورماحهم وسيوفهم لا تضركم ولا تعمل فيكم !!

فلما قتل منهم ثلاثون رجلا قالوا له ماترى يحل بنا من القوم.. قال لهم ان كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي ؟"(١٠)

ومعنى ذلك ان الخطابية كانت تؤمن (بنظرية البداء) كذلك ومعناها تغيير الارادة الالهية لقرار قد اتخذ قبلا وقد انتقلت هذه النظرية فيما بعد الى الائمة انفسهم بزعمهم والى زعماء الفرق المتطرفة خاصة ان الامر بالشيء ثم الامر بخلافه من الله تعالى ـ كما زعمت الخطابية فيه انتقاص كبير للارادة الالهية وفيه تشكيك بالذات الالهية وهذا هو الهدف الاول الذي استهدفته الحركة الباطنية الخطابية من اشاعة هذه الفكرة. اما الهدف الثاني فان زعماء الغلاة قالوا به لتبرير التناقض في احكامهم وآرائهم ولايجاد مسوغ لتقلباتهم وفشلهم السياسي ووضع المسوغ لهم ليدعوا ويقولوا مايشاؤن ويتخذوا الموقف ونقيضه دون ان يسقطوا في نظر اتباعهم!! (١١)

ان العديد من رواياتنا التاريخية تؤكد ان الاسماعيلية هي التحول العقائدي والاستمرار التاريخي للحركة الخطابية وان اسماعيل ابن جعفر

الصادق التي سميت الاسماعيلية باسمه كان موافقا على نهج الغلاة من امثال ابي الخطاب وعلى صلة متينة بهم. فبالاضافة الى الروايات التي اوردناها سابقا والتي تشير الى توتر العلاقة بين الصادق وابنه اسماعيل ومن حوله من المتطرفين هناك روايات اخرى تؤكد صلة الاسماعيلية بالخطابية فالنوبختي يقول:

"اما الاسماعيلية فهم الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد ابن ابي زينب الاسدي الاجدع" ويشير كل من ابن الاثير وابن النديم الى ان ميمونا القداح هو راس الاسماعيلية في عهد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق كان من تلاميذ ابي الخطاب الاسدي .

هذا اضافة الى ان جمهرة كتاب الفرق الاسلامية يوضحون التشابه بين العقيدة الخطابية والاسماعيلية مثل عقيدة الامام الصامت والناطق وعقيدة التأويل الباطني وغيرهما.

واخيرا وليس آخرا فان العديد من كتب الاسماعيلية التي ظهرت بعد تاسيس الدولة الفاطمية في مصر عام ٣٥٨هـ/ سنة ٩٦٨م تشير الى ان المذهب الاسماعيلي هو مذهب اوجده ابو الخطاب واتباعه وتشير الى اعماله واستشهاده في سبيل الدعوة للمذهب.(١٢)

يتضح من ذلك كله علاقة اسماعيل بالخطابية وحركة الغلو مما يسوغ تبري جعفر الصادق من اسماعيل والتطرفين الذين حوله ونقل الامامة الى ابنه الثاني موسى الكاظم . وقد استمر اسماعيل وابو الخطاب في فعالياتهما الدينية - السياسية حتى مقتل ابي الخطاب ووفاة اسماعيل ابن جعفر سنة ١٤٥هـ فالتف الخطابية حول محمد ابن اسماعيل وكان على راس الخطابية ميمون القداح وابنه عبد الله وكذلك المبارك. وقد تبلورت الحركة الاسماعيلية واتخذت اسمها زمن محمد ابن اسماعيل .

على ان الحركة الاسماعيلية لم تنج من الانشطارات داخلها فقد انقسمت الى عدة فرق صغيرة يشير اليها المؤرخون وكتاب الفرق واهمها :

(١) الفرقة الاولى التي ترى ان الامام السابع هو اسماعيل ابن جعفر الذي نص عليه جعفر الصادق وبما ان (النص لا يرجع القهقري وان الفائدة من النص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره). فالامامة لاسماعيل

دون غيره . وقد وقفت هذه الفرقة او بعض اتباعها في اسماعيل وقالت انه حي لم يمت بل غاب وسيرجع. وتسمى هذه الفرقة (الاسماعيلية الخالصة).

(٢) الفرقة الثانية قطعت بوفاة اسماعيل في حياة ابيه جعفر الصادق بعد ان فوض الامر لابنه محمد من بعده وعدته مهديا وقد غاب وسيعود الى الحياة الدنيا. وهؤلاء هم المباركية نسبة الى المبارك مولى اسماعيل ومنهم فرقة (القرامطة) . ومعنى ذلك ان القرامطة وقفت عند محمد ابن اسماعيل ولم تعترف بامام بعده.

(٣) وفرقة ثالثة قالت ان جعفرا الصادق عقد الامامة لمحمد بن اسماعيل بعد ان اسقطها عن اسماعيل.

(٤) واخيرا فرقة اعترفت بموت اسماعيل وقطعت بموت ابنه محمد كذلك واعتقدت بسلسلة من الائمة من نسل اسماعيل واولاده وهؤلاء هم الاسماعيلية الذين اسسوا الدولة الفاطمية. هذا مع ادراكنا للشكوك الواردة حول نسب الفاطميين في مصر والروايات التي تشير إن نسبهم لا يعود الى اهل البيت بل الى العبيدية نسبة الى عبيد الله المهدي اول ائمتهم في المغرب قبل نزوجهم الى مصر.

على ان الدعوة الاسماعيلية في مصر تعرضت الى انشطارات جديدة ادت الى ضعفها فقد انشقت الفرقة الدرزية عن الاسماعيلية سنة ٤١١هـ / سنة ١٠٢١م حين اعلن الحاكم بامر الله ان روح الله قد حلت فيه ثم غاب فاعتقدت الدرزية انه الامام المنتظر وانه لم يمت وسيعود.

وبعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ/ سنة ١٠٩٤م حدث الانشقاق الثاني حيث بقيت فرقة تعتقد بنزار ابن المستنصر بالله اماما لها لانه الابن الاكبر وهؤلاء هم الحشيشية . اما الفرقة الثانية فقد نقلت الامامة الى المستعلي الابن الاصغر للمستنصر الذي قتل اخاه نزار وسيطر على الخلافة . وقد تعرضت هاتان الفرقتان الى انشقاقات صغيرة وفرعية اخرى لا اهمية لذكرها هنا.

لقد اتخذت الدولة العباسية سياسية متشددة اتجاه الغلاة والمتطرفين واحكمت قبضتها على تنظيماتهم ويتضح ذلك من ضرب المنصور لعدد من الحركات المغالية الخرمية والراوندية اشرنا اليها سابقا ، ثم عزم الخليفة

العباسي المهدي[14] على اجتثاث جذورهم حيث يقول:

"اما والله لان عشت لاقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا اترك عينا تطرف".

وفي رواية اخرى ان المهدي:

"امعن في قتل الملحدين لظهورهم في ايامه وانتشار كتبهم وهو اول من امر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين فصنفت في ايامه".

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان تبرأ الائمة العلويين امثال جعفر الصادق منهم ومن عقائدهم المتطرفة كان صدمة كبيرة لهم ولعقيدتهم ذلك ان اتباع الصادق من الشيعة حذوا حذوه في الابتعاد عن الفرق المغالية المتطرفة ومناقشتهم وتكذيبهم... وفي رواية للكشي توضح افتضاح امر الغلاة حيث يقول:

"ان بيانا كان يكذب على علي بن الحسين ، وان المغيرة كان يكذب على محمد الباقر ، وان ابا الخطاب كان يكذب على جعفر الصادق..."[15]

ولاشك ان ادعاء هؤلاء الغلاة بان الامام جعفرا الصادق وابا الخطاب الهان ثم ادعاءهم بالوهية زعمائهم وكذلك اخراج الفاظ القرآن على معانيها الحقيقة اللغوية الى رموز واشارات تدل على رجال وشخصيات استفزت الائمة العلويين وانصارهم المعتدلين ولهذا اعلنوا البراءة منهم وكفرهم وخروجهم عن الاسلام الصحيح.

كل هذه الاسباب دفعت الحركة الاسماعيلية الى العمل السري في نشر دعوتها الباطنية فانتشر اتباعها في البلدان يدعون بكتمان لمذهبهم وتحت شعارات متنوعة.وكان مركز محمد بن اسماعيل في الري في ايران.اما مركز ميمون القداح وابنه عبد الله فاتخذوا الاحواز مقرا لهم ثم انتقلوا الى قرية سلمية قرب حماة في بلاد الشام. ثم انتقل بعض الدعاة الى اليمن والمغرب حتى نجح الداعية ابو عبد الله الشيعي في المغرب ونصب عبيد الله المهدي اول امام للدولة الفاطمية الجديدة.

لقد كان عبد الله بن ميمون القداح الداعية الذي نظم الحركة الاسماعيلية الباطنية حول محمد ابن اسماعيل بن جعفر الصادق والذي بلور

عقيدة الاسماعيلية كما وضح لاتباعه المقربين اهدافها المتسمة بالحقد على العرب وازالة سلطتهم ومسخ شريعة محمد الاسلامية واستبدالها بخليط عجيب من الآراء والديانات المستقاة من المجوسية واليهودية والمسيحية والفلسفة وما اليها !!. كما ان عبد الله بن ميمون هذا قسم تنظيمه السري الى سبع مراتب تنتهي المرتبة الاخيرة بالالحاد والاباحة.

وكان من الطبيعي ان تتستر الاسماعيلية بالاسلام وتتظاهر بالدعوة الى محمد ابن اسماعيل لتجعل كل ذلك برقعا لتمرير مذهبها بين السذج وعوام الناس.

ولعل اشهر مبادىء الاسماعيلية الهدمية تلك التي ادعت ان النظام الكوني مرتبه على العدد سبعة التي يتمتع بصفة مقدسة لديهم. ومما جاء في دعواهم هذه ان للعالم سبعة انبياء كل واحد منهم يدعى (الناطق) وبين كل نبيين ناطقين سبعة انبياء صامتين يعاونهم سبعة من الحجج ثم الدعاة. وهكذا فالفيض من الانبياء دائم ومستمر وتعاقب ادوار النبوة لا نهاية له. ومن الواضح ان الهدف السياسي من وراء ذلك كله هو هدم الاسلام بانكار ان الرسول (ص) هو خاتم الانبياء. ومن هنا جاء راي الغزالي بوجوب تكفيرهم والبراءة من مذهبهم.(١٦)

وثاني هذه المبادىء التي نود الاشارة اليها هنا هي عقيدة الابوة الروحية(١٧) التي تتلخص بان العلاقة الروحية والتعليمية بين الامام المعلم ومريديه وتلاميذه هي اعمق واهم من علاقة الاب بابنه. ومعنى ذلك ان علاقة ميمون القداح وعبد الله ابن ميمون باسماعيل ابن جعفر وبابنه محمد ابن اسماعيل علاقة متينة تصل الى درجة الابوة الروحية وقد انتقلوا من ذلك كله ان الامام او الحجة يعتمد اولا وقبل كل شيء في استخلافه على الابوة الروحية وليس الابوة الجسدية وهكذا تيسر للغلاة قبل الاسماعيلية ان ينقلوا الامامة الى الفرس امثال ابي مسلم الخراساني والمقنع وغيرهما كما تيسر للغلاة الاسماعيلية ان ينقلوا صلاحيات الامامة ومسؤولياتها الى الفرس امثال المبارك وميمون ابن ديصان القداح وعبد الله بن ميمون باعتبارهم الابناء الروحانيين للائمة !! ومن هنا جاءت نظرية الامام المستقر والامام المستودع في الحركة الاسماعيلية الباطنية.

فالامام المستودع هو الحجة والابن الروحي للامام المستور الحقيقي وهو الذي يحفظ الامامة باعتبارها وديعة عنده خاصة اثناء الظروف الحرجة وضغط السلطة ومطاردتها للأسماعيلية وبهذا يعرض الامام المستودع نفسه للخطر والاضطهاد وربما القتل من اجل الامام الحقيقي (الامام المستقر).
وعلى الرغم من الاختلافات بين الباحثين حول شخصيات هؤلاء الائمة المستقرين والمستودعين في الحركة الاسماعيلية ، فالظاهر ان ميمون القداح واولاده من بعده عملوا أئمة مستودعين في الحركة حتى جاء الوقت المناسب الذي ظهر فيه (الامام المستقر) في المغرب فيما يسمى بالدولة الفاطمية (او العبيدية) .

ومهما اختلف الباحثون في الجانب الإعتقادي او مشكلة نسب خلفاء الدولة الفاطمية فان الذي يعنينا هو البعد السياسي لهذه العقيدة ذلك ان (الإمام المستودع) اعطى لنفسه في حالة اختفاء او غياب (الامام المستقر) كافة الصلاحيات الدينية والدنيوية ، وغدا يتمتع بنفس صفات الامام الحقيقي ومزاياه وان يصدر الاحكام والاجتهادات حسبما تقتضيه الحالة السياسية وظروف الدعوة وبذلك اصبح صاحب السلطة الحقيقية بدل الامام وان ولايته (ولاية عامة)... وما أشبه دور الامام المستودع بدور الخميني في دعواه بولاية الفقيه حتى يظهر المهدي المنتظر!! مما يؤكد ان الخمينية تسير على نهج حركات الغلاة.

وهكذا غدت الدعوة الاسماعيلية في صيغتها النهائية دعوة سرية وحركة دينية - سياسية تنطوي على تعاليم لا صلة لها بالاسلام بل اقرب ما تكون الى محاولة توفيقية بين مذاهب وفلسفات مختلفة تنتهي بالفرد الى الالحاد والفوضوية والاباحية.

ان الحركات الدينية - السياسية المهمة التي انشقت عن الاسماعيلية في فترات متعاقبة هي ثلاث: القرامطة - الدروز - الحشيشية :

١- القرامطة :

تعد حركة القرامطة جزءا من الحركة الاسماعيلية وقد ارتبطت بها عقيدة وتنظيما ولكنها انشقت عنها بعد وفاة اسماعيل وابنه محمد حيث

توقفت عند محمد ابن اسماعيل ولم تعترف بموته وانتظرت رجعته وقالت بمهديته. وهذا هو الفرق بينها وبين الاسماعيلية عامة التي نقلت الامامة بعد محمد الى سلسلة من الائمة من نسله .

وقد سميت الحركة القرمطية بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها (قرمط) وهو عمدان بن الاشعث من احدى قرى الكوفة . وقد تسترت الحركة القرمطية التشيع العلوي كعادة فرق الغلاة ولكن غايتها النهائية كانت الخروج على النظام السائد واحلال نظام سياسي وعقيدة دينية جديدة بدله. وقد وجدت المبادىء القرمطية استجابة بين الجهال والعوام الذين لا يفهمون الشريعة وبين الفلاحين في سواد العراق ثم انتشرت الى بادية الشام والبحرين في الخليج العربي.

وقد تعددت آراء المؤرخين حول اصطلاح القرامطة وعزوه الى معان متنوعة نبطية وسريانية وافريقية، ويبدو ان معناها هو احمر العينين وهي صفة تلقب بها حمدان. ومن المؤرخين من يشير الى ان اصل التسمية يعود الى قرية كرامة في شمالي السودان في الصحراء الافريقية وان اصل القرامطة من السودان والزنج النازحين الى الخليج العربي والعراق ، وقد سميت الحركة باسمهم على النمط الذي سميت فيه حركة الزنج المعاصرة لهم باسم الزنج. وكما لم تكن حركة الزنج مقصورة عليهم فان حركة القرامطة لم تكن مقصورة على القرامطة بل شاركت فيها فئات اخرى متعددة.

وفيما عدا السودان والفلاحين من قرى السواد والبحرين لم تحصل الحركة على عضد قوى من البدو والاعراب على الرغم من انضمام بعض القبائل للحركة بسبب انضمام شيوخها لحمدان قرامط لاسباب سياسية مصلحية او خوفا من الارهاب والعدوان.

لا تختلف تعاليم القرامطة عن تعاليم الاسماعيلية الباطنية عامة ولذلك يضعها الغزالي ضمن التعاليم الباطنية ولاشك ان رفع شعارات الاشتراكية وانقاذ المحرومين من وضعهم السيء وسلب ثروة الاغنياء ووضعها بيد الفقراء والمستضعفين والتظاهر بالتشيع لآل البيت العلوي كانت جميعها للتظاهر وهي بعد ذلك ليست بدعة في تاريخ الغلو فقد رفعتها حركات سابقة للقرامطة كما رفعتها حركة الزنج ايضا.

اما قرامطة البحرين فقد نظمهم ابو سعيد الجنابي وكان فارسيا فتي مولده ولكنه نشأ في الخليج العربي واستطاع ان ينظم قبائل عربية تحت سلطته في هجر والاحساء. وقد شعرت السلطة العباسية بخطره فارسلت له جيشا في عهد المعتضد سنة ٢٧٨هـ/ سنة ٨٩١م فكان اول صدام مع القرامطة دحره قرامطة البحرين بسهولة.

لقد اصبحت الحركة القرمطية تحت زعامة سليمان ابن حسن الجنابي من القوة والتنظيم بحيث هاجمت البصرة سنة ٣١٢هـ/ سنة ٩٢٤م واحتلتها ونهبتها ثم انسحبت منها. كما بدأت في مهاجمة قوافل التجارة وقوافل الحجيج. وفي سنة ٣١٥هـ/ سنة ٩٢٧م هددوا بغداد. وفي سنة ٣١٧هـ/سنة ٩٣٠م نهبوا الحجر الاسود من الكعبة بهدف اعاقة الحج ونشر الفوضى والاضطراب في مكة . ولم تكن غايتهم هدم هذه الفريضة الدينية فحسب بل كان هناك دوافع دنيوية اقتصادية ذلك انما فعلوه كان بمثابة رسالة الى الخلافة العباسية ببغداد لكي تعطيهم من ارباح التجارة الوفيرة وخاصة خلال موسم الحج. وعلى ذلك فقد قرر القرامطة نهب الحجر الاسود وايقاف الحج حتى تتواصل الخلافة العباسية الى تفاهم معهم من اجل اشراكهم في ارباح تجارة الحج والمنافع المادية المتأتية منه !!

وقد امتدت خطة القرامطة لتشمل تجارة الخليج العربي والقوافل السائرة عبر بادية الشام بين بغداد ودمشق. وفي سبيل ذلك نشروا الرعب وقتلوا الابرياء من الحجاج ورموا بجثثهم في بئر زمزم وهذا يذكرنا بما قام به الخمينيون ـ قرامطة القرن العشرين ـ في حج عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م من ارهاب وتخويف وتقتيل. وما يحاولون عمله من فرض وصاية دولية على الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز وهي محاولات تخفي وراءها الحقد الشعوبي بنزع السيادة العربية والمسؤولية العربية عن هذه الاماكن المقدسة قبل الاسلام وبعده.

لقد كان موقف الخلافة العباسية حازما من القرامطة خاصة في عهود المعتضد والمكتفي. على الرغم من محاولات بعض وزراء الدولة العباسية التفاهم مع القرامطة. ولكن ذلك لم يكن مقبولا لدى الفقهاء وعلماء الدين واوساط الرأي العام الاسلامي في العراق لانهم كانوا يعدون القرامطة فرقة

متطرفة كافرة خارجة عن الاسلام، عدا كونهم لصوصا غدارين وارهابيين قتلة.
وكيف يتفاوضون مع من قتل الحجاج الابرياء ونهب الحجر الاسود؟. وقد اشار بعض الى مبادىء القرامطة كانت اباحية ومشاعية وان الرجال والنساء يجتمعون في ليلة معلومة فيختلطون.. هذا بالاضافة الى اعتقادهم بالحلول والتناسخ والوهية ائمتهم وزعمائهم ويرى البغدادي:

"ان القرامطة اعتقدوا ان الانبياء كنوح وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا اصحاب نواميس ومخاريق ، احبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرجيات واستعبدوهم بشرائعهم". (١٩)

وتقول القرامطة ان لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل وان كل من عمل بالباطن فهو الموفق والمأمون. وقد الغت القرامطة مبدأ المعاد عن طريق التأويل "فانكرت المعاد وما يتصل به من حساب وجنة ونار". وقالت "ان الصوم يومان في السنة وهما (الاعياد الفارسية) المهرجان والنوروز... ولا غسل من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة " هذا في حالة صلاتهم الصلاة المفروضة !! كما دعت الى الاباحية على طريقة الغلاة اسلاف القرامطة.

لقد تعاون القرامطة مع اعداء الدولة العباسية محاولين ايجاد السبل لاسقاطها وتشير رواياتنا التاريخية الى وجود القرامطة في معية صاحب الزنج حين ثار في جنوبي العراق سنة ٢٥٥هـ وان راشد القرمطي كان من اصحاب علي بن محمد صاحب الزنج. وفي رواية اخرى ان حمدان قرمط نفسه اجتمع بصاحب الزنج حوالي سنة ٢٦٠هـ/ سنة ٨٧٣م وعرض عليه تنسيق جهود الحركتين معا من اجل هدم كيان العرب السياسي وحضارتهم ولكن التنافس على الزعامة حال دون التنسيق والتعاون بين الحركتين.

وحين تسلط البويهيون الديالمة على مقدرات الخلافة العباسية سنة ٣٣٤هـ/ سنة ٩٤٥م ظهر ان من مصلحة الطرفين البويهيين والقرامطة التعاون في كل المجالات السياسية والاقتصادية ضد الخلافة العباسية وهذا يظهر انتهازية الطرفين واستغلالهما الدين شعارا ليس الا لتمرير اهدافهم المادية والسياسية. ولذلك حين هاجم البويهيون عمان سنة ٩٦٥م/ سنة ٣٥٤هـ لم يثيروا قرامطة البحرين. كما تقاسم البويهيون والقرامطة ارباح تجارة الخليج العربي البحرية وطرق القوافل البرية وكانت لهم مراكز مشتركة

لجمع المكوس على التجارة.

حاول القرامطة ايجاد عقيدة جديدة ، وبمعنى آخر لم تعترف القرامطة بالاسلام رغم تظاهرها بـه وكانت تتبع اسلوب الكتمان في جذب الانصار حيث كان النصير يمر بثلاث مراحل رئيسية قبل قبوله في الحركة:

الاولى – حركة التشكيك حيث يلقى النصير اراء وعقائد تشككه في مذهبه وتخرجه منه.

الثانية – مرحلة الخلع حيث يتبرأ النصير من عقيدته السابقة وتكاليفها الشرعية.

الثالثة – مرحلة السلخ حيث ينسلخ النصير من مذهبه ليتبنى مذهب القرامطة وحينئذ يصبح عضوا في الدعوة القرمطية.

ولم يعد للمسائل الاعتقادية اهمية كبيرة لدى القرامطة بعد تاسيس دولتهم ، فالمهم البعد السياسي للحركة شانها في ذلك شان حركة الزنج المعاصرة لها والتي حدثت في سواد العراق. وفي اعتقادنا ان الحركة القرمطية نبتت وترعرعت في نفس البيئة التي اوجدت حركة الزنج. وانها حاولت ان تجذب اليها نفس الفئات التي كسبتها حركة الزنج من زنج وسودان وبدو وفلاحين وعوام وجهلة وسفهاء. وكما رفعت حركة الزنج شعار التشيع العلوي قامت حركة القرامطة بنفس العمل. وكما وعد صاحب الزنج اتباعه بتمليكهم الاراضي والعبيد والنساء وعدهم القرامطة بانهم "سينقذونهم من ورطات الذل والفقر ويملكونهم مالا يستغنون به عن التعب والكد"!! ومثلما اعتمدت حركة الزنج على السلب والنهب والارهاب والتخويف كذلك فعل القرامطة في قرى العراق وبادية الشام والبحرين في القرى والمدن والقوافل التجارية وقوافل الخليج.

ولابد لنا ان نشير الى ان القرامطة لم يكن من اهدافهم العدالة الاجتماعية وتحرير العبيد لان دولتهم في البحرين كانت تملك ما لا يقل عن ثلاثين الف منهم تسخرهم في اعمال الزراعة[٢٠]!!

وكان من اهداف القرامطة اسقاط الخلافة العباسية لانها رمز سيادة العرب على المجتمع العربي الاسلامي سياسيا واداريا ، ولكنهم فشلوا في مسعاهم هذا. هذا مع العلم ان ظهورهم وتهديدهم للمدن والقرى اوجد جوا من الهلع

والترقب والفزع وشغل بغداد ردحا من الامن من اجل التصدي لحركاتهم هنا وهناك. كما ان الراى العام وقف ضدهم اضافة الى الخليفة العباسي والفقهاء وعلماء الدين واتهم الراى العام البويهيين بموالاة القرامطة ولم يوافقوا ابدا على موقفهم المتخالف معهم.

ولم يكن القرامطة على وفاق مع البويهيين او الفاطميين في مصر ذلك لانهم تدخلوا في النزاعات الداخلية ضمن العائلة البويهية مما دعا بعض امراء البويهيين الى محاربتهم ، كما ان اطماعهم التوسعية في الشام ادخلهم في حروب مع الفاطميين. وحين مجيء السلاجقة الى السلطة سنة ٤٤٧هـ/ سنة ١٠٥٥م كانوا مصممين على "جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين.." وقد شجعوا اهل البحرين على الشغب ضدهم ثم قاموا سنة ٤٦٢هـ/ سنة ١٠٦٩م بارسال حملة عسكرية الحقت الهزيمة بالقرامطة حيث انسحبوا الى الاحساء وهناك وقعت (معركة الخندق) سنة ٤٧٠هـ/ سنة ١٠٧٨م التي كتبت نهاية حركة اخرى من حركات الغلاة الباطنية وهي الحركة القرمطية.

٢ـ الدروز:

الحركة الدرزية جزء من الدعوة الاسماعيلية العامة انشقت عنها سنة ٤١١هـ/سنة ١٠٢١م حيث اعتقدت بالوهية الحاكم بامر الله العبيدي ووقفت عنده واعتقدت بمهديته وعودته.(٣١)

وقامت هذه الحركة كالعادة على ايدي الفرس الغلاة امثال حمزة بن علي الزوزني والحسن بن حيدرة الفرغاني الاخرم ومحمد ابن اسماعيل البخاري الذين الهوا الحاكم بامر الله هذا.

وكان حمزة الزوزني من رواد دار الحكمة مركز الدعوة الفاطمية في القاهرة وقد جهر بدعوته سنة ٤٠٨هـ حين قال ان الحاكم اله بطريقة الحلول اي ان روح الله حلت فيه. وقد شجع الحاكم بامر الله هذه الدعوة وكان يلتقي بالداعي وانصاره . وقد زاد نفوذ حمزة الزوزني فاصبح يلقب بالامام والحجة والرسول الذي ارسله الله (اي الحاكم بامر الله) .

ورغم ان مؤسس الدعوة هو حمزة الزوزني الا ان محمد بن اسماعيل البخاري الملقب بالدرزي هو منظم الدعوة والذي بلور عقيدتها والف فيها الكتب والرسائل. ومن هنا جاءت تسميتها بالدرزية نسبة اليه. ولكن الحركة لم تلق اهتماما كبيرا من اهل مصر الذين هددوا محمد الدرزي مما دعاه الى الهرب الى بلاد الشام لنشر دعوته هناك حيث وجد له انصارا في مناطق جبال لبنان. ويكتنف المذهب الدرزي كثير من الغموض بسبب سرية الدعوة وتكتمها وحصر اسرار المذهب لدى طائفة معينة من الدروز تسمى الطائفة الروحانية وتتكون من رؤساء وعقال واجاويد ، على ان البحوث الحديثة اثبتت ان عقيدتهم في جوهرها عقيدة اسماعيلية على الرغم من اختلافهم السياسي معهم.

وقد تباينت مواقفهم السياسية في عصر الخلافة العباسية حسب مقتضيات الظروف ففي الوقت الذي تعاونوا مع بعض امراء الشام من المسلمين ضد الحملة الصليبية. نراهم يتعاونون مع هولاكو المغولي اثناء غزوه للشام. كما انهم حالفوا العثمانيين ابان دخولهم بلاد الشام.

٣ـ الحشيشية :

هي حركة متطرفة منشقة عن الاسماعيلية عرفت لدى اتباعها باسم (الدعوة الجديدة)ولدى معاصريها باسماء عديدة منها النزارية لاعترافها بنزار بن المستنصر الفاطمي اماما بعد ابيه . والحشيشية بسبب تعاطيهم منقوع الحشيش المخدر بامر زعيمهم شيخ الجبل الحسن بن الصباح. كما عرفت في اوربا باسم السفاكين The Assassins لانها تبنت مبدأ الارهاب والاغتيال السياسي لتحقيق اهدافها. (٢٢)

وتمثل الحركة الحشيشية جهود العقائد السابقة للاسلام وخاصة المجوسية لهدم العقيدة الاسلامية وتخريبها ومن ثم احلال عقائد قديمة محلها . اما بعدها السياسي فيتضمن تدمير الخلافة رمز السيادة العربية والمعبر عن القيم والمثل العربية الاسلامية السياسية.

لقد اشرنا سابقا الى الانشقاقات او الانشطارات التي تعرضت لها الاسماعيلية ونود ان نشير هنا الى الانشقاق الذي يمت بصلة الى موضوع بحثنا "الدعوة الحشيشية الجديدة" هو الانشقاق الذي وقع بعد وفاة

الفاطمي المستنصر بمصر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م فلقد قاست الحركة الاسماعيلية التقليدية في مصر منذ وفاة الحاكم بامر الله من سيطرة قنادة الجيش على الادارة المدنية وتحكمهم في سياسة الدولة فمنذ سنة ١٠٧٤م / ٤٦٧هـ اصبح القائد الارمني امير الجيوش بدر الجمالي الحاكم الحقيقي للدولة الفاطمية ولم يعد للخليفة الفاطمي اي اثر في السياسة. كما لم تعد الدولة تعنى بامور الدعوة الاسماعيلية ونشرها في انحاء جديدة من العالم الاسلامي .

وحين توفي المستنصر الفاطمي كان امام الافضل بن بدر الجمالي خياران لا ثالث لهما فاما ان يختار للخلافة نزار الابن الاكبر للمستنصر وكان ناضجا كما عرف عن والده انه رشحه لولاية العهد وحظي كذلك بتأييد الدعاة الاسماعيلية. او ان يعين المستعلي وهو الابن الاصغر للمستنصر ولم يكن له اي فئة تؤيده او دعاة ينادون بزعامته ولكنه كان يمت بصلة المصاهرة الى الافضل بن بدر الجمالي. وقد آثر هذا الاخير ان يختار المستعلي للخلافة ضاربا عرض الحائط رغبة الخليفة السابق والدعاة الاسماعيلية . ولاشك فان المستعلي الضعيف سيكون خليفة بالاسم فقط اما الحاكم الفعلي فهو الافضل الجمالي.

لقد شق الافضل بن بدر الجمالي ، باختياره المستعلي ، الحركة الاسماعيلية الى قسمين: النزارية وهم الذين يعترفون بنزار بن المستنصر اماما للدعوة والمستعلية الذين اعتبروا المستعلي هو الامام الشرعي بعد ابيه المستنصر. وفي روايات تاريخية ان نزارا اكره على التخلي عن الامامة ثم اودع السجن مع ابنه حيث لقيا حتفهما. ولعل الافضل بن بدر الجمالي هذا كان مدفوعا عن قصد ووفق خطة مرسومة اراد بها ان يبعد الخلافة الفاطمية في مصر عن الدعوات والنشاطات الاسماعيلية المتطرفة في بلاد فارس. ولقد كان له ما اراد اذ انشقت الفرقة الإسماعيلية الشرقية في فارس بقيادة الحسن بن الصباح عن الخلافة الفاطمية ولم تعد تعترف بامامة المستعلي او بمذهبه الاسماعيلي بل دانت بالولاء الى نزار وابنائه من بعده. وفي رواية تاريخية ان المهتدي وهو احد ابناء نزار نقل الى فارس ونشأ هناك تحت رعاية الحسن بن اصباح. وبهذا بدأ التاريخ

الحقيقي للحشيشية.

"الدعوة الجديدة" في بلاد فارس:

قطعت الحركة الاسماعيلية النزارية (الحشيشية) كل علاقاتها بالخلافة الفاطمية بمصر بل عدتها - مثل الخلافة العباسية - خلافة غير مشروعة ومعادية من الواجب اسقاطها. وقد مرت الحشيشية تحت زعامة الداعية الحسن بن الصباح في بلاد فارس بفترة نشطة جدا على الصعيدين الفكري والسياسي.

اما زعيم (الدعوة الجديدة) في بلاد فارس الحسن بن الصباح، فتشير رواياتنا التاريخية بانه كان فارسي الاصل من مواليد قم او الري، درس في نيسابور حيث تلقى علوم الفقه والشريعة مع صديقه عمر الخيام وربما كذلك نظام الملك !!.

ولكن الحسن بن الصباح لم يبق على مذهبه طويلا بل اعتنق الاسماعيلية في فترة مبكرة من حياته ويحدثنا هو عن نفسه فيقول:

".. وتعرفت الى ابي نجم السراج، رغبت اليه في ان يزيد في حديثه عن مذهبه واخذت افكر عميقا في هذا المذهب (الاسماعيلي) ثم قدر لي ان اتعرف بالداعي مؤمن وكان موفدا الى مدينة الري من عبد الملك بن عطاش داعي الدعاة في العراقين فتوسلت اليه ان يقبل مني البيعة للخليفة الفاطمي بمصر فتردد الداعي ثم اجابني الى طلبي وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية..".

ويبدو ان الحسن بن الصباح هذا قد تقدم بسرعة في مراتب الدعوة الاسماعيلية وحين زار القاهرة سنة ١٠٧٨م /سنة ٤٧١هـ كان من دعاة الاسماعيلية الكبار في بلاد فارس. وفي القاهرة اتصل بالخليفة المستنصر بالله واستقى منه علوم الدعوة وتعرف اليه، كما علم منه ان ولي عهده سيكون ابنه الاكبر نزار. ولكن اقامة الحسن بن الصباح في مصر لم تدم طويلا حيث ازعجت فعالياته الوزير بدر الجمالي فعمل على اخراجه من مصر بشتى الوسائل. وقد جاب الحسن بن الصباح العديد من الاقطار بعد خروجه يدعو للمذهب الاسماعيلي وللخليفة المستنصر، فزار الشام والعراق

والاحواز (خوزستان) ومدن عديدة في ديار العجم ، وحين علم الحسن بن الصباح ما حل بنزار بن المستنصر في مصر هاله ذلك فانشق عن الدعوة وتبرأ من الامام الجديد واتهم الدعاة بالتآمر على المذهب الاسماعيلي وبد يفكر بضرورة القيام بحركة سريعة لتأسيس دولة اسماعيلية جديدة في بلاد فارس تكون مقرا للنزارية.

لقد كانت سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م منعطفا مهما في تاريخ الحركة الحشيشية في فارس حين تمكن الحسن بن الصباح ان يستولي على قلعة آلموت (بالعربية عش العقاب) وهي قلعة منيعة جنوبي بحر قزوين شمالي غربي مدينة قزوين. وقد نجح الحسن بن الصباح ان يكسب الكثير من سكان الديلم واذربيجان المجاورين لمركزه في آلموت ولم تمض مدة طويلة حتى استطاع الحسن بن الصباح ان يجند اعدادا كبيرة من المغامرين الارهابيين الذين عرفوا باسم "الفداوية" ، والذين غدوا وسيلة بيد الحسن بن الصباح لتحقيق اهدافه عن طريق العنف والارهاب واغتيال الخصوم وتصفيتهم .

وقد نقل العديد من المؤرخين المحدثين القصة التي ذكرها الرحالة الاوربي ماركو بولو الذي زار حصون الحشيشية في القرن الثالث عشر الميلادي ، وفي القصة تظهر الطريقة التي كان الحسن بن الصباح يدرب فيها اتباعه ومريديه من "الفداوية" تدريبا ذهنيا وجسديا تقول القصة :

ان شيخ الجبل ـ الحسن بن الصباح ـ انشأ في واد يقع بين جبلين حديقة فيحاء فسيحة فيها انواع الفاكهة والزهور وبنى فيها مقصورات ذات نقوش . واجرى في الحديقة انهارا من خمر ومن عسل ومن لبن واسكن فيها الفتيات الجميلات من حور العين والفتيان من الولدان المخلدين. واشاع فيها جوا مرحا وموسيقيا غنائيا راقصا.

وقد دبر ذلك كله لفتنة مريديه من الفداوية الذين تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والعشرين . وكان شيخ الجبل يدخلهم جنته جماعات صغيرة حيث يسقيهم من منقوع الحشيش فينامون ثم ينقلون الى داخل الجنة فاذا ما استيقظوا وجدوا انفسهم بين هذه الملذات . في جنة الشيخ.

فاذا ما اراد شيخ الجبل اغتيال احد خصومه امر احد "الفداوية" بذلك واعدا اياه بالجنة التي رآها وعاش فيها

اضافة الى الطاعة العمياء التي اتصف بها هؤلاء الارهابيون "الفداوية" فقد كانوا مدربين باتقان على حمل السلاح . ومن المهم ان نلاحظ هنا بان السلاح الذي كان يستعمله هؤلاء كان على الدوام الخنجر او السكين الحادة. فهم لم يستعملوا على الاطلاق السم او اي نوع اخر من السلاح. كما ان الاغتيال كان يعد لدى الحشيشية واجبا دينيا ذا صفة مقدسة!!.

لقد عاث الحشيشية فسادا وعبثوا بالأمن العام واقلقوا الناس وارعبوهم لكثرة ما كانوا ينفذونه او يهددون بتنفيذه من اعمال الاغتيال والارهاب . وينقل المؤرخ العماد الاصفهاني وصفا لحالة المجتمع الاسلامي في القرن الخامس الهجري فيقول:

"فنابت النوائب وظهرت العجائب وفارق الجمهور من بيننا جماعة نشأوا على طباعنا وكانوا معنا في المكتب واخذوا حظا وافرا من الفقه والادب.

وكان بينهم رجل من اهل الراي ساح في العالم وكانت صناعته الكتابة فخفى امره حتى ظهر وقام . فاقام من الفتنة كل قيامة واستولى في مدة قريبة على حصون وقلاع معينة وبدأ في القتل والفتك بامور شنيعة وخفيت عن الناس احوالهم ... واخافوا السبل واجالوا على الاكابر الاجل ... ولم يجد احد من الملوك في حفظ نفسه منهم حيلة"!!.

ومنذ البداية حاول الحسن بن الصباح ان يحصن نفسه واتباعه في قلاع متناثرة في اقاليم وعرة مثل قزوين والجبال واذربيجان وبقيت قلعة آلموت المركز الرئيسي ومقر الحسن بن الصباح الذي عد نفسه نائبا عن الامام النزاري . وقد جلب له اسلوبه المعتمد على العنف والاغتيال وبث الرعب بين الناس الكثير من الاتباع خوفا او طمعا ، وهكذا كان بامكانه ان يعتمد على "الرتل الخامس" المنتشر في العديد من مدن الخلافة العباسية او الاقاليم التابعة للسلاجقة او للفاطميين . وكان امام العديد من الامراء خيارا ن اما التعاون مع الحشيشية او الاغتيال على ايديهم. وفي قائمة ضحاياهم العديد من الخلفاء والوزراء والامراء والسلاطين لعل من اشهرهم الخليفتين العباسيين المسترشد والراشد والخليفة الفاطمي الآمر والوزير نظام الملك وامراء مسلمين وصليبيين في بلاد الشام كما حاولوا اغتيال ملكشاه السلجوقي وصلاح الدين الايوبي الا انهم اخفقوا.

وقدمرت الدعوة الحشيشية الفارسية خلال الفترة العباسية موضوع البحث بدورين رئيسيين :

(١) دور الستر الاول من ٤٨٨هـ - ٥٥٧هـ كانت الدعوة خلال هذا الدور بيد داعي الدعاة وكبار الدعاة .واولهم الحسن بن الصباح الذين ينوبون عن الامام المستور من ابناء نزار. وقد توفي الحسن بن الصباح سنة ١١٢٤/٥١٨م وهو في نحو التسعين من عمره. قضاه في نشر الدعوة الحشيشية واساليبها الرهيبة وطابعها العنيف الذي عرفت به في التاريخ. وقد اوصى في وصيته الى اثنين احدهما للزعامة الروحية والثاني للزعامة الدنيوية وقيادة "الفداوية" .

(٢) دور الظهور الاول ويبدأ باعلان الحسن بن محمد امام الحشيشية الفارسية امامة الظهور وادعاءه بانه من نسل نزار سنة ٥٥٧هـ وينتهي هذا الدور باجتثاث المغول بقيادة هولاكو لقلاع الحشيشية في بلاد فارس واستيلائهم على آلموت وقتلهم امام الحشيشية ركن الدين خورمشاه سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٥م.

الصراع مع السلاجقة في بلاد فارس:

يقول المؤرخ ابن الاثير ان اول قتيل للحشيشية في بلاد فارس كان مؤذنا من ساوة دعاه الحشيشية لكي ينضم الى حلقتهم فرفض فخشوا ان يفشي اسرارهم للسلطة فقتلوه. وفيما بلغت الانباء الوزير نظام الملك امر بقتل رئيس الطقة طاهر النجار فمثل بجسده وجره العامة في السوق وهذا "اول اسماعيلي يقتل" في فارس كما يقول ابن الاثير ايضا:

الا ان السلطة السلجوقية لم تهمل خطر الحشيشية فقد ارسل ملكشاه السلجوقي سنة ١٠٩٢م حملتين واحدة ضد قلعة آلموت والثانية ضد قوهستان. ولكن الحملتين لم تحققا اهدافهما المنشودة . بينما توصل الحشيشية في نفس السنة الى احراز اكبر نصر لهم على الساحة السياسية الا وهو قتل عدوهم اللدود الوزير نظام الملك حيث جاءه احد الفداوية بري صوفي في منطقة نهاوند وضربه بسكين في رمضان ٤٨٥هـ/ تشرين الاول ١٠٩٢م فكان مقتله بداية سلسلة طويلة من اعمال الاغتيال السياسي والارهاب لملوك

وامراء وقادة وحكام وفقهاء ووزراء.

لقد كان هؤلاء الفداوية الحشيشية زمرة ارهابية - من وجهة نظر السلطة السلجوقية - من الواجب قتلهم وكما قال احد الفقهاء "ان سفك دم باطني اكثر ثوابا من قتل سبعين كافر رومي". اما بالنسبة للحشيشية فان الفداوية يمثلون جماعة مخلصة اشد اخلاص وانهم بتفانيهم في مهاجمة الظالمين من الحكام يقدمون البرهان النهائي لاخلاصهم وينالون شرف "الشهادة" ثم الجنة !!

لقد استمر الحسن بن الصباح في كسب الاتباع وكان منهم حكام لمدن فارسية كما استولى على قلاع جديدة وخاصة ان السلاجقة بعد موت ملكشاه دخلوا في صراع على السلطة بين السلطان الجديد بركياروق واخيه سنة ١٠٩٢م محمد تير. بل اكثر من ذلك فان بركياروق ساعد سريا نشاطات الحشيشية ضد اخيه وخاصة حشيشية قوهستان. ومن محاولات الاغتيالات السياسية في الموت الى حوالي خمسين اغتيالا وقع في عهد الحسن بن الصباح بدءا بنظام الملك وان اكثر من وضعها تعود الى هذه الفترة من حكم بركياروق.

في سنة ١١٠٠م انتصر بركياروق على اخيه ولما كان الحشيشية قد ساعدوا عن طريق الارهاب السياسي والاغتيالات في تحقيق هذا النصر فقد كان على بركياروق ان يمنحهم بعض الامتيازات او على الاقل تقدير ان يتغاضى عن نشاطهم. وقد تغلغلوا بالفعل في البلاط السلجوقي والاكثر خطورة في الجيش السلجوقي فكسبوا العديد من الجند والقادة. كما هددوا كل من يعارضهم بالاغتيال. ولهذا كان الامراء يلبسون الدروع والزرديات تحت ثيابهم "واستأذنوا السلطان برقياروق بالدخول عليه بالسلاح واعلموه بخوفهم من اعدائهم فأذن لهم"!!

لم يستمر تغاضي بركياروق عن الحركات الحشيشية فخطرهم المتزايد وضغط الامراء والاتباع عليه جعله يغير من سياسته تجاه الحشيشية فقد اتفق سنة ١١٠١م مع السلطان سنجر امير خراسان للقيام بعمل مشترك ضدهم في قوهستان وطبس وهدمت العديد من القلاع الحشيشية الذين خضعوا للسلاجقة وتعهدوا بعدم بناء حصون جديدة اوشراء سلاح جديد او الاستقرار في الدعوة الى مذهبهم. ولكن الرأي العام الاسلامي لم يكن راضيا عن سنجر لعقده

اتفاقية مع الحشيشية بل كان من الاصوب تدميرهم واجتثاث اصولهم.

اما في اصفهان وبعض مناطق العراق فان بركياروق لم ينظم حملة عسكرية جدية ضدهم ولكنه سمح للناس في اصفهان بتتبعهم وقتل العديد منهم في اصفهان وكذلك في بغداد حيث احرقت الكثير من الكتب الاسماعيلية.

ولكن الارهاب الحشيشي الجبان عن طريق الاغتيال استمر حين اغتيل مفتي اصفهان في الجامع وكذلك محتسب بيهق وزعيم الكرامية في مسجد نيسابور!!

لقد بذل السلطان الجديد محمد تبر جهدا مضاعفا ضد الحشيشية بعد توليه السلطة سنة ١١٠٥م فلم يكن عنده امر اهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم".

ففي سنة ١١٠٧م / سنة ٥٠١هـ استولى على قلعة اصفهان واسر زعيمهم ابن عطاش وشهر به في شوارع اصفهان ثم قتله وارسل راسه الى بغداد. وفي هذه المناسبة اصدرت السلطة السلجوقية في غربي فارس منشورا اعلنت فيه انتصارها على الحشيشية في اصفهان ومما جاء فيه:

".. وكان حقا علينا ان نجاهد عن حمى الدين ونركب الصعب والذلول في مقارعتهم ولو الى الصين".

وفي العراق تنازل الحشيشية عن تكريت التي ملكوها حوالي اثنتي عشرة سنة. وكذلك هوجمت قلاع الحشيشية في قوهستان وارجان. ورغم ان السلطان السلجوقي ارسل وزيره احمد بن نظام الملك للاستيلاء على قلعة آلموت سنة ١١٠٧م لكن الحملة لم تحقق غايتها . ولما كان الوزير احمد الذي قتل ابوه واخوه فخر الملك على يد الحشيشية مصمما على معاقبة الحشيشية فقد حث السلطان على بدء حرب الاستنزاف اذ كانت القوة العسكرية غير قادرة على اخضاع الموت. وقد استمرت الحرب زهاء السنة ٥١١/١١١٧هـ - ٥١٢/١١١٨هـ ولكنها انتهت بموت السلطان محمد في اصفهان.

"فتشتتت العساكر وترك الملاحدة احياء بل انهم استولوا على المؤن والسلاح الذي تركته العساكر في مكان الحصار".!!

ويبدو من بعض المصادر التاريخية ان سبب انسحاب الجيش السلجوقي لم يكن بسبب موت السلطان محمد بل بسبب مؤامرة دبرها احد الوزراء السلاجقة ناصر بن علي الدركزيني الذي سمم قلب السلطان الجديد محمود بن محمد ضد قائد الحملة مما ادى الى تشتت الجيش .

وبعد موت السلطان محمد دخل السلاجقة في صراع جديد فيما بينهم حول السلطة وهذا ما جعل الحشيشية تتنفس الصعداء وتتخلص من الضغط المتزايد عليها. على ان الحشيشية قبل هذه الفترة وخلالها استمروا في تدبير عمليات الاغتيال والتخطيط للأرهاب السياسي فقتلوا عبد الله الخطيب قاضي اصفهان سنة ١١٠٩م كما حاولوا اغتيال الوزير احمد بن نظام الملك لكنهم نجحوا في جرحه فقط. ووقع كذلك العديد من الضحايا من قضاة وفقهاء ومشايخ بخناجر الفداوية الحشيشية.

توفي الحسن بن الصباح سنة ١١٢٤م / ٥١٨هـ ولكن قبل وفاته جرت مفاوضات بين ألموت والقاهرة من اجل راب الصدع والعودة الى الوفاق الا ان الفاطميين بمصر والحشيشية بفارس تمسكوا بوجهات نظرهم مما ادى الى اخفاق المفاوضات. وكان الحسن بن الصباح قد اختار قبيل وفاته خليفته وهو بزرك أميد. وقد شجع موت الحسن بن الصباح السلطان السلجوقي سنجر على القيام بعدة حملات ضد الحشيشية سنة ١١٢٦م. وكان وزيره معين الدين الكاشي المدبر لهذه الحملات :

"بغزو الباطنية وقتلهم اينما كانوا وبنهب اموالهم وسبي حريمهم .. وسير الى كل طرف من اعمالهم جمعا من الجند واوصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم".

كما قاد سنجر بنفسه حملة اخرى ضد الموت وقتل اكثر من عشرة الاف من الحشيشية ولكن الحشيشية مالبثوا ان انتقموا من الوزير الذي اغتيل سنة ١١٢٧م.

على ان استمرار النزاع بين امراء السلاجقة زاد من قوة الحشيشية. فقد اغتالوا الخليفة العباسي سنة ١١٣٩م حين وقع اسيرا بيد مسعود السلجوقي. وتتهم بعض الروايات السلطان مسعود بالتواطؤ مع الحشيشية او بالتغاضي والاهمال المتعمد في حراسة الخليفة من خناجر الحشيشية. وقد تبرع ذلك

سلسلة من الاغتيالات خلال حكم بزرك أميد زعيم الحشيشية لعدد من الحكام والمفتين والمحتسبين.

واستمرت الاغتيالات خلال حكم محمد بن بزرك اميد الذي جاء للسلطة سنة ١١٣٨م وكان من بين الضحايا الخليفة العباسي الراشد بن المسترشد!!

على ان الحركة الحشيشية في بلاد فارس لم تبق على حيويتها التي كانت عليها ايام الحسن بن الصباح بل غدت قلاعهم مراكز لاسر حاكمة اقليمية وليست رأس حربة للأنقضاض على الخلافة العباسية وتاسيس دولة نزارية كبرى. كما ان الحركة الحشيشية قد دخلت في متاهات عقائدية حين اظهر الحسن االثاني بن محمد (١١٦٢-١١٦٦م) اراءه الجديدة بطرح الفرائض وعدم اقامة الشعائر وانه خليفة الامام المستور وحجته الحية. وانقسم الحشيشية بين متقبل للتفسير الجديد ورافض له. فاستخدم الحسن الثاني سياسة تعسفية لفرض تعاليمه. ولكن حفيد الحسن الثاني وهو الحسن الثالث بن محمد (١٢١٠-١٢٢١م) امر باقامة الفرائض الدينية وبناء المساجد وعاد الى الاسلام الصحيح كما تحالف مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله . وساعد الحسن الثالث الخلافة العباسية في صراعها ضد الخوارزمية. الا ان هذه لم تكن سياسة ثابتة للحشيشية الذين تذبذبوا بين العباسيين والخوارزميين. كما انهم حالوا ان يتقربوا للمغول حين بدأ خطرهم واضحا على المشرق خاصة بعد ان انهارت دولة الخوارزمية. ومهما كان نوع التفاهم بين الحشيشية والمغول فانه لا يمكن ان يستمر طويلا فقد قضى هولاكو على قلاعهم ودمرها تدميرا تاما سنة ١٢٥٦م قبل وصوله الى العراق . ولابد ان نشير هنا بان الحشيشية نقضوا تعاليم الحسن الثالث بعد اغتياله من قبل احد الفداوية وعادوا سيرتهم الاولى وعقيدتهم الباطنية القديمة. ولهذا فان هولاكو الوثني يطلق عليهم اسم (الملاحدة) .

"الدعوة الجديدة " في الشام:

ان الوضع السياسي المتدهور في بلاد الشام حيث الامارات والاتابكيات السلجوقية المتنازعة بعضها مع بعض وكذلك الاطماع الصليبية الاوربية في بلاد الشام ، ان هذا الوضع هو الذي اغرى الحشيشية الفارسية التركيز على

بلاد الشام بحسبانها تربة خصبة للدعوة الجديدة. خاصة ان بلاد الشام عرفت النشاط الاسماعيلي منذ فترة مبكرة حين كانت سلمية (قرب حماه) مركزا للدعوة السرية. ثم ان اجزاءا كبيرة من بلاد الشام وقعت تحت سيطرة الدولة الفاطمية الاسماعيلية لفترة طويلة نسبيا وكذلك تحت سيطرة القرامطة.

هذا ولا ننسى ان اقليات فارسية كانت قد استوطنت في شمالي وشمالي غربي بلاد الشام منذ فترة متقدمة وان مثل هذه الآراء المتطرفة تلقى قبولا لديهم. يقول البلاذري في فتوحه (ج١ ص١٧٥):

"ونقل معاوية بن ابي سفيان الى انطاكية في سنة اثنتين واربعين جماعة من الفرس"

وفي موضع اخر يقول "اسكن معاوية ثلاثة الاف من اهل خراسان طرسوس". وفي انطاكية استقر قوم من الفرس منذ العصر الاموي (ج١ ص٢٠١).

كما نقل خلفاء بني العباس الاوائل مثل المنصور والمأمون والمعتصم اعدادا من اخلاط الناس مثل الفرس والزط والسيابجة ممن احدثوا بعض الفتن والاضطرابات في جنوبي العراق الى مناطق الثغور على نفس الطريقة الاموية (راجع فاروق عمر، الخلافة العباسية، بغداد، ١٩٨٦).

ولعل ما اشرنا اليه يظهر ان هذه المستوطنات والبؤر الفارسية في شمالي بلاد الشام وحول حلب وانطاكية والسواحل الشامية كانت المواطن التي عشعشت ونمت فيها تعاليم الباطنية والغلو. وهذه الاماكن هي نفسها التي تحرك عليها الدعاة الفرس من الحشيشية وغيرهم نجحوا في كسبنها الى فرقهم.

كل هذه العوامل جعلت الحسن بن الصباح الفارسي يحاول جر بلاد الشام الى نفوذ الدولة الحشيشية في بلاد فارس. وقد بدأت فعاليات الدعاة الحشيشية في بلاد الشام مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري، ووجدت تجاوبا مقبولا لدى انصار الاسماعيلية هناك الذين وقعوا بين نارين: السلاجقة والصليبيين فكانت الدعوة الحشيشية الفارسية منقذا لهم بل ملجأ للتخلص من الضغط الموجه اليهم من هاتين القوتين الجديدتين في بلاد الشام.

ولابد من الاشارة بدءا بان زعماء الحركة الحشيشية في بلاد الشام كانوا جميعا من الدعاة الفرس ارسلهم زعيم الحشيشية الفارسية الحسن بن الصباح من الموت وزودهم بتعليماته واوامره. ثم انهم استمروا يتلقون التعليمات والاوامر من بلاد فارس حتى تسلم راشد الدين سنان بن سلمان زعامة الحشيشية في بلاد الشام بعد سنة ١١٦٢م/سنة ٥٥٨هـ فاستقل بها عن الحشيشية الفارسية خلال حياته فقط اذ عادت فارتبطت بفارس مرة اخرى بعد وفاته. وقد بذل زعماء الحشيشية قبل راشد الدين سنان جهدهم لتثبيت مركزهم في بلاد الشام عن طريق الاستيلاء على حصون وقلاع منيعة في ارجاء مختلفة من الاقاليم ، فكونوا جيوبا منيعة يبثون منها دعوتهم وينشرون مبادئهم ويرسلون انصارهم لبث الرعب عن طريق الاغتيال . ولهذا نرى عددا من امراء بلاد الشام من سلاجقة او اتابكة او صليبيين يتعاونون معهم اما خوفا من القتل او طمعا في كسبهم واستخدامهم في قتل خصومهم ومنافسيهم.

ولعل اول زعيم للحشيشية السورية تشير اليه رواياتنا التاريخية هو اسعد الملقب بالحكيم المنجم ، الذي ظهر في حلب مع بدايات القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري. وكان امير حلب السلجوقي الامير رضوان ميالا الى الحشيشية لا عن عقيدة او ايمان بتعاليمها ولكن ليكسب اتباعها الى جانبه ليزيد بها قوة جيشه اولا وليهدد خصومه السياسيين بالاغتيال بخنجر "الفداوية الحشيشية" والواقع ان الامير رضوان كان شخصية انتهازية لم يتورع قبل هذا التاريخ من اعلان ولائه للفاطميين بمصر ثم عاد فوالى العباسيين في بغداد ، ويبدو انه وجد ان الظروف السياسية تحتم عليه ان يتعاون مع الحشيشية في سورية. وهكذا توطدت علاقاته بالحكيم المنجم زعيم الحشيشية وسمح له بان يؤسس مركزا لبث الدعوة الحشيشية سمي (دار الدعوة)[(١٤)] . لقد اصبحت حلب في عهد الامير رضوان ملجأ للحشيشية وقد وفد عليها العديد من الحشيشية من بلاد فارس الذين فروا من مطاردة السلاطين السلاجقة لهم وتضييق الخناق على ارائهم المتطرفة. وفي رواية تاريخية معلومات توضح ازدهار الحشيشية في حلب حيث تقول:

"وكثروا (الحشيشية) وصار لهم في حلب دار دعوة وعظم شأنهم وصار كل من يجني جناية منهم منعوه وحرسوه وكاتبوا الملوك في امره حتى يخلصوه

فكثر بذلك اتباعهم واشتهر امرهم واشتدت شوكتهم. وصار الرجل منهم يلقى الرجل من غيرهم فينزع عنه ثيابه ولا يقدر الامتناع منه ولا يجد ناصرا ؛ يلقى احدهم المرأة والصبي في الطريق فيقبض عليه ويذهب به انى شاء ولا يقدر احد على استخلاصه منه". !!

ان سياسة الامير رضوان تجاه الحشيشية اتت اكلها ، فالظاهر ان هذا الامير لم يكن على علاقة وطيدة مع اخيه دقماق امير دمشق ولا مع صهره جناح الدولة امير حمص ولهذا استخدم الحشيشية لاغتيال جناح الدولة امير حمص ، وقد قاموا بالفعل بالمهمة وقتلوا جناح الدولة بالمسجد الجامع سنة ٤٩٥هـ .. فكان اغتياله فاتحة عمليات ارهابية عديدة في بلاد الشام ، فقد اغيتل بعده مباشرة قاضي حلب الذي هاجم في المسجد الجامع سياسة رضوان تجاه امراء المسلمين بالشام واعتماده على الحشيشية حتى اصبح العوبة بين ايدي زعيمهم. وقد اغتيل هذا القاضي الجرىء الذي لا يخشى من قول الحق لومة لائم فكان مصيره الاستشهاد على يد الحشيشية دون ان تقبض شرطة رضوان على القاتل !!. بل على العكس غدت حلب قاعدة تدار منها فعاليات الحشيشية بقيادة الداعي للأستيلاء على قلاع وحصون جديدة في بلاد الشام بحيث ازدادت جيوب الحشيشية زيادة كبيرة حتى بلغت في نهاية المطاف في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ثمانية حصون خطيرة هي بانياس ومصياف والقدموس والكهف والخوابي والمنيفة والقليعة والرصافة هذا اضافة الى قلاع اخرى اقل اثرا وانصارا من الاقليات في مدن بلاد الشام

ورغم ان الامير رضوان امير حلب انقلب في اواخر ايامه على الحشيشية بعد هزيمتهم امام الصليبيين وعد ازديا د سخط اهل حلب عليهم ، فتبرأ منهم وقتل بعضهم ، الا ان ردود الفعل العنيفة جاءت بعد موت الامير رضوان سنة ٥٠٧هـ / سنة ١١١٣م مباشرة حيث انتقم اهل حلب من الحشيشية فكانت مذابح قاسية في شوارع المدينة وقتلت الجماهير الغاضبة الداعية الحشيشي ابا طاهر الفارسي ومثلت بجثته وطافت براسه . ويقول مؤرخ حديث:

"واخذ اهالي حلب بالمحنة ، فمن كان اسماعيليا قتل حتى اضطر عدد منهم الى الخروج من البلد وكثرت الوشايات بينهم حتى لم يبق في حلب

اسماعيلي (حشيشي) واحد يظهر مذهبه ".

الا ان الحشيشية الذين فروا من حلب الى قلعة شيزر ردوا على هذه المذابح باغتيال نائب امير حلب (الرئيس) ابن بديع بعد فترة وجيزة وكان المدبر لهذه العملية داعية شيزر ابراهيم العجمي .

واهم من هذا وذاك هو نجاح الحشيشية في الشام بتحقيق هدف من اهم اهدافها خلال هذه الفترة الا وهو اغتيال الامير مودود امير الموصل وقائد الحملة السلجوقية في بلاد الشام ، فقد اغتالته خناجر الفداوية الحشيشية في دمشق سنة ١١١٣م/٥٠٧هـ . ولعل السبب الرئيس في اغتياله يعود الى خوف الحشيشية من احتمال ازدياد قوته في بلاد الشام بحيث يتمكن في النهاية من توحيدها والقضاء على كل نفوذ للحشيشية فيها وذلك بالاستيلاء على جيوبها الواحدة تلو الاخرى. ومما يؤسف له ان تجد الحشيشية امراء يتعاونون معها – كما تشير الى ذلك بعض المصادر – مثل طغتكين اتابك دمشق وقبله امير حلب ضد مودود امير موصل !!

لقد استمر الحشيشية في بلاد الشام على سياستهم الارهابية في الاغتيال وبث الهلع في النفوس فكان ضحيتهم التالية صاحب الموصل قسيم الدولة اقسنقر البرسقي الذي اغتيل في مدينة الموصل سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م يوم الجمعة بالجامع وهو يؤدي صلاة الجمعة مع الناس.وفي رواية تاريخية ان واحدا من الفداوية الذين شاركوا في اغتيال البرسقي هرب بعد العملية الى بلدته في بلاد الشام فلما علمت والدته بعودته حيا ازعجها الخبر فبكت بكاء شديدا لان ابنها لم "يستشهد".

ان اغتيال الاميرين مودود واقسنقر في الموصل من الحشيشية انقذت ، دون شك ، الحشيشية من عدوين لدودين وهبا نفسيهما لخدمة الاسلام وانقاذه من خطط الحشيشية ومذهبها الباطني البعيد عن تعاليم الاسلام والمعادي للعروبة. يقول ابن الاثير في صاحب الموصل البرسقي :

"كان خيرا يحب اهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة . . . ".

لقد كان امراء الموصل من الاتابكة مصدر ازعاج دائمي للحشيشية سواء في فارس ام بلاد الشام ذلك لان اتابكية الموصل كانت الاقوى عسكريا بين

الاتابكيات الاخرى في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام. كما ان موقع الموصل السوقي والجغرافي بين فارس والشام وعلى طريق خط المواصلات بين الاقليمين اعاق الى درجة كبيرة الاتصال بين حشيشية فارس وحشيشية الشام واخيرا فان علاقات اتابكة الموصل الجيدة بصورة عامة مع الامراء السلاجقة وميولهم التوسعية اتجاه بلاد الشام ....كل هذه العوامل جعلتهم مصدر تهديد وقلق دائم لفعاليات الحشيشية على السواء. ولذلك فان الحشيشية ـ كما لاحظنا سابقا ـ اغتالت اميرين من امراء الموصل ، كما ان علاقاتها بالاسرة الزنكية التي تولت حكم الموصل بعد ذلك لم تتغير بل زادت عداء لدرجة ان الحشيشية حاربت مع ريموند امير انطاكية الصليبي ضد جيوش نور الدين محمود صاحب حلب.

اما في دمشق فقد كررت الحشيشية خططها التي طبقتها في حلب مع طفتكين اتابك دمشق واستطاع الداعية الحشيشي اسماعيل الفارسي الذي كان زعيم الحركة الفارسية في بلاد الشام ان يحصل من طفتكين على قلعة بانياس الحصينة واتخذها مركزا له . بل ان اسماعيل الفارسي نجح في تأسيس "بيت الدعوة" في دمشق حتى صار وكرا لبث الآراء الباطنية في بلاد الشام باجمعها ، ويختلف المؤرخون حول المسؤول الحقيقي عن هذه السياسة الطائشة في دمشق بينما يضع ابن القلاسي اللوم كل اللوم على الوزير الدمشقي ابي علي طاهر المزدقاني الذي وقع تحت تاثير الحشيشية ونفذ مطاليبهم الى درجة انه عين احد الحشيشية قاضيا على دمشق !!، فان ابن الاثير يلوم طفتكين على هذه السياسة. ويبدو ان طفتكين تحمل الحشيشية لفترة من الزمن بسبب الظروف السياسية في بلاد الشام وكان يتحين الفرصة المناسبة لضربهم. ولذلك فان الامور حين سارت نحو الاسوأ واتصل القاضي المزدغاني بملك بيت المقدس الصليبي وفاوضه على تسليم دمشق للصليبيين مقابل تسليم الصليبيين لمدينة صور للحشيشية ، وعلم الامير بوري بن طفتكين صاحب دمشق الجديد بالمؤامرة الحشيشية ـ الصليبية اسرع الى قتل المزدقاني بتهمة الخيانة العظمى وطارد الحشيشية في دمشق وقتل منهم ما يقارب ٦٠٠٠ شخص. وهكذا اخفقت المؤامرة وانسحب الصليبيون عن دمشق سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م دون ان يحققوا اهدافهم فعرجوا الى بانياس

قلعة الحشيشية واحتلوها لعدم تنفيذ الحشيشية لوعدهم ولم ينسحبوا منها الا بعد حوالي ٤ سنوات!!. وهكذا فان رد الفعل الذي حدث مع موت طفتكين سنة ١١٢٨م/٥٢٢هـ في دمشق ضد الحشيشية يشبه تماما رد الفعل الذي وقع في حلب بعد موت رضوان. يقول ابن الاثير:

"...ونادى (صاحب دمشق) في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ٦٠٠٠ نفس وكان ذلك في منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم".

على ان الحشيشية على الرغم من تزعزع نفوذهم في بلاد الشام وطردهم من دمشق لم ينسوا الامير بوري وخططوا لاغتياله وقد هاجمه بالفعل اثنان من الحشيشية الفرس الذين نجحوا في الدخول في صفوف جنده باعتبارهم من الترك وانقضوا عليه سنة ١١٣١م/٥٢٦هـ. وتوفي بوري متأثرا بجراحه بعد سنة من الحادثة.

اما فيما يتعلق بعلاقة الحشيشية في بلاد الشام مع الغزاة الصليبيين ببلاد الشام فلابد لنا ان نشير هنا انه في الوقت الذي كان الحشيشية يرهبون العرب المسلمين في بلاد الشام بعملياتهم التخريبية وفي الوقت الذي وقع العديد من الامراء المسلمين ضحية لخناجرهم نلاحظ ان تصادما فعليا وجادا بينهم وبين الفرنك الصليبيين لم يقع خلال هذه الفترة بل ان رواياتنا التاريخية تشير الى ان الهاربين الحشيشية من دمشق وحلب وبانياس كانوا يجدون ملجأ امينا لهم في الحصون الصليبية. ويرى ابن الاثير بان احتلال الصليبيين لبانياس التابعة للحشيشية بعد اخفاق المؤامرة على دمشق كان لحمايتها وبطلب من الداعية الحشيشي نفسه !!.

اما في مصر فان الاحداث السياسية التي وقعت فيها تدل على خطط الحشيشية ومطامعها التوسعية خلال النصف الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. "فالدعوة الجديدة" التي ظهرت في قلعة الموت في بلاد فارس لم تكن لترتضي لنفسها الانتشار في بلاد فارس وحدها بل ارسلت دعاتها الى اقاليم عديدة لتصدير "دعوتها الجديدة" ونشرها وقد وجدت بالفعل موطىء قدم لها في بلاد الشام واستولت على قلاع كثيرة وكسبت اعدادا كبيرة من السكان. ثم ما لبثت هذه الدعوة ان وجهت نشاطها نحو

مصر مركز الدولة الفاطمية ومذهبها الاسماعيلي التقليدي (الدعوة المستعلية) . وقد اثار الدعاة الحشيشية عددا من القلاقل والاضطرابات داخل مصر خلال هذه الفترة . وقامت الدولة الفاطمية بدعاية فكرية نشطة في مصر لمجابهة الدعاية الحشيشية المضادة ، كما ارسلوا عددا من الدعاة لمناقشة الدعاة الحشيشية في بلاد الشام ودحض افكارهم ونظرياتهم. الا ان المناقشة الفكرية في جو هادىء لا تجدي، نفعا من وجهة نظر الحشيشية ولهذا عمدوا كعادتهم الى استخدام اسلوب التصفية الجسدية بالاغتيال. واذا كان مقتل امير الجيوش المصرية الافضل ابن بدر الجمالي سنة ١١٢١م/٥١٥هـ امرا يختلف حوله المؤرخون اذ يشير بعضهم الى ان خناجر الحشيشية اسهمت دورها في ذلك ، بينما يعارضهم في هذا مؤرخون اخرون ، فان مقتل الخليفة الفاطمي الآمر سنة ١١٣٠م/٥٢٥هـ كان من صنع الحشيشية باتفاق المؤرخين.

لقد قضت الحشيشية حوالي ربع القرن التالي (الفترة بين ١١٣٠م وحتى ١١٦٢م/٥٥٨هـ) حين تسلم زعيمها الجديد راشد الدين سنان رئاسة الحركة مبعوثا من الداعية الحشيشي في فارس ... قضت هذه الفترة في تثبيت موقعها بالحصول على قلاع وحصون جديدة في بلاد الشام وبث دعوتها بين الناس من اجل كسب اكبر عدد ممكن. على ان الحشيشية نفذت خلال هذه الفترة عمليتي اغتيال ذهب ضحيتها سنة ١١٤٩م/سنة ٥٤٤هـ الضحاك بن جندل شيخ وادي التيم وبعده بحوالي السنتين اغتال الحشيشية الكونت ريموند الثاني امير طرابلس الصليبي. ولابد من الاشارة الى هذا الامير الصليبي هو اول ضحية من الصليبيين بيد الحشيشية.

راشد الدين سنان زعيم الحشيشية في بلاد الشام:

مرت الحركة الحشيشية السورية بفترة من الازدهار والقوة حيث تسلم قيادتها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد مبعوثا من الداعية الفارسي الحشيشي الحسن الثاني ابن محمد (ت سنة ١١٦٦م) . ويعود راشد الدين ابن سنان في الاصل الى البصرة حيث ولد في احدى قراها المعروفة باسم عقر السودان وهي قرية على الطريق بين البصرة وواسط. وقد بدأ سنان حياته العملية معلما كما انه كان مولعا بالصيدلة (الكيمياء). وقد اعتنق

سنان عقيدة الحشيشية في شبابه وذهب الى قلعة الموت في بلاد فارس ، وتلقى مبادىء الدعوة وتعمق فيها. كما وثقت صلته بالحسن الثاني الداعية الفارسي الذي ارسلـــه الــى بلاد الشام ليكون داعيته ويتسلــم زعامــة الحركة الحشيشية هناك. وقد سمي سنان في مصادرنا التاريخيــة (بـمـقـدم الاسماعيلية في الشام) . وكان دون شك ذا مقدرة كبيرة في التنظيم السري ولذلك اختاره الداعية الفارسي زعيما للحشيشية في الشام خـاصـة فان هـذا الداعية تبنى آراء جديدة تدعو الى ترك الفرائض وعدم اقامة الشعائر فهو يحتاج والحالة هذه الى داعية جديد في الشام ليقنع انصار الحشيشية بآرائه الجديدة فاختار راشد الدين سنان هذا.

والواقع ان سنان هذا لم يخيب ظن الداعية الفارسي فيه فقد تمـكـن ان يجمع الحشيشية السورية تحت زعامته وان يكون منهم - بـعـد فـتـرة مـن الخمول - قوة ارهابية خشي بأسها المسلمون والصليبيون علـى حـد سـواء. ومع انه دعـا في البادية الى مذهب الحشيشية الفارسية الا انه ما لبث ان ادخل آراء جديدة على دعوته منها ما يتعلق بالحلول والتناسـخ . وبـهـذا اختلفت العقيدة الحشيشيـــة الـــسنانية: نسبة الى سنان) ولاول مـرة على العقيدة الحشيشية الفارسية. كما ان سنان قطع صلته السياسية بقلعة الموت الفارسية ، وبذلك عــد سنان قائدا ومؤسسا جديدا لفرقته . بـل ان اتباعه ومريديه في بلاد الشام حسبوه اماما من نسل نزار ابن المستنصر!! واكثر من ذلك فان ابن جبير خلال رحلته في المنطقة سنـة ١١٨٥م/٥٨١هـــ اشار الى ان اتباعه "اعتبروه الها" !!

يبدو ان الداعية الفارسي في الموت ادرك خطر سنان بـعـد فـوات الاوان وارسل عددا من الفداوية لاغتياله دون جدوى.

لقد صادف تقلب راشد الدين سنان زعامة الحركة الحيشيشية فـي الـشـام ظهور صلاح الدين الايوبي بطلا للوحدة الاسلامية وسندا للخلافة العباسية لكل ما تمثله من قيم عربية - اسلامية وداعية للجهاد ضد الباطنية والصليبيـة. ويبدو صلاح الدين الايوبي واضحا للاهداف التي يسعى من اجلها في رسائـلـه التي ارسلها الى الخليفة العباسي ببغداد سنة ١١٨١م/٥٧٧هـ مؤكدا عـلـى اسهامه في الدفاع عن وحدة الخلافة والاسلام ضد العدو الثلاثي الصليبـيـيـن

والحشيشية الباطنية ودعاة التفرقة من امراء بلاد الشام.

لقد ادرك سنان زعيم الحشيشية في سوريا ان صلاح الدين الايوبي ، الذي قضى على الدولة الفاطمية بمصر ٥٦٧هـ/١١٧١م وبدأ عمله لتوحيد بلاد الشام من اجل ضمها الى مصر ، هو الخطر الاول على الحشيشية ونفوذها في الشام. وعلى ذلك لم يتورع سنان عن الاتصال بملك بيت المقدس الصليبي املريك ويقترح عليه التحالف بين الطرفين الصليبي والحشيشي .

ثم ان سنان "شيطان الانس" ، هذا ـ كما يسميه ابن جبير ـ تحالف مع اليهود ضد قوى الوحدة والاسلام في بلاد الشام كما تشير الى ذلك رواية تاريخية اخرى تؤكد وجود الاف اليهود الذين يرافقونه في حروبه "وهم اشداء لا يقدر على قتالهم وبينهم العلماء التابعون لرأس الجالوت (زعيم الطائفة اليهودية) ببغداد. وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الطابع السياسي للحركة الحشيشية وزعيمها على الرغم من تبرقعها بالدين واتخاذه ستارا لها.

لقد كان لابد لراشد الدين سنان والحشيشية السورية وقد شعرت بالخطر الكبير الذي يمثله صلاح الدينالايوبي عليهم ان يخططوا لاغتياله. وقد وقعت بالفعل محاولتان لاغتياله بالتواطؤ مع سعد الدين كمشتكين اتابك حلب في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م وفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م على التوالي وقد اخفقت المحاولتان وقتل جميع من اشتركوا فيها من الفداوية الحشيشية ، كما قتل فيها جماعة من الامراء والعساكر من جيش صلاح الدين.

شعر صلاح الدين الايوبي باستفحال خطر الحشيشية السورية وحسبهم حجر عثرة لتنفيذ مخططه ولهذا بدأ سلسلة من الحركات العسكرية ضد معاقلهم ولكنه حين حاصر قلعة مصياف لم يتمكن من فتحها وانسحب عنها بعد اسبوع. وتختلف روايات المؤرخين بل يناقض بعضها بعضا حول سبب ذلك. ويبدو ان العديد من امراء بلاد الشام تدخلوا للتوسط بين صلاح الدين وسنان اما خوفا من تهديدات سنان واساليبه الاهابية او اشفاقا على استنزاف المزيد من الدماء والوقت. في الوقت الذي كان الصليبيون يستعدون لهجوم شامل. ويبدو ان نوعا من الاتفاق او التفاهم حدث بين صلاح الدين وسنان على عدم التصدي بعضهما للآخر ، وربما كان في هذا كسبه

لصلاح الدين لانه استطاع "تحييدهم" او تجميدهم في الصراع بينه وبين القوى في بلاد الشام وخاصة الصليبيين. كما ان سنان من جهة اخرى امن خطر القوة المتصاعدة لصلاح الدين على قلاع الحشيشية وجيوبها المنتشرة في بلاد الشام.

على ان الصفاء الذي ساد العلاقات بين سنان وصاحب حلب لم يستمر طويلا فقد اغتال الحشيشية شهاب الدين بن الاعجمي وزير الملك الصالح صاحب حلب سنة ١١٧٧م سنة ٥٧٣هـ الذي كان من اعداء الحشيشية . والظاهر ان هذا الاغتيال كان بتحريض كمشتكين اتابك حلب كذلك. وحين انكشفت المؤامرة بدأ الملك الصالح سلسلة من العمليات ضد الحشيشية وانتزع منهم بعض القلاع القريبة من حلب . وقد رد الحشيشية بارسال جماعة من الفداوية الذين احرقوا سوق مدينة حلب مما سبب اضرارا كبيرة فيه. ولم تستطع السلطات المسؤولة العثور على احد من الارهابيين مما يدل على وجود جيوب موالية لهم داخل المدينة.

ومهما يكن من امر فان اهم حادث وقع خلال هذه الفترة هو اغتيال الحشيشية للمركيز كونراد المونفراتي امير صور الصليبي سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م. ويرى بعض المؤرخين الرواد بان هذا العمل كان ثمرة للتعاون بين صلاح الدين وراشد الدين سنان. وقد ايد بعض المؤرخين هذه الفرضية مؤكدين بان "صلاح الدين حفظ هذه اليد لصديقه (سنان) فلما عقد الصلح مع الصليبيين جعل للاسماعيلية بندا خاصا في شروط الصلح وهو عدم التعرض لقلاعهم واملاكهم". ويبدو ان مصدر هذه الاخبار هو المؤرخ ابن الاثير المعروف بعدم ميله لصلاح الدين الايوبي ولذلك اكثر من الروايات التي تشير الى وجود تعاون بينه وبين الحشيشية واشار الى ان صلاح الدين كان وراء اغتيال الحشيشية للأمير كونراد. اما المصادر الاسماعيلية فهي بطبيعة الحال تؤكد هذا التعاون بين صلاح الدين وراشد الدين سنان لاظهار الحشيشية بمظهر المشارك الفعلي في الجهاد ضد الصليبيين.

ولكن مؤرخين رواد عديدين دحضوا فرضية مشاركة او تحريض صلاح الدين على قتل المركيز كونراد فوافقهم في ذلك مؤرخون محدثون فقد كان من مصلحة صلاح الدين بقاء المركيز كونراد اميرا على صور في تلك الحقبة

التاريخية على الاقل وجود معاهدة صلح بينهما بينما كان الامير ريتشارد قلب الاسد عدوا لكلا الطرفين فكان من المحتمل جدا ان يتعاون مع سنان ويحثه على اغتيال المركيز كونراد. ولذلك يقول العماد الاصفهاني عن قتل المركيز:

"ولم يعجبنا قتله ... لانه كان عدو ملك الانكليز ومنازعه" ويضيف الاستاذ لويس بان الحركة الحشيشية السورية تحت زعامة راشد الدين سنان وخاصة في سنواته الاخيرة لم تعد فرقة من الارهابيين يستخدمها الحكام لاغتيال اعدائهم السياسيين بل تطورت الى حركة دينية سياسية تسعى الى اقامة دولة نزارية تشمل العالم الاسلامي باجمعه. ولهذا فان خناجر الفداوية الحشيشية لم تعد معروضة للأستئجار واذا ما شارك سنان في عمليات اغتيال سياسية جديدة ففي سبيل تحقيق خططه وخطط حلفائه السياسيين.

وعلى كل حال فان راشد الدين سنان نفسه توفي بعد ذلك بقليل سنة ١١٩٣م/ ٥٩٠هـ وخلفه في قيادة الحشيشية السورية داعية فارسي جديد. وبموته عادت الحشيشية الى الارتباط ثانية بمركز الدعوة الفارسية في الموت وبقيت كذلك حتى انهارت الدعوة الجديدة في فارس على يد هولاكو المغولي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٤م.

ولابد من الاشارة في هذا المجال الى حدث غريب في تارخ الحشيشية خلال هذه الحقبة وهو ان الامام الحسن الثالث زعيم الحشيشية الفارسية الذي تولى امر الفرقة سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م امر بالعودة الى الاسلام الصحيح وذلك بالقيام بالفرائض الدينية وبناء المساجد وتقريب فقهاء المسلمين كما احرق كتب اجداده من الحشيشية ، وتصالح مع امراء المسلمين. وقد تبعت الحشيشية اوامر الحسن الثالث وتعاليمه الجديدة. ولا يعطي مؤرخونا الرواد تفسيرا واضحاً لهذا الحدث الغريب ولكنه ربما يكون مرتبطا بمساعي الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي نجح من خلال سياسته ونظام الفتوة ان يجمع حوله كل من يستطيع جمعه من الحكام والامراء من اجل التصدي للخطر المغولي الذي كان على الابواب . كما ان الحشيشية لابد ان يكونوا قد قاسوا من حملات امراء المسلمين في المشرق وخاصة سنجر وبركياروق

السلجوقي ومن العزلة القاسية التي طوقتهم من كل الجهات فـاراد الـحـسـن الثالث ان يـغير من صورتهم امام الرأي العام الاسلامي.

الا ان "المسلم الجديد" وهو اللقب الذي عرف به الحسن الثالث لم يعمر طويلا حيث اغتيل على يد الفداوية المتطرفين وبموته عادت الحشيشية الـى تعاليمها القديمة وسيرتها الاولى.

والملاحظ ان الحركة الحشيشية في بلاد الشام خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي / السادس الهجري توقفت عن اغتيـال الـشـخـصـيـات الاسلامية بينما وقع بعض الصليبيين ضحية لخناجرها. ومن الواضح ان الـوضـع السياسي في بلاد الشام حيث استفحل الخطر الصليبي الـغـازي وشـيـوع روح الجهاد الاسلامي ضد هذا الخطر كان من العوامل التي املت على الحشيشـيـة اتخاذ هذا الموقف تجاه القوة الاسلامية وزعمائها.

نهاية الحشيشية:

كانت نهاية الحشيشية في بلاد فارس على يد المغول بقيادة هولاكـو ، وفي بلاد الشام على يد المماليك بقيادة السلطان الظاهر بيبرس . ففي بلاد فارس نجح هولاكو حيث فشل جميع امراء المسلمين في القضـاء عـلـى قـلاع الاسماعيلية وجيوبها بدون عناء كبير. بل ان قلعة الموت الحصينة نفسـهـا سقطت سنة ١٢٥٦م/٦٥٤هـ واستسلم الداعية الفارسي ركن الدين خورشاه ثـم اعدم بعد ذلك بقليل.

وكان هولاكو المغولي رغم وثنيته قد ارسل خطابا الى ملوك المسلمـيـن وعلى راسهم الخليفة العباسي في بغداد يحثهم على مسانـدتـه فـي حـرب الحشيشية يقول فيه:

"نحن انما حضرنا بامر الخان لندك حصون الملاحدة (اي الحشيشية) فـاذا رايتم انتحضروا بانفسكم الينا وتلحقوا عساكركم بعساكرنا فانا سـنـحـفـظ عليكم بلادكم وسنعوض عليكم معاونتكم هذه بالانعامات الملكيـة. امـا اذا ترددتم وتمنعتم فاني سانقض عليكم فور انتهائي من امر هـذه الـطـائـفـة الضالة الاسماعيلية".

ومما لاشك فيه فان خطر الحشيشية بالنسبة لهولاكو الوثني كـان خـطرا

سياسيا وعسكريا بالدرجة الاولى الا انه رفع شعارات دينية ووصف الحشيشية (بالملاحدة) و (الطائفة الضالة) لكي يكسب الى جانبه امراء المسلمين. كما ان استعمال هذه النعوت يدل على الاثر السيء والسمعة الرديئة التي تركتها هذه الحركة في نفوس جماهير الناس في تلك الفترة. وقد استجاب العديد من امراء المسلمين للنداء اما خوفا من خطر المغول او رغبة في التخلص من الحشيشية . وقد دك هولاكو بالفعل قلاع الحشيشية في بلاد فارس التي بلغت زهاء الاربعين قلعة وباتت كنوزها نهبا لجنده.

اما في سورية فقد شارك الحشيشية جماعة المسلمين صد الهجوم المغولي رغم ان ركن الدين خورشاه كان قد امر داعيته بالشام الى تسليم قلاع الحشيشية الى المغول حين قدومهم الى الشام ولكن داعية الشام رفض ذلك وانظم الى جيوش بيبرس التي الحقت بالمغول الهزيمة المعروفة في عين جالوت سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. ولكن بيبرس الذي كرس حياته للجهاد ضد الخطرين المغولي والصليبي لا يتوقع منه ان يحتمل طويلا وجود قلاع الحشيشية الباطنية في بلاد الشام. ولذلك فقد اتخذ بيبرس عددا من الاجراءات لاضعافهم فوزع بعض اراضيهم على قادته ، كما قبل منهم ضريبة سنوية يدفعونها لمصر واصبح كذلك له الحق ان يعين او يعزل من يشاء من الدعاة الحشيشية. وقد عزل فعلا الداعية نجم الدين سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م وولى بدله داعية جديداً على ان يكون مركزه في قلعة القدموس. اما قلعة مصياف وهي قلعة الحشيشية الرئيسية فقد احتفظ بها بيبرس لنفسه. وعلى الرغم من محاولات متعددة قام بها الحشيشية للتخلص من سيطرة بيبرس عليهم ولم يكتب لهم النجاح فان بيبرس لم يجتث شملهم في بلاد الشام ، وربما ابقاهم ليبدد بخناجرهم اعداءه من امراء الفرنك الصليبيين والى هذا يشير ابن بطوطة حين يصفهم:

"وهم (الحشيشية) سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عليه من اعدائه ، ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدو له اعطاه ديته. فان سلم بعد تادية ما يراد منه فهي له وان اصيب فهو لولده".

ولكن هؤلاء الفداوية الحشيشية سيف ذو حدين وكان بامكان اعداء بيبرس

ان يستأجروهم : لاغتياله . وهذا ما وقع فعلا سنة ١٢٧١م سنة ٦٧٠هـ على ان بيبرس تنبه له قبل وقوعه. وبحلول سنة ١٢٧٣م سنة ٦٧٢هـ كان اخر قلاع الحشيشية قد استسلم لبيبرس حيث لم يعد لهم وجود مستقل في سورية وبهذا لم تعد للحركة الحشيشية سوى فرقةصغيرة لا اهمية سياسية لها سواء في بلاد فارس او بلاد الشام . وفي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حدث انشقاق جديد في الامامة النزارية واتبع الحشيشية الفارسية اماما جديدا يختلف عن امام الحشيشية الأخرى. ومنذ ذلك التاريخ لم يبق بينهما اي ارتباط سياسي او عقدي .

عقيدة الحشيشية:

لنا ان نقرر بدءا بان هذه التعاليم الحشيشية اختلفت من اقليم الى اخر ومن وقت الى اخر ومن داعية الى اخر من الذين كانوا يتكلمون مع الناس على قدر عقولهم وكانوا يدخلون مع كل فرقة من جهتهم. وعلى العموم فيمكننا القول بان هذه العقيدة انحرفت عن الاسلام الصحيح ومارت في الالوهية وادعت ان النبوة لم تنته بمحمد صلى الله عليه وسلم ودانت بالباطن والظاهر. لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل . وان لكل الفرائض الدينية والاحكام الشرعية ظاهر وباطن والمهم هو الباطن لأنه اللب . وكانت تاويلاتهم وتفسيراتهم تتفق مع نزعاتهم السياسية واهدافهم وكانت الدعوة تعتمد السرية والكتمان حين تلقن التعاليم بصورة تدريجية وعلى مراتب متتابعة تنتهي بالفرد الى التحلل الكامل من الفرائض والحرمات الدينية. ويرى العديد من الباحثين المحدثين ان هذه العقيدة خليط من مذاهب دينية وآراء سياسية وفلسفية واجتماعية . وتبرز فيها عقائد الفرس المجوس ومنها المانوية. ولذلك يصفهم البغدادي بكونهم دهرية زنادقة حيث يقول:

"والذي صح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع".

ولم يكن عداؤهم للعروبة باقل من عدائهم للأسلام ولهذا فانهم يسمون العرب في احدى رسائلهم (الامة المنكوسة)!!

على ان آراءهم لم تنطل على غالبية الناس فلم يتبعهم على حد قول الغزالي غير السدج من الناس الذين قلت بصائرهم في امور الدين والانتهازيون الوصوليون الراغبون في تقلد المناصب بطرق غير مشروعة ، والمجوس الذين انقطعت دولتهم بظهور الاسلام والملاحدة واصحاب الفسوق. لقد عبرت الحشيشية عن الحقد الدفين للحكم العربي الذي كان مستمرا ومتمثلا بالخلافة العباسية والرجوع الى الاحلام الفارسية القديمة بتحقيق الامبراطورية!! والخمينية تذكرنا بهذا كله.

ولم تكن الحشيشية حركة معزولة وانما كانت جزء من حركات باطنية مغالية تتفجر في المجتمع الاسلامي بين فترة واخرى . ولعل الحسن بن الصباح اعتمد اكثر من غيره على العنف والارهاب والاغتيال السياسي لخدمة اهداف حركته وقد مكنته ظروف من التحرك اكثر من اسلافه من الغلاة المتطرفين بسبب ضعف الخلافة.

لقد كانت الحشيشية تمثل تهديدا للنظام القائم بكل مؤسساته الدينية والسياسية والاجتماعية ولذلك عملت الخلافة على حث العلماء والفقهاء للرد على مزاعم الحشيشية فالف الغزالي "فضائح الباطنية" ، كما انشئت "النظاميات" مدارس وجامعات لنشر الوعي والثقافة الاسلامية الصحيحة في العديد من المدن.ولم يأل السلاجقة جهدا في التصدي عسكريا لهذه الحركة. فكانت المحصلة النهائية ان اندحرت الحركة الحشيشية اندحارا دريعا وتقوقعت في قلاع وحصون نائية اختارتها في ايران وشمال الشام ولم يبق منها في النهاية المطاف سوى طائفة دينية صغيرة ومبعثرة.

ان الآراء والاساليب والاهداف والطموحات التي تبنتها الحشيشية وجدت لها في العصور التالية صدى حيث ظهر من يقلدها ويسير على نهجها.. وما الخمينية الا صورة للحشيشية في هذا القرن الخامس عشر الهجري / العشرين الميلادي.

الهوامش:

(١) الغزالي ، فضائح الباطنية ، ص١١،١٦،١٧.

(٢) الحيني ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص٨١ فمابعد.

(٣) الاشعري ، مقالات ، ج١ ص١٣ – الشهرستاني ، ج٢ ص١٧. المقريزي خطط ، ج٢ ص٣٥٢.

(٤) فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، ص٤٣٠.

(٥) النعمان بن حيون المغربي ، دعائم الاسلام ، ص٦٢-٦٣. احسان الهي ظهير، الاسماعيلية ، ص٢١ فمابعدها.

(٦) المقريزي ، خطط ، ج٢ ص٣٥٢.

(٧) فرق الشيعة ، ص٣٨.

(٨) دعائم الاسلام ، ص٦٤،٦٥. احسان الهي الظهير ، الاسماعيلية ص٣٤ فمابعدها.

(٩) فرق الشيعة ، ٣٨.

(١٠) المصدر السابق ، ٥٩ فمابعد.

(١١) حول جواز البدء على الله تعالى ثم استغلال ذلك من قبل ، عماء الغلاة راجع:

الشهرستاني ، الملل ، ج١ ص٢٣٧-٢٣٨. الشيخ المفيد ، شرح عقائد الصدوق ، ص٢٤. كذلك صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ص٣٠٩. راجع كذلك آراء خميني في البداء في كتابه كشف الاسرار ص٩٩-١٠٥.

(١٢) الحبي ، المصدر السابق ، ص٨٧ فمابعد.

(١٣) لقد انشطرت الخطابية نفسها الى عدد من الفرق الصغيرة راجع الشهرستاني ، الملل ج٢ ص١٦. النوبختي ، فرق الشيعة ، ص٣٨. السامرائي ، الغلو ، ص١٠١. الحيني ، ص٨٨.

(١٤) فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، البحث الخاص بالزندقة.

(١٥) رجال الكشي ، ص١٩٧. احسان الهي ظهير ، الاسماعيلية ، ص٣١ فمابعد.

(١٦) عرفان عبد الحميد ، نظرية استمرار النبوة ، في نظام وفضائح

الخمينية ٨٧ـ١٠٠.

(١٧) لويس ، اصول الاسماعيلية ، ١١٧. ـ رسائل اخوان الصفا ج٤ ص١١٣.
العفيلي ، الشيعة ، ص٢٦١.

(١٨) حول تفاصيل المصادر والمراجع عن القرامطة راجع فاروق عمر . التاريخ الاسلامي ، المبحث الحادي عشر .

(١٩) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص٢٨٨.

(٢٠) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص٢٢٥.

(٢١) عن الدروز راجع ، يحيى بن سعيد ، التاريخ المجموع على التحقيق ص٢٢٣. ـ حتي ، اصول الدروز (بالانكليزية) .

(٢٢) حول تفاصيل المصادر والمراجع عن الحشيشية راجع : فاروق عمر ، مباحث في الحركة الشعوبية ، المبحث السادس.

الفصل
الرابع

حركات الغلو الدينية - السياسية في العصر الحديث

وتستمر حركات الغو الفارسية بعد انهيار الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ سنة ١٢٥٨م على اثر الغزو المغولي لبغداد. فقد وجد الفرس فرصة نادرة ومتنفسا فريدا لهم بعد سقوط الخلافة العربية الاسلامية التي كانت رمزا متبقيا لدور العرب السياسي والديني في قيادة المجتمع الاسلامي. فقدتحرك الفرس سياسيا وفكريا للحصول على مراكز مؤثرة في السلطة في دولة المغول الايلخانيين. وبدأت مرحلة جديدة لتوسع فارسي ركب ظهر الموجة المغولية واتخذ منها اداة له فظهرت حركات فارسية جديدة تبرقعت بالاسلام ولكنها ـ كالعادة ـ ارادت هدمه من الداخل واحلال دين جديد محله. فاذا كان العرب قد انتهوا سياسيا فان دين العرب (الاسلام) لابد ان ينتهي عقائديا ايضا.

ولعل ابرز هذه الحركات في تاريخنا الحديث هي: النصيرية ـ الحروفية الصفوية ـ الشيخية ـ البابية ـ البهائية ـ القاديانية.

النصيرية :

رغم ان الدعوة النصيرية قدبدأت مبكرة في النصف الاول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على يد زعيمها محمدبن نصير المتوفي سنة ٢٦٠هـ / سنة ٨٧٣ م والذي كان في بداية امره من اتباع الحسن

العسكري ولكنه انشق عن الاثني عشرية وغلا وتطرف فتبرأ منه الامام العسكري. (1) وهذا يذكرنا بالغلاة الذين تظاهروا بالولاء للائمة ثم تطرفوا في عقيدتهم متخذين من الائمة العلويين ستارا لهم ونخص منهم بالذكر ابي الخطاب الاسدي الذي تستر وراء الامام جعفر الصادق ولكن الصادق اعلن براءته منه ومن آرائه المغالية المنحرفة عن الاسلام. نقول رغم ان هذه الدعوة كانت مبكرة الا ان تنظيمها ونشاطها الجدي بدأ في فترة متأخرة نسبيا ولذلك اثبتناها في هذا الفصل مع حركات الغلو في العصر الحديث.

لقد تمثلت في عقيدة النصيرية جميع آراء الغلاة من اسلافها من حلول وتألية واباحة واسقاط الفرائض الشرعية والتأويل الرمزي للقرآن ونفي البعث والقيامة والعقاب والثواب. وقد ادعى نصيرها محمد بن نصير النبوة ثم انتقل بعد ذلك مدعيا الالوهية.

ويعتقد النصيرية انهم من اتباع الامام الحسن العسكري وان ابن نصير وارث علمه والمرجع لابنائه من بعده فهو (الباب) وان هذه المكانة المرجعية والبابية بقيت عنده بعد غياب الامام محمد المهدي.

قال سعد القمي وهو من كتاب الاثني عشرية مايلي عن النصيرية: (2)

"وقد شذت فرقة من القائلين بامامة علي بن محمد في حياته فقالت بنبوه رجل يقال له محمد بن نصير النميري كان يدعي انه نبي رسول وان علي العسكري ارسله وكان يقول بالتناسخ ويغلو في ابي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالاباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا.."

اما النوبختي فقد وصف محمد بن نصير بانه دعى:

"وكان يدعي انه نبي بعثه ابو الحسن العسكري وكان يقول بالتناسخ والغلو في ابي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالاباحة المحارم.."(3)

كما ذكر الكشي (4) في كتابه (الرجال) محمدا بن نصير النميري ضمن الغلاة المتطرفين في دينهم. ويورد الكشي جملة روايات تثبت تبرأ الامام ابو الحسن علي الهادي من اقوال وافعال محمد بن نصير ولعنه له ولاصحابه. اما الطوسي(5) فيتهم ابن النصير بالالحاد والجهل. ويرى الدكتور الشيبي(6) ان المذهب النصيري مذهب يدين بالغلو في الائمة وتأليههم بالاضافة الى التساهل في الواجبات الدينية. كما عد كتاب الفرق هذه

الحركة من جملة اهل البدع الذين ينسبون الى دين الاسلام ولا يعدون في زمرة الاسلام.

وكغيرها من حركات الغلاة فان جانب العقيدة فيها ما هو الا غطاء فكري للجانب الاخطر الا وهو البعد السياسي للحركة والذي يعد متمما لحركات الغلو التي سبقتها وتطورا لها.

فعن طريق التستر وراء الموالاة لآل علي (رض) جحد النصيرية نبوة الرسول محمد العربي (ص) ومقامه التاريخي في قيادة الامة. فقد بدأوا بتاليه علي بن ابي طالب ثم اشركوه في الرسالة مع الرسول محمد (ص) واسندوا له مسؤولية الشرح والتأويل الباطن للأسلام ثم انتقلوا من ذلك كله بتفضيله على النبي والزعم بانه هو الذي بعث محمدا !! وهدفهم من ذلك هو نسف النبوة وهدم مقام الرسول محمد (ص) وتفريق شمل الامة واضعافها بالنعرات المذهبية !!

ثم ان جواز الانفصال في الالوهية عن طريق التجزئة بين الذات والصفات له مغزى سياسي واضح يجيز لكل فرد ان يكون الها اذا حل فيه الجزء الالهي.. وبهذا فلا اهمية للأسلام ونبي الاسلام محمد (ص)، مقابل الالهة الجدد الذين يغيرون ويجددون الدين باستمرار !! ونرى ان هؤلاء الارباب الجدد كلهم من الفرس(٧) كما لاحظنا ذلك في الحركات التي سبقت النصيرية. وتستغل النصيرية فكرة الفيض والصفة المقدسة للأعداد استغلالا سياسيا لاثبات استمرار النبوة وان نبوة محمد ليست آخر نبوة وكذلك لابراز الدور الفارسي في الرسالات المتتالية. فمراتب العالم النوراني تتكون من سبع حلقات كان آخرها في تلك الفترة هي:

علي يرمز الى الالوهية المجردة - ومحمد هو المظهر او التجلي - وسلمان الفارسي الباب .

اما الحلقة التي قبلها فهي:

بطرس الاله - وعيسى المظهر - وروزبة الباب .

وهكذا تكون الشخصية الفارسية رمزاً لتأكيد دور الفرس في زعامة الحركة وفي هدم الاسلام الصحيح الذي جاء به وحمله العرب الى البشرية.(٨)

وقد اولت النصيرية فكرة (الباب) اهمية كبيرة فقد عدا ابن النصير الباب الى الامام وممثله ووارث علمه الوحيد ومستودع اسراره والمرجع للناس من بعده. وقد ادعى بعد غيبـــة الـمـهـدي انـه وكـيـل الامـام الغائب. وقد تبع ذلك انعكاسات سياسية خطيرة حيث غـدا وكـيـل الامـام يتمتع بصلاحيات كبيرة لا حصر لها وذلك خلاف ما عهد عند الائمة بالنسبة للمرجعية الدينية. مما يكشف ضمنا طموحات محمد بن نصير ومن جاء بـعـده من زعماء النصيرية وآمالهم السياسية الدنيوية الخطيرة !! ويدل ايضا بـان النصيرية ـ كالحركات التي سبقتها ـ حركة سياسية قبل ان تكون عقيدة او مذهبا دينا خالصا.

وقد استخدمت النصيرية مبدأ التأويل لتأتي بما شاء لها من تخريجات سياسية او هدامة لآيات القرآن وسوره وللفرائض الاسلامية وبـذلـك حـاولـت افراغ الشريعة الاسلامية عن محتواها الحقيقي وصولا الى هدم العقيدة لـدى المسلمين واحلال تناقضات مذهبية لا معنى لها بدلها.

وفي النطاق الاجتماعي والاخلاقي فقد دعت النصيرية الى الـفـوضـويـة والاباحية في الاعياد والمواسم والاجتماعات ويبدو ان جذورها مستـمـدة مـن المشاعية الزرادشتية والاباحية المزدكية التي اشرنا اليها سابقا وقد بـررت النصيرية الاباحية بقولها: (٩)

"يجوز ان يجامع الانسان من يشاء من ذوي رحمه ورحم صديقه واخيه بعد ان يكون على مذهبه ولانه لابد للفاضل منهم ان ينكح المفضول ليولج الـنـور فيه".

ولم تؤمن النصيرية بالمفهوم الاسلامي للحساب والبعث والقيامـة وقالت ذلك بان الارواح تتناسخ فمن يموت تنتقل روحه الى جسد آخر وهكذا.

يتضح من ذلك كله ان افكار النصيرية جـزء لا يـتـجـزء مـن مـبـادئ الغلو(١٠) التي ظهرت عبر العصور في المجتمع الاسلامي والتي حاربـتـهـا الدولة الاسلامية والعلماء والفقهاء وقبلهم تبرأ منها الائـمـة الـعـلـويـون وانكروها ودعوا اتباعهم الى عدم تأييدها او الاخذ بها.

الحروفية :

تأسست الحروفية على يـــد المسمى فضل الله بن عبد الرحمن (قتل سنة ٨٠٤هـ/ سنة١٤٠١م) ورغم تسترها وراء رموز صوفيه وتاويلات فلسفية غامضة الا انها كغيرها من الحركات الباطنية كانت ذات اهداف سياسية دينية معادية للاسلام وبديلة له.

لقد وضحت الطبيعة الفارسية الهدمية والشعوبية في الحروفية من الآراء التي روج لها زعيمها فضل الله واولاده من بعده في العراق. وقد اتخذت اسمها من حساب القيم العددية للحروف لكل حرف له قيمة عددية تركز الى معنى معين. وقد استغل فضل الله هذا الزعم بطريقة ماكرة تدل على البعد السياسي لحركته فقد ادعى ان الحرف (ضاد) في اسمه يعادل العدد ٨٠٠ ومعنى ذلك انه المنقذ الذي سيجدد الاسلام على راس القرن التاسع الهجري!!

كما عدوا الحروف الفارسية وهي ٣٢ حرفا خيرا من الحروف العربية لانها الاطار الشامل للمعرفة الالهية الصحيحة بينما لا تتضمن الحروف العربية (٢٨ حرفا) الا ظاهر المعرفة وبذلك تكون اللغة الفارسية مفسرة للغة العربية في زعمهم !!.

اما في نطاق التأويل فقد انطلق الحروفيون يفسرون القرآن والحديث بحرية غير محدودة وبهدف الدعاية لزعمائهم ومبادىء حركتهم. فقد زعموا ان العربية لم تفسر القرآن الا بطريقة مختصرة ومبهمة وهنا ياتي دور الفارسية لكي تشرح وتفصل ما اوجزته العربية. فالفارسية هي التي توضح الغموض في القرآن الذي جاء بلغة عربية في الحياة الدنيا كما ان الفارسية ـ كما ادعوا ـ لسان اهل الجنة في الحياة الآخرة. فاهل الجنة يتكلمون بلغتين العربية والفارسية.

في القرآن منها **(ولولا فضل الله عليكم لاتبعتم الشيطان)**. (النساء:٨٣)
وقد فسر فضل الله الحروفي الآية:

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم.[٣] **وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)**. (الجمعة:٢-٤).

ان الاميين هم العرب ... والآخرين هم الفرس وقد حقق الله نبوءته بان بعث منهم اي الفرس نبيا فارسيا فتحقق ذلك في شخص فضل الله الحروفي. إن فكرة مجيئ نبي من العجم ينسخ شريعة الاسلام ليست فكرة ابتدعها فضل الله بل يشير اليها كتاب الفرق الاسلامية والمؤرخون وقد ظهرت في فرق الخرمية الفارسية كما تبنتها بعض فرق الخوارج التي تأثرت بالمجوسية وبالبيئة الايرانية فقد كانت فرقة اليزيدية اتباع يزيد بن انيسة تزعم ان الله سيبعث رسولا من العجم وينزل كتابا من السماء ينسخ به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ان العديد من افكار الحروفية مستقاة من الديانات المجوسية الفارسية ولهذا عدت الحركة من الباحثين المحدثين (١١) معبرة تعبيرا صادقا عن البعد الشعوبي الفارسي وكذلك افكار الزندقة ذات البعد الديني الهدام. فعلى سبيل المثال لا الحصر فان الحروفية - مثلها مثل الغلاة الباطنية الذين سبقوها - جعلوا الفرائض الدينية من صلاة وصوم وزكاة رموزا لافعال معينة وبذلك حاولوا افراغها من معناها الاسلامي فالصوم عندهم توقف اللسان عن غيبة الناس والصلاة عبارة عن قراءة نصوص فارسية موجهة الى زعيمهم فضل الله والجهاد هو الصلاة اربع ركعات فقط !!

ولم يكتف الحروفيون بذلك بل تجرأوا على الاخذ من الاسرائيليات ومن اليهودية محاولين التوفيق بينهما وبين المجوسية واصفين تفسيرات ومزاعم ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد ظهرت بعد الحروفية دعوات اخرى تمثلت فيها نفس الطبيعة في مزج التصوف بالمفهوم الفارسي للتشيع بابعاده عن اصالته التي دعى اليها السلف من رواد التشيع من العرب كما تمثلت فيها نفس الاهداف التجريبية والشعوبية. وقد ظهرت خلال الفترة بين القرنين السابع الهجري والعاشر الهجري عدة حركات من هذا النمط مستفيدة من الاوضاع السياسية والثقافية المتدهورة ، على اننا سنشير هنا الى الحركة الصفوية (التي تعد بدايتها في القرن الثامن الهجري ولكنها اسست كيانا سياسيا لها في اوائل

القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي) ثم سنتابع حركتين ظهرتا في القرن ١٢هـ/١٨م هما الشيخية والكشفية.

فالصفوية بدأت طريقة صوفية تنسب الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) الذي اشتهر في مدينة اردبيل بايران وعرف عنه الوعظ والارشاد حيثكان مريدوه يعرفون (بالاخوان) وقد ازداد عددهم في اذربيجان ثم انتشر من هناك الى الاناضول.(١٢)

لم يكن الشيخ صفي الدين الاردبيلي من ذوي الطموحات السياسية ولم يستغل الدين لاغراض دنيوية وكذلك كان ابنه صدر الدين ، الا انه اول من استغل الدين لتحقيق مكاسب سياسية من هذه الاسرة هو الشيخ جنيد بن علي بن صدر الدين الصفوي الذي رفع شعار التشيع لآل البيت للتمويه على اهدافه ومخططاته. وقد اصبح لهذه الطريقة الصفوية تنظيمات ومراتب فكان الاتباع والمريدون يدعون بالدراويش ويضعون على رؤوسهم قلنسوة مخروطية مصنوعة من الجوخ الاحمر ولذلك عرفوا (بالقزل باشية). ويعد الشاه اسماعيل بن حيدر بن جنيد الصفوي مؤسس الدولة الصفوية في ايران التي تبنت التشيع بطبيعته الصوفية وبمفهومه البعيد عن اصالته العربية الاولى.

ولابد من الاشارة هنا الى انه على الرغم من ارتباط التصوف بصورة عامة باتجاه اهل السنة والجماعة فقد نشأ عند الشيعة المتأخرين متصوفة وان بعضهم كان من المعتدلين وبعض آخر من المغاليين. ابناء صفي الدين الاردبيلي من الفئة الاخيرة.(١٣)

فبعد ان سيطر الشاه عباس على الحكم في ايران سنة ٩٠٧هـ/ سنة ١٥٠١م اعلن المذهب الامامي مذهبا رسميا لدولته لأسباب سياسية ومصلحية بحتة رغم ان اكثر سكان ايران كانوا على المذهب الشافعي ، وقد انذر الناس بقوله:

"انني لا اخاف احد .. فان تنطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن اترك احدا على قيد الحياة

وبعد ان اتضحت سياسات الشاه عباس المعادية للعرب بشنه الحملات التوسعية ضد العراق حيث استولى على بغداد سنة ٩١٤هـ/ سنة ١٥٠٨م واستولى على الاحواز واسقط امارة المشعشعين فيها. ولكنه لم يحرك ساكنا

حين احتل البرتغاليون جزرا مهمة في الخليج العربي مثل هرمز وقشم وكذلك بعض السواحل. كما وصلت العلاقات الصوفية العثمانية في عهده الى حالة من التردي ادت الى وقوع الحرب بين سليم الاول العثماني وبين اسماعيل الصفوي. وقد انتصر العثمانيون في موقعة جالديران سنة ٩٢٠هـ/ سنة ١٥١٤م ودمروا الجيش الصفوي تدميرا كاملا وهرب اسماعيل من المعركة.

لقد استطاع الصفويون تأسيس دولة في ايران ومعنى ذلك انهم سخروا كل الامكانات المادية والبشرية والاقتصادية لدى شعوب ايران لخدمة اغراضهم وسياساتهم. كما ان الصفويين رفعوا شعار "التشيع" لاسباب سياسية كذلك فحرفوه واساءوا اليه تماما كما فعل الباطنية والغلاة قبلهم. ومن المعروف ان الصفويين ليسوا فرسا بل من قبائل التركمان في اذربيجان وشمالي غربي ايران وشرقي الاناضول ولكنهم ما ان سيطروا على مقاليد الحكم في ايران حتى تبنوا العقدة الفارسية ضد العرب فكانت سياساتهم في عهود ملوكهم معادية للعراق والاحواز وعرب الخليج العربي. كما انهم من جهة ثانية اكدوا على المفهوم الفارسي للتشيع وجعلوه مذهبا رسميا لهم بل اكثر من ذلك ادخلوا عليه طقوس وتقاليد وبدع جديدة فوسعوا الشقة بينه وبين التشيع العربي اكثر مما فعل البويهيون والاسماعيلية قبلهم.

وقد ثبت تاريخيا سواء في العصور الاسلامية الوسطى او في العصور الحديثة والمعاصرة ان حكام ايران سواء من الفرس ام من غيرهم لابد ان يستغلوا العقدة الفارسية العنصرية والعدوانية من اجل استمرار بقائهم في السلطة والحكم ولتبرير توسعهم الاقليمي على حساب جيرانهم وخاصة العرب ومن اجل اشغال الشعوب الايرانية بالحرب وصرف انظارها السياسية الداخلية.

ومن هنا كان العدوان على العراق ومنطقة الخليج العربي سياسة دائمة لكل حكام ايران عبر العصور وقد استمر هذا النهج كما اشرنا حتى يومنا هذا !!

وقد استحدث الصوفيون العديد من التعاليم والطقوس في مذهب الامامية(١٤) الا ان هذه المستحدثات لا تخرج عن اساليب الباطنية التي اشرنا اليها سابقا الا من حيث المظهر الموافق للعصر الذي يعيش فيه

المجتمع الايراني في العصر الصفوي.

فقد كان اسماعيل الصفوي ينشر بين مريديه من القزل باش انه لا يتحرك الا بمقتضى اوامر الائمة ولهذا فان افعاله واقواله معصومةعن الخطأ. وزعم ان ليس بينه وبين المهدي حاجز وادعى انه هو المقصود بالآية القرآنية "واذكرو في الكتاب اسماعيل.."!! وكان من المغالين في الامام علي (رض) وادعى بان علي بن ابي طالب قد تنبأ بظهوره وولايته أفسح في المجال لاتباعه ان يغلوا فيه الى حد العبادة والسجود له.

ويشير الكتاب المحدثون الى تطرفه وطائفيته الى حد الاندفاع لبناء دولة على اساس مذهبي محدود في مجتمع غالبية سكانه على مذاهب اخرى حتى اضطر به الامر الى استيراد علماء وفقهاء من جبل عامل بلبنان الى ايران. اما شعوبيته فتظهر واضحة في اعتداءاته واعتداءات خلفائه من بعده على العراق والاحواز المرة تلو الاخرى. والتحالف مع دول اوربية ضد حكومات اسلامية مجاورة له آنذاك.

واذا كانت الخمينية الصفوية في امور عديدة منها استيلاؤها على السلطة ونسخيرها كل موارد البلاد لخدمة اهدافها ، ورفعها شعار التشيع بالمفهوم الفارسي واستغلاله للدواعي السياسية. فانها تشابهها كذلك في استخدام الارهاب والقتل لغرض آرائها ومذهبها ومخططاتها ليس في ايران وحدها بل في المنطقة كلها. وكذلك في تحالفاتها المشبوهة مع دول اوربية أو غير اسلامية ضد الاسلام والمسلمين وشق الصف الاسلامي باستحداثها العديد من الطقوس التي ليس لها من بعيد او قريب صلة بالاسلام اوباي مذهب من مذاهبه.

وبعد سلسلة من السلاطين ثم اسقاط الدولة الصفوية في ايران على يد نادرشاه سنة ١٧٣٦م/ سنة ١١٤٨هـ بعد ان احدثت شرخا كبيرا في الاسلام وعملت على تفتيت المجتمع الاسلامي بارتكابها المذابح البشعة في حروبها شرقا وغربا تلك المذابح التي لم يكن لها ما يبررها ، وباعتداشها على الاقطار والدول المجاورة لها خاصة في الاحواز والعراق. وتبنيها المفهوم الفارسي للتشيع الذي يهدف الى افراغ الاسلام من محتواه. فكان التشيع الصفوي مذهبا غريبا عن الاسلام اساسه المخالفة والتحريف والتأويل. وهذا

ما فعلته البويهية قبل الصفوية والخمينية بعد الصفوية !!

اما **الشيخية** (١٥) فمؤسسها احمد بن زين الدين الاحسائي الذي ولد في احدى قرى الاحساء شرقي الجزيرة العربية معقل الآراء الباطنية القرمطية سابقا وتوفي في الحجاز سنة ١٢٤١هـ/ سنة ١٨٢٥م. انتقل الاحسائي الى ايران واتصل بالقاجاريين واستقر في طهران ثم انتقل بعد ذلك الى كرمان شاه. ونال الاحسائي دعما ماديا ومعنويا ملحوظا من السلطة القاجارية في ايران وبهذا ارتبطت حركته بمخططات الحكومة الايرانية الرسمية وكانت تتلقى تعاليماتها في الارهاب والتخريب وشق الصف في العراق خاصة ومنطقة الخليج العربي عامة منها.

وكالعادة فقد بدأ الاحسائي يتظاهر باتباع عقيدة الامامية ولكنه تأثر بالافكار الصوفية الفارسية وغيرها من العقائد المجوسية ودعا الى آراء جديدة بعيدة عن الاسلام. ولعل اساس عقيدته هي فكرة الفيض التي نادى بها الغلاة الباطنية قبله. فزعم ان الانبياء والائمة متحدين في الحقيقة وهي ان الله ظهر فيهم على شكل نور او انهم مخلوقون من نور الله ، وهذا النور عقل واحد. ومعنى ذلك ان الرسول محمد (ص) لم يكن خاتم الانبياء بل ان النبوة مستمرة وان الانبياء والائمة اللاحقين افضل من السابقين !! ثم ينتقل الى من الهدف وهو ان الشيخ احمد هو اعظم وافضل من جميع الانبياء والائمة الذين سبقوه.

وقد استخدم الشيخ الاحسائي جميع وسائل الباطنية من تأويل وتقديس في الرسل والائمة وحلول وتناسخ. فالامام مخلوق من نور الله وانه ذو المشيأة في العالم لانه نفس الله. ولم يتورع الاحسائي عن الاستناد على روايات كاذبة واحاديث ضعيفة منسوبة الى الائمة عليهم السلام في تمرير اساطيره وخرافاته بين اتباعه وخاصة تلميذه كاظم الرشتي الذي حاول دون جدوى توضيح آراء استاذه والدفاع عنه.

لقد رد العديد من علماء الامامية على آراء الشيخ الاحسائي عدوه منحرفا عن مذهبهم ومغاليا في الاسلام بصورة عامة وكان منهم السيد محمد المهدي الكاظمي والشيخ محمد مهدي الخالصي.

اما **الكشفية** فهي تطور طبيعي للشيخية على يد كاظم الرشتي (ت

(١٨٤٣م) تلميذ الشيخ احمد الاحسائي. وقد كتب الرشتي مجموعة رسائل دافع فيها عن عقيدة الاحسائي وحاول شرح غموضها ولكن علماء الامامية مالبثوا ان ردوا عليه ايضا و عـــدوه من الغلاة. والمعروف ان الميرزا علي محمد البـــاب زعيم البابية كان تلميذا للرشتي .. على ان الشيخية والكشفية يدعون الـــى فرقة منهم بزعامة كريم خان الكرماني انشقت عن المذهب وتطرفت وغـــالت فيآرائها وهذه الفرقة هي اصل البابية. ولاشك فان البابية قد استفادت الى درجة ملحوظة من التراث الباطني الذي خلفته الفرق الاخرى وخـــاصـــة تـــراث الشيخ الاحسائي وتلميذه الرشتي.

البابية:

سميت هذه الحركة المغالية بهذا الاسم نسبة الى زعيمها علي محمد رضا الشيرازي المتوفي سنة ١٨٤٩م سنة ١٢٦٥هـ الذي كان تلميذا لزعيم الحركة الكشفية كاظم الرشتي كما اشرنا من قبل وقد لقنه هذا الاخـــيـــر مـــبـــادىء الغلو الباطنية واقنعه بانه المهدي المنتظر الـــذي ســـيـــظـــهـــر بـــعـــد وفـــاة الرشتي. (١٦)

ولم يكذب علي محمد رضا النبوءة فقد اعلن نفسه مهدياً سنة ١٨٤٤ فـــي شيراز. على انه في البداية عـــد بابا الى الامام المنتظر ومعنى ذلك انه المصدر الوحيد والطريق الى العلوم الالهية وعالم الغيب حيث انتقلت الـــيـــه هذه المعرفة من الامام المنتظر ، وسمى نفسه "الباب" ومـــن هـــنـــا جـــاءت تسمية حركته "بالبابية".

ولا تختلف هذه الحركة في طبيعتها عن الحركات الباطنية التي قبلـــهـــا فالشيرازي مثله مثل ابي منصور العجلي وابي الخطاب الاســـدي والـــمـــقـــنـــع الخراساني والحسن بن الصباح تدرج في ادعاءاته فقد زعم في البدايـــة انـــه الباب للأمام المنتظر وان لا سبيل الى معرفة عالم الغيب واسرار الكـــون الا عن طريقه ثم انتقل الى درجة اعلى حين ادعى بانه هو المهدي المنتـــظر لان روح المهدي حلت فيه. ثم قفز درجة اعلى حين قال بانه نبي وان الله قـــد ارسله الى العالم وانه افضل من محمد (ص) وان شريعته نسخت شريعة محمد (ص) بل ان كتابه (البيان) افضل من القرآن. واخيرا زعم بانه هو الاله لان

الله قد حل فيه. وبهذا لم يختلف زعيم البابية في اسلوبه عن اسلوب الغلاة والباطنية الذين سبقوه. بل انه سار على نهج العديد منهم الذين زعموا الانتساب الى اهل البيت العلوي.

وقد اعلن علي محمد الشيرازي نفسه مهديا سنة ١٨٤٤م في شيراز بايران وبدأ دعوة سرية منظمة شملت مدن ايران والعراق ، مستفيدا من تردي الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتفشي الجهل وخاصة بامور الدين الاسلامي وقد استفاد من حركات التجديد الاسلامية فلبس برقع التجديد لكي يمرر آراءه الهدامة في المجتمع والهادفة الى استبدال الاسلام بدين جديد لا صلة له به.

لقد وجدت اراء علي بن محمد الشيرازي (الباب) تربة خصبة لها في ايران القرن التاسع عشر الميلادي حيث الاستبداد السياسي والفقر والجهل. ثم ان البيئة الفكرية الايرانية وخاصة بين العوام كانت مهيأة لقبول منقذ جديد يخلصها من حالتها البائسة وينقلها الى حالة احسن. وكان الميرزا علي محمد الباب قد ادرك ذلك تماما فظهر لهم بمظهر المهدي ثم بصفة النبي المرسل ثم بصفة الله. واكبر الظن ان الايرانيين المشبعين بتقاليد المجوسية والذين آمنوا بالوهية المقنع الخراساني وغيره من المدعين آمنوا بمزاعم الباب ايضا. خاصة ان الفرس الذين دخلوا الاسلام من اجل كيده وتخريبه قد اشاعوا الفكرة القائلة بمجيء النبي من العجم في آخر الزمان ينسخ شريعة الاسلام !! وقد استمرت نزعة الترقب والتطلع لدى الفرس بعد الاسلام بظهور ابناء زرادشت ليعيدوا الملة على ما كانت عليه ايام العجم وقد اشرنا الى بعضهم من الذين ظهروا في العصر العباسي.

لقد ساعدت الحركة البابية على بقاء كل تلك العوامل السابقة بالاضافة الى طبيعتها السرية وغموضها حتى اعلنت عن مبادئها في مؤتمر بدشت في ايران سنة ١٨٤٨م ، وقد بدت معادية للأسلام والرسول العربي محمد (ص) لانها اكدت ان الباب يهدم كل الشرائع التي قبله كما هدم الاسلام الجاهلية. كما اعلنت (قرة العين) تلميذة كاظم الرشتي ومن اقطاب الحركة البابية ان احكام الشريعة الاسلامية قد نسخت وان الشريعة الجديدة لم تصل الينا بعد فلا تكليف علينا في شيء حتى تاتي الشريعة الجديدة. فكانت

دعوتها صريحة لنشر الفوضوية والاباحية في المجتمع وهو نفس النهج الذي سار عليه العديد من فرق الغلاة والباطنية قبل ذلك.

أظهر علي محمد الشيرازي الباب كتابا ادعى انه نزل عليه وسماه (البيان) وزعم القرآن الكريم به وقد تفحص العديد من الباحثين هذا الكتاب فلم يجدوا فيه الا ركاما من السخافات والاوهام والاساطير البعيدة عن العقل والمنطق اضافة الى الغموض والتناقض والاخطاء اللغوية والنحوية والبلاغية ورداءة الاسلوب. وحين اعترض بعضهم على هذه النقائص في هذا الكتاب قال الباب :

"ان الله اجل من الخضوع الى هذه القواعد التي هي صفات بشرية ونقص من نواقص الانسانية"!!

وتتضح سذاجة الباب وتفاهته اكثر في قوله ردا على الاخطاء العديدة في البيان:

"ان الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الاول فعوقبت على خطيئتها بان قيدت بسلاسل الاعراب وحيث ان بعثتنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين حتى الحروف والكلمات فاطلقت من قيدها تذهب حيث تشاء."!!

ويبدو من مجمل ما اراد ان يعبر عنه في البيان انه نائب الامام الموعود ثم زعم انه الموعود نفسه وانه النبي الذي سيظهر من العجم ثم اخيرا ادعى الالوهية. وزعم هو واتباعه ان شريعته نسخت الشريعة الاسلامية وان بيانه نسخ القرآن وجاء بتعاليم جديدة انكر فيها البعث والقيامة والمعاد وان الحساب في هذه الحياة الدنيا وستبقى الدنيا بوصفها هذا الى الابد.

فقد اعتقد الباب بنظرية وحدة الوجود التي كانت سائدة في بعض حلقات الصوفية فالخلق مظهر الله وذاته ومن هنا فانه ادعى الالوهية لان الله حل فيه. كما زعم وعلى طريقة الغلاة الباطنية في تقديس الاعداد فان البابية قدست العدد (١٩) فهو اساس نظام العالم والسر الذي انفرد بعضهم بمعرفته. ولهذا فقد قسم اشهر السنة الى تسعة عشر شهرا وايام الشهر الى (١٩) يوما. وفي حالة الطلاق فان الرجل يستطيع ان يراجع مطلقته تسعة عشرة مرة.!!

على ان اهم من هذه التعاليم التافهة التي ارادت ان تنسخ المبادىء الاسلامية القويمة والقوية المحفوظة بالعناية الالهية.. ان اهم من ذلك كله هي الفرصة التي اعطتها الحركة البابية لدوائر الاستعمار واليهودية العالمية لاستغلال هذه الحركة التخريبية لضرب الاسلام وتشويه صورته امام الرأي العام العالمي تماما كما فعلت مع الحركة الخمينية المعاصرة حيث تتفق وتتعاون العديد من الدول الكبرى والصغرى وكذلك الكيان الصهيوني على مساندة نظام خميني من اجل الابقاء عليه اطول مدة ممكنة خدمة لاهدافها ومصالحها الحيوية التي يعمل الخمينيون على تحقيقها في المنطقة.

فقد ساندت الحركة البابية في منتصف القرن الثامن عشر روسيا القيصرية ودوائر الاستعمار الاوربي الغربي واليهودية العالمية. اما روسيا القيصرية فقد اتخذت من الميرزا علي محمد الباب وحركته عملاء لها للأخلال بالاستقرار في ايران والبلاد الاسلامية المجاورة لها وشق صف المسلمين بحروب دموية حتى تتهيأ الفرصة للقياصرة لتنفيذ هدفهم في المنطقة. وهذا هو نفس الهدف الذي كانت دول اوربة الغربية تسعى له من وراء مناصرتها للبابية. اما الصهيونية فكان طبيعيا ان ترحب بحركة تشق الصف الاسلامي ونحر الاسلام من الداخل مع انها ترفع شعارات الاسلام !! وقد دخلت اعداد كبيرة من يهود ايران الى الحركة البابية تحت شعار (وحدة الاديان) والوحدة الانسانية وهم يدركون ان البابية حركة هدمية تخريبية للعقيدة الاسلامية الصحيحة و للقيم والمعايير الاجتماعية السليمة.

لقد تصدى العلماء في ايران ، والعراق للبابية فكتب العديد منهم كاشفا خطورتها على الدين والمجتمع رادا على افتراءات الباحثين الاوربيين في مدح الحركة وزعيمها وكان من هؤلاء العلماء الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء وابو الثناء الآلوسي والشيخ محمد الخالصي والدكتور محمد مهدي خان وغيرهم. وقد اصدر مجموعة من العلماء في ايران فتوى بقتله لأرتداده عن الاسلام وابطاله الشريعة الاسلامية. وادعائه النبوة ونفذ فيه حكم الاعدام بامر ناصر الدين شاه سنة ١٨٤٩م/ سنة١٢٦٥هـ. مع ان جواسيس روسيا القيصرية والاستعمار الاوربي حرضوا زمرا من اتباعه في ايران على القيام

بمظاهرات واطلاق النار على ناصر الدين شاه فان حركته فقدت بريقها في ايران والمنطقة وقد ابعد نفراً من اعوانه وعلى راسهم الميرزا حسين علي فيما بعد - (البهاء) الى العراق!! تخلصا من شغبهم في ايران.

والمعروف ان ميرزا حسين علي المازندراني (البهاء) قد اسس مذهب البهائية استقرارا لمذهب استاذه علي محمد الباب ، كما انه كتب كتابا سماه (الايقان) في بغداد يدافع فيه عن تعاليم الباب وادعائه النبوة!! ولكن جهوده لم تثمر في العراق بفضل وعي العراقيين وادراكهم لامثال هذه التعاليم وضلالتها.

ولعل ما يلفت النظر في منهجية واهداف الحركة البابية هو اوجه الشبه الواضحة بينها وبين الحركة الخمينية المعاصرة وخاصة في ابعادها تخطيطاتها السياسية. ففي كلتا الحركتين تتفق مصالح الشرق والغرب واليهودية العالمية على ضمان استمرارها ومساعدتهما لكونهما اداتين لخدمة المصالح الاجنبية واهدافها في المنطقة وابقائها تحت الهيمنة الاجنبية اطول مدى ممكن.

وقد رفعت كلتا الحركتين شعارات اسلامية وكانتا تخفيان الهدف الحقيقي وهو هدم الاسلام ، واستبدال دين جديد وشريعة جديدة ونبي جديد من العجم به ورب مقارنة بين اقوال الباب والخميني تثبيت ذلك مع اختلاف التعابير والمصطلحات في القرن العشرين عن القرن التاسع عشر. فالباب يدعي انه سيهدم ما كان قبله من شريعة - اي الاسلام - كما هدم محمد (ص) امر الجاهلية. والخميني يقول ان النبي (ص) لم يكمل رسالته وان علي (رض) لم يسمح له بالكلام والبوح بالاسرار الالهية وان الصحابة (رض) حرفوا الدين وانه هو (الخميني) سيكمله ويوضحه!! فالكلام واحد وان تباين التعبير عن الفكرة.

وادعت كلتا الحركتين البابية والخمينية العمل من اجل الفقراء والمظلومين بينما الواقع يؤكد انهما كانتا في خدمة البرجوازية والاغنياء محتكري السوق ، فتعاون الميرزا علي محمد الباب مع الرأسمالية الايرانية في القرن الماضي كان واضحا مثلما اثبتت الاحداث مساندة البازار الايراني للخمينية ودعمها ماديا ومعنويا. وهكذا ثبت ان شعار الفقراء

والمستضعفين لم يكن الا للاستهلاك المؤقت والتمويه.

ان عداء الحركتين للعروبة والعرب واضح فقد زعمت البابية ان النبوة مستمرة وذلك من اجل الزعم انتهاء دور الرسول العربي محمد (ص) والتبشير بظهور نبي من العجم ونسخت القرآن المكتوب بلسان عربي مبين استبدلت به كتاب البيان المملوء بالاخطاء اللغوية والنحوية والافكار الغامضة التي لا تستقيم مع المنطق. اما الخمينية فليست بنا حاجة الى ايراد الادلة على عداوتها للعرب في مختلف ديارهم وتعاونها مع الصهيونية اعدى اعداء العرب لتنفيذ مخططات الدول ذات المصالح الكبرى في المنطقة.

والملاحظ ان اليهودية العالمية تسمح ولاول مرة بدخول احبار من اليهود في تنظيمات البابية في ايران ، ولاول مرة في تاريخ المنطقة يلقي الكيان الصهيوني بثقله وامكاناته في خدمة الخمينية ساعده الايمن في ضرب العرب وتمزيقهم واضعافهم وصرف انظارهم عن الارض السليبة في فلسطين.

لقد استفادت الدول ذات المصالح في المنطقة من الدرس السابق حين لم تستطع في القرن التاسع عشر الميلادي ان تجعل البابية في السلطة في ايران ولهذا فقد هيأت الظروف والمستلزمات كافة هذه المرة لتمكين الخمينية من الصعود الى السلطة في ايران وبهذا اصبح لديها القدرة والامكانات لتنفيذ اهدافها بطرق العدوان والارهاب والتخريب في المنطقة والعالم اجمع.

واخيرا فليس من الغرابة ان تنشأ كلا الحركتين في ايران وتحاول منذ البدء مد نفوذهما اولا وقبل كل شيء الى العراق لنشر تعاليمهما الهدامة فيه. فمثلما عاش حسين المازندراني وقرة العين وغيرهم من تلاميذ ومريدي الباب في العراق فترة من الزمن ، كذلك عاش الخميني وبعض اتباعه في العراق محاولين بث افكارهم فيه.

البهائية :

وهي حركة دينية – سياسية ذات طبيعة باطنية مغالية هدفها هدم الاسلام وشريعته واستبدال دين جديد خليط متناقض من فلسفات باطنية وصوفية قديمة وديانات عديدة سبقت الاسلام به ، تحت شعار وحدة الاديان

والبشر. (١٧)

وكان زعيم هذه الحركة حسين علي المازندراني الذي عاش في طهران وتنقل في مدن ايران حيث اعشاش الصوفية وبؤر الباطنية حتى دخل في معية علي محمد الباب وبدأ بنشر تعاليم البابية . وقد زاد نشاطه بعد اعدام الباب فنفته السلطات الايرانيه الى بغداد ثم غادرها بعد ذلك الى احدى قرى السليمانية بالعراق. ثم نقل الى ادرنه ومن هناك الى عكا حيث بقي فيها حتى موته سنة ١٨٩٢م/ سنة ١٣٠٩هـ.

لقد كان الميرزا حسين المازندراني من اقوى الشخصيات البابية الملتفة حول علي محمد الباب وقد حصل منه على لقب (بهاء الله) ومن هنا جاءت تسمية الحركة بالبهائية.

فالبهائية اذن حركة انبثقت من البابية ولكنها - بفضل زعيمها حسين المازندراني بهاء الله - استقلت عن البابية وكونت لنفسها تعاليمها وكتبها ومحافلها الجديدة. وقد بدأ دور حسين بهاء الدين في التأثير على البابية منذ مؤتمر بدشت حيث وجه القرارات الوجهة التي تخدم طموحاته واهدافه المستقبلية.

ولعل من اساليب حسين بهاء الله التي تدل على خداعه ومكره للناس ، وضعه القناع على وجهه وادعاءه بان نور الله المشع من وجهه لا تحتمله الابصار ، وهو بهذا سار على خطى المقنع الخراساني الذي ظهر قبله بقرون عديدة ولبس برقعا على وجهه مدعيا نفس الدعوى. كما ان بهاء الله زعم بان حركته اصلاحية تحاول تجديد الاسلام واصلاح المجتمع وذلك من اجل كسب اكبر عدد من الناس قبل ان يعلن عن ارتداده عن الاسلام ودعوته الى شريعة جديدة تنسخ الاسلام.

اما طمعه في السلطة وزعامة الحركة فيظهر في اغتصابه حق اخيه الميرزا يحيى الذي اوصى الباب علي محمد له بزعامة الحركة البابية قبيل اعدامه. وقد وقع الخصومة بين الاخوين وانقسمت البابية الى فرقتين كل منهما تؤيد احد الاخوين وهذا ما دعا السلطات العثمانية الى ابعاد الميرزا حسين بهاء الله الى عكا والميرزا يحيى الى قبرص.

واذا كان بهاء الله قد اسبغ على نفسه الغموض بوضعه البرقع على

وجهه فقد اسبغ كذلك الغموض والتعتيم على حركته البهائية برفعه شعارات اممية وانسانية عامة تخفي وراءها تنظيما سياسيا هدميا للمجتمع الاسلامي وعقيدته . وقد مكنتها هذه الشعارات من التعاون مع العديد من الحركات والمؤسسات المشبوهة من ماسونية ويهودية ودوائر استعمارية اوربية وامريكية لا تضمر الا الشر والحقد على الاسلام والعروبة. ولعل ابرز ما في البهائية بعدها السياسي المتمثل في كونها منعطفا خطيرا في التعاون الفعال بين اليهود ودوائر الاستعمار من جهة والفرس من جهة اخرى.

وعلى طريقة فرق الغلاة والباطنية وخاصة الحركات التي سبقت البهائية مثل البابية والشيخية فقد تدرج الميرزا حسين البهاء فادعى انه الموعود الذي ظهر الى الوجود ثم ادعى انه نبي مرسل عل هياة المسيح نزل من السماء بالحق ، ولكنه لم يقف عند النبوة بل تعداها الى الالوهية فقال انه الله. وقد اشار البهائيون في اكثر من مناسبة الى اعتبارهم حسين البهاء ربهم . ومن هنا جاء نعتهم من قبل المفكرين المسلمين المحدثين (بانهم نسخة من الباطنية القدماء). وتؤكد ذلك شعاراتهم التي تقول بعضها بالحرف الواحد: "بهاء الله الهي الابهى"!!

وجريا على عادة القوم من الغلاة والباطنية اتبع ميرزا حسين البهاء اسلوب التأويل الباطني للقرآن الكريم دون اي اعتبار للضوابط اللغوية وقواعد التفسير التي يسير عليها المفسرون في مختلف المذاهب الاسلامية.

ولا نرى داعيا للأشارة الى امثلة من هذه التفاسير لآيات القرآن فهي في الواقع سخافات بعيدة عن المنطق والعقل والتصور اللغوي او الفقهي ولا يضبطها ضابط من اللغة العربية او غيرها من الضوابط الاصولية والعقلية. والمهم ان هدفها هو ايراد الآيات للتدليل على مجيء البهاء والتبشير بقدومه واثبات صحة تعاليمه وعقيدته !!. وهكذا صرفت الآيات القرآنية عن معانيها الحقيقية الى تاويلات ورموز مسخرة لخدمة البهائية ودينها الجديد البديل عن الاسلام. كل ذلك تحت شعار الاممية والانسانية والتظاهر بان الاوضاع قد وصلت الى درجة من التدهور والفساد بحيث تحتاج الى شريعة جديدة ودين جديد.!!

- ان آراء وتعاليم بهاء الله الغامضة المتضاربة المستمدة من اغلاط

الفلسفة والصوفية المتطرفة والاديان القديمة والحديثة ظهرت في مجموعة من كتب البهاء ورسائله ولعل اهمها كتاب (الاقدس) وكتاب (الايقان) وغيرها من الرسائل. وقد اعلن البهاء ان هذه الكتب الهية ونسبها الى نفسه باعتباره اله حل في جسد بشر على طريقة الحلول الباطنية. وبهذا فان كتبه ليست موحاة او منزلة عليه كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم الذي اوحى به من الله تعالى الى الرسول محمد (ص) !! لقد كان الهدف من كتبه ورسائله نسخ جميع الشرائع السابقة وخاصة الاسلام لانها لم تعد تتوافق ومتطلبات الحياة العصرية الجديدة على حد زعمه . وقد قام بعض الباحثين بتفحص الكتاب الاول (الاقدس) فوجدوا فيه محاولة غبية فاشلة لمحاكاة القرآن الكريم في الاسلوب واللغة ، اما المعاني والافكار فهي ساذجة ومتناقضة لا يرتضيها العقل او المنطق او العصر الذي زعم بهاء الله انها جاءت لكي تنسجم معه . ولعل ما فيها من دعوة الى الخضوع والاستكانة للمستعمرين واذنابهم من الحكام ما يفضح طبيعة البهائية الفارسية في عدم الاعتراض على سياسية الحكام مع استبدادهم وجبروتهم ، كما انها تكشف من جهة اخرى مدى التواطوء بين الاستعمار والصهيونية والبهائية. يقول بهاء الله في الاقدس:

"ليس لاحد ان يعترض على الذين يحكمون العباد ، دعوا لهم ما عندهم وتوجهوا الى القلوب"!!

كما استعمل البهاء التاويل في تفسيره الآية القرآنية "والسموات مطويات بيمينه" ان القصد منها ان الاديان السبعة البرهمية والبوذية والكونغوشوسية والزرادشتية واليهودية والنصرانية والاسلام جميعا مطويات بيمين الميرزا حسين. وبهذا فقد انهى شريعتها بشريعة جديدة ، جامعة وعصرية !!

وعلى طراز الحركات الباطنية التي قبلها فقد اعطت البهائية قيمةمهمة للاعداد فكان لكل حرف قيمة عددية معينة. وحروف الحياة عندها هي النقطة والثمانية عشر حرفا. اما النقطة فهي بهاء الله اما الحروف الثمانية عشر فهي اسماؤه الحسنى.

ان الذي يعنينا من الحركة البهائية هو بعدها التاريخي السياسي

بالدرجة الاولى فمع تبرقعها ببرقع الانسانية الاممية فان هذا البرقع لم يستطع ان يخفي شعوبيتها أو عداءها للعروبة والاسلام بل ووقوفها على طرفي نقيض لكل ما هو وطني وقومي عند شعوب العالم.

اما فارسية البهائية وشعوبيتها فواضحة من مجموعة كتاباتها . فالبهائية - مثل الحركات المجوسية التي ظهرت في العصر العباسي الاول كحركة بهافريد - تؤمن بنبوة زرادشت الذي بشر بظهور الباب والبهاء من بعده . كما تنبأ زرادشت بان مكانة امة محمد ستنتهي في اجل معين ليبدأ دين جديد على يد بهاء الله. وبهذا فان القضاء على الاسلام والامة العربية قد حان لامحالة!! ومن مظاهر شعوبية البهائية استعانتها بالاحاديث النبوية الموضوعة والمزيفة لتمجيد الفرس واللغة الفارسية. فكلام الذين حول العرش الفارسية وكلام اهل الجنة الفارسية والعربية وان كل الذين سندوا البهاء والتفوا حوله من العجم. وان اشرف مكان في المعمورة هو الموضع المعروف بايران شهر ويقع وسط المعمورة!! كما اول البهائية العديد من آيات القرآن لتمجيد الفرس وفي هذا المجال قالوا ان (اصحاب الرس) مثلا هم جملة انبياء ايران ومنهم زرادشت.

وقد سارت البهائية على طريق سلفتها البابية في ايجاد سبل التعاون مع اليهودية واستعانت بالعديد من كلمات التوراة لترويج تعاليمها واهدافها ، بل ان البهاء حسين عارض القرآن الكريم وزعم ان التوراة والانجيل لم يعترهما التحريف والتغيير. ان الوفاق اليهودي البهائي ضرب عصفورين بحجر واحد وحقق مصلحتهما المشتركة. فهو من جهة استغل التوراة المحرفة لاثبات تنبؤاتها بظهور المنقذ الموعود بهاء الله وتأييد جملة معتقداتها البعيدة عن الاسلام . ومن جهة اخرى فقد روج البهاء في كتاباته الدعوة الى قرب تجمع اليهود من الشتات الى الارض الموعودة (فلسطين) و عدها بشارة وعلامة من علامات ظهوره. واكد ابنه وخليفته عبد البهاء عباس نفس الزعم في كتاباته حين قال صراحة:

"... وفي تلك الدورة سيجتمع بنو اسرائيل في الارض المقدسة وتكون امة اليهود - كذا - التي تفرقت. مجتمعة".

ثم يزعم قائلا:

"الآن تأتي طوائف اليهود الى الارض المقدسة ويمتلكون الاراضي والقـرى ويزدادون تدريجيا الى ان تصير فلسطين جميعا وطنا لهم".

وهكذا عن طريق الدعوة الى الاممية والخروج على كل الاديان انتهت البهائية الى شعوبية فارسية مجوسية متحالفة مع اليهودية والاستعمار والماسونـيـة. الا ان فشل هذا التحالف في تحقيق شعاراته الزائفة التي يختفي وراءها في تحقيق السلام والوفاق والازدهار يؤكد ان هدف هذه الحركات ليس تخلـيـص البشرية من الويلات والدمار بل هدم البقية الباقية من قيمـهـا ومـثـلـهـا ودياناتها التي لازالت متمسكة بها. والواقع ان اهدافها الهدمية قد انكشفـت للعديد من المفكين والاتباع الذين انخدعوا بها وظنوها حـركـة اصـلاحـيـة وتجسيدية تدعو لتقوية المبادىء الخلقية وتبشر بالاخاء والمحبة والسلام بين الامم !!

واخيرا لا آخرا فانعلاقة البهائية بالاستعمار البريطاني علاقة وثيقة حيث كانت بريطانية احدى الحكومات التي ساعدت الميرزا حسين على الخروج مـن ايران وتخليصه من الاعدام ورعته خلال حله وترحاله في العراق وفلسـطيـن. كما منحت ابنه عبد البهاء عباس وسام الفارس لقاء خدمـاتـه الـمـهـمـة للحكومة البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى . والجديـر بـالـذكـر ان البهاء وابنه كانـا يدعوان الى الطاعة المطلقة للادارة البريطانية سواء في ايران أم في البلاد العربية التي حل فيها البهاء او حاول نشر تعالـيـمـه فيها. ان الوفاق في الطبيعة والاهداف بين البهائية والصهيوينة والماسونية ودور المؤسسة الاستعمارية في تلك التحركات السياسية والدينيـة دعـا دولا عديدة ومنها العراق الى منع ترويج مبادىء البهائية او الانـتـسـاب الـى مؤسساتها باعتبارها خطرا يهدد المجتمع كيانا وعقيدة.

القاديانية:

حركة باطنية مغالية تنسب الى مؤسسها الميرزا غلام احـمـد مـرتـضـى القادياني نسبة الى مدينة قاديان في اقليم البنجاب بالهند. ويبدو انـهـم من اصل مغولي ولكنه ادعى النسب الفارسي من جهة الاب والعربي العـلـوي من جهة الام . وقد استفحلت حركته في اواخر القرن المـاضي وتوفي في

لاهور سنة ١٩٠٨م. (١٨)

لقد ولدت الحركة القاديانية وتطورت في ظل الاستعمار البريطاني في الهند وفي ظروف المقاومة الاسلامية الصلبة للانكليز تحت شعار الجهاد ضد الكفار الذين استولوا على الوطن. ان هذه المقاومة الاسلامية للانكليز قد جعلتهم يدركون ان السبيل الاوحد للقضاء على الثورة هو خلق زعيم من السكان المحليين يرفع شعار الدين ويؤسس حركة دينية تحارب الاسلام وتقضي على مبادئه وخاصة الجهاد باسم الاسلام!!.

والواقع ان الامر لم يكن جديدا وان الاسلوب لم يكن مبتكرا فمثلما اوجد الاجانب في ايران البابية والبهائية كذلك فعلوا في الهند حين ابتدعوا القاديانية. فقد كان التنسيق واضحا منذ البداية بين الحركة والانكليز بهدف تطويع المسلمين في الهند وانتزاع روح المقاومة منهم تلك الروح التي تزكيها فكرة الجهاد.

وقد بدأ الميرزا غلام احمد حركته بحسبانه داعية اسلامية مجددا ثم انتقل الى الزعم بانه الحجة وبعد ذلك ادعى بانه المنقذ الموعود والمسيح المخلص ثم انتقل الى مرحلة النبوة. ولاشك فان العديد من زعماء الغلو مروا بنفس المراحل وادعوا نفس الدعوات في السابق. وبهذا لم تخرج القاديانية عن مدار حركات الغلو الباطنية من مراحلها .

كما ان القاديانية لم تخرج عن حركات الغلو من حيث المبادىء والتعاليم التي تبنتها والتي تستند على مبادىء الحلول والتناسخ والتأويل واستمرار النبوة والعمل تحت ستار المهدوية ورفع شعارات اسلامية زائفة الهدف منها ضرب الاسلام من الداخل.

ولعل اخطر هدف سياسي للحركة القاديانية هو تعاونها مع الاجنبي الغازي والعمل بشتى الوسائل على ترويج فكرة طاعته والولاء له ، ولا يتاتى ذلك بطبيعة الحال الا بالغاء فريضة الجهاد عندالمسلمين ونشر مبدأ الاستكانة والخضوع للمستعمرين بينهم. وقد وجد الانكليز ضالتهم في الميرزا غلام احمد الذي لجأ الى التأويل الباطني لآيات القرآن واحاديث الرسول (ص) وزعم انه المسيح الموعود الذي سيضع الحرب ، واولوا عبارة "تضع الحرب" بمعنى الغاء الجهاد الاسلامي وقد ساعد الانكليز واليهود الميرزا

غلام احمد لبث فكرته هذه بالغاء الجهاد ، الذي فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن الغاء الجهاد يعزز نفوذ الانكليز في الهند ونفوذ الصهاينة في فلسطين!!

الهوامش:

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص٦٦ فمابعد. - النوبختي ، فرق الشيعة ، ص٧٨.

(٢) سعد القمي ، المقالات والفرق ، ص٦٣ فمابعد . ص١٠٠.

(٣) فرق الشيعة ، ص٧٨.

(٤) الكشي ، الرجال ، ص٤٣٥.

(٥) الطوسي ، الرجال ، ص٤٠٧.

(٦) الشيبي ، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص١٨.

(٧) كان ابن نصير نفسه فارسي الاصل من موالي نمير (راجع عبد الحسين العسكري) ، العلويون او النصيرية ، ص٣١.

(٨) حول التفاصيل راجع : الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ، ص١٥٠. نفي شرف الدين ، النصيرية ، بيروت ١٩٨٣. عبد الحسين العسكري العلويون او النصيرية ، ١٩٨٠. عماد عبد السلام ، الندوة الفكرية حول التحديات ... بغداد ١٩٨٧/٩/٢١.

(٩) عماد عبد السلام ، المصدر السابق .

(١٠) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ص٣٠٩. القاهرة.

(١١) راجع عماد عبد السلام ، الندوة الفكرية .

(١٢) ابو مغلي ، ايران ص٢٤٤.

(١٣) الشيبي ، الصلة .. ص٥. - راجع كذلك محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة.. ص١٠٠ - ١٠١.

(١٤) الشيبي ، الفكر الشيعي ، ص٤١٣ فمابعد. - البغدادي ، التشيع ، ص٧٤-٧٨ حيث يفصل في البدع والمستحدثات عن العقيدة الامامية في الفترة الصفوية. - الموسوي ، الشيعة والتصحيح ، ص٧٠.

(١٥) راجع : محسن عبد الحميد ، حقيقة البابية والبهائية ص٣٠ فمابعد مهدي الموسوي ، عقائد الشيخية ، ص٢١ فمابعد. - عماد عبد السلام المصدر السابق.

(١٦) راجع: محسن عبد الحميد ، المصدر السابق .- عبد الرزاق الحسني ، البابيون والبهائيون ، ماضيهم وحاضرهم.- احسان الهي ظهير ، البابية ، ص٥٣ . - ناصر الدين شاه ، العقائد الشيعية ، ص١٣١. - البابية والبهائية لمحمود الملاح.

(١٨) لقد كتب الكثير في هذه الحركة ، راجع المصادر في هامش رقم ١٦ وكذلك السامرائي ، القاديانية ، بغداد. بلا تاريخ.- عبد العزيز نصحي ، البهائيون.- عبد الرحمن الوكيل ، البهائية تاريخها وعقيدتها . - احسان الهي ظهير ، البابية ، ص٤٩ فمابعد. نفس المؤلف ، البهائية ،طبعة لاهور ١٩٨٤.

(١٨) حول هذه الحركة راجع: احسان الهي ظهير ، القاديانية .- السامرائي ، القاديانية .

الفصل
الخامس

الخمينية
حلقة في سلسلة حركات الغلو الباطنية

دراسة مقارنة

ان ما نسعى لاثباته في هذا الفصل الاخير وعن طريق دراسة تاريخية مقارنة بأن الحركة الخمينية ليست حركة اسلامية وليست ظاهرة معزولة عن الارث الديني الفارسي الذي اشرنا اليه في الفصول السابقة وانما هي جزء لا يتجزأ من سلسلة الحركات الدينية - السياسية الفارسية التي اندلعت في المجتمع الاسلامي ابتداءا من ظهور الدولة العربية الاسلامية وحتى عصرنا هذا اعتمدت مبادىء الغلو الباطنية عقائديا رغم تسترها بالاسلام وتبرقعها وراء التشيع العلوي. واستخدمت اسلوب الهدم والارهاب والاغتيال سياسيا مع ادعائها الثورية والنضال ضد الاستعمار والصهيونية. ان الحركة الخمينية مثلها مثل الحركات الحشيشية الباطنية والقرامطة والخرمية البابكية ثم الحروفية والبابية والبهائية والقاديانية شكلت تهديدا للاسلام عقيدة، وللمجتمع الاسلامي نظمه ومؤسساته وتشريعاته وما يمثله من قيم ومثل ومعايير سياسية واجتماعية وثقافية، كما انها تمثل - كغيرها من حركات الباطنية التي سبقتها - العداء الشعوبي الفارسي للعروبة ذلك العداء الذي يغور في اعماق التاريخ ويتصف بالدوام والاستمرار رغم تغير شعاراته وبراقعه التي تتستر وراءها. ان هذا العداء العنصري الشعوبي كان ولايزال يستهدف الاستخفاف بالعرب وبمهمتهم القيادية في الحركة الاسلامية والتشكيك في مكانهم البارز والمهم في بناء الاسلام ودولته وحضارته. وانكار انجازاتهم الحضارية او التقليل من شأنها او نسبتها الى شعوب اخرى. ومثلما اساءت حركات الغلاة والباطنية في العصر العربي الاسلامي الوسيط الى الفكر والعقيدة الاسلامية والى صورة الاسلام الصحيح الخالص، كذلك فعلت الخمينية المعاصرة موظفة كل تقاليد واساليب الباطنية في الفكر والحركة والدعوة فكانت الوريث لتلك الحركات الغالية بكل ارثها العنصري والمذهبي واهدافها التخريبية في المنطقة.

لقد وجد الخمينيون - غلاة القرن - في الارث الباطني القديم تجربة رائدة وسابقة مهمة وثرية لابد من الاستفادة منها والحذو حذوها فكانوا نسخة طبق الاصل من تلك الحركات وان اختلفت الشعارات والمصطلحات تبعا لاختلاف العصر وتغير المفاهيم!!

ان الفارق المهم بين الخمينية وسائر الحركات الباطنية التي سبقتها هو

انهـا استطاعت ان تقفز الى السلطة في ايران بعد ان قطعت هي وحدها ثمار الحركة الوطنية الايرانية وجهادها ضد الاستبداد والفساد.(١) وبذلك غدا في يد الخمينية امكانيات مادية ومالية وبشرية هائلة استخدمتها في الدعاية لنفسها عبر وسائل الاعلام المختلفة ووسائل الارهاب والتخويف ووسائل العدوان والابتزاز ووسائل الاغراء والوعد والوعيد. وهذا يفسر سبب تحقيق الحركة الخمينية خلال السنوات الاولى من قيامها نجاح ملحوظ في ايران وكسبها نسبة لابأس بها في مجتمعات اسلامية اخرى. ذلك ان الخمينية مثلها مثل الحركات الباطنية التي قبلها حركة عملت على القضاء على الاسلام بأسم الاسلام" وخراب بلاد الاسلام وهدم المجتمع الاسلامي تحت شعار "المصلحة الاسلامية". !!

ولعلنا لانزال نذكر الدعاية الكبيرة في وسائل الاعلام الايرانية وفي الكتب والنشرات العديدة(٢) التي صدرت في ايران في سنة ١٩٧٩م وما بعدها - وقبل ان تنكشف مخططات الخمينية ضد الاسلام والعروبة بل والعالم بكل قيمه الانسانية - فقد صورت تلك الوسائل الاعلامية الايرانية الخميني على انه الزعيم الاسلامي الامثل الذي كان ينتظره المجتمع الاسلامي منذ امد بعيد ، وانه داعية للاسلام والاسلام وحده دون طائفية او مذهبية وهدفه وحدة العالم الاسلامي دون اثارة الخلافات التي شتتت المجتمع وفتتت قواه. ومقارنة بين ماأشرنا اليه عن البابية والبهائية والقاديانية وحركات الغلو التي سبقتها تثبت لنا ان الوسيلة واحدة فكل تلك الحركات الباطنية ظهرت بمظهر الحركات "الاصلاحية التجديدية الاسلامية" اضافة الى صبغتها "الانسانية والاممية" ... لقد كان الظاهر على الدوام واحد اما الباطن فكان يخفي الحقد على الاسلام وهدمه من الداخل بالتعاون مع اليهودية العالمية ثم الصهيونية.

وسيرة الخميني لا تختلف كثيرا عن سيرة الباب والبهاء والقادياني الذين عدوا في زمنهم قادة وعلماء مثاليين ورموزا لنهضة العالم الاسلامي ومجددين ومصلحين عقيدته مثلما يعد الخميني اليوم. فالخميني هو روح الله مصطفى احمد ليس لعائلته صلة وثيقة بايران فجده احمد جاء اليها قبل حوالي القرن من الهند وسكن قرية خمين ومن هنا جاء لقبه الخميني.(٣)

ولكن على عادة زعماء العديد من حركات الغلو الباطنية فان الخميني ادعى النسب العلوي العربي ويحمل توقيعه دلالة تشير الى ارتباط نسبه بالامام موسى بن جعفر (رض). والواقع ان التاريخ الاسلامي تثبت ان العديد من زعماء الفرس الطموحين - وعلى سبيل المثال ابي مسلم الخراساني وبني بوية - حين ادعوا السلطة وطمعوا في السيادة والزعامة انتحلوا لانفسهم نسبا عربيا !! وهكذا فان هذه الجماعات غير العربية حين تطلعت الى الزعامة سقطت من حيث تشعر او لا تشعر في شرائط الامامة المعروفة ومنها النسب العربي. ذلك ان التاريخ يثبت ان قيادة الامة الاسلامية وزعامة الاسلام بيد العرب. والعرب افضل من نشر الاسلام واحسن من فهموه على صورته الاولى التي جاء بها القرآن وبشر بها الرسول (ص).

وحينما كان روح الله الخميني في بداية الخمسينات في الحوزة الدينية في قم ضمن علماء الدين المقيمين فيها لم تكن علاقته - على ما يبدو - جيدة مع الامام البروجردي وكذلك الامام شريعة مداري، وقد نقل عن البروجردي قوله في الخميني بان هذا الرجل سيهدم الحوزة الدينية ويكون وبالا على الاسلام واهله بسبب تطرفه الديني.

لقد أدرك الخميني وهو في قم بانه لا يستطيع ان يجاري علماء الحوزة الدينية . ولذلك بدأ يضرب على الوتر الحساس وهو السياسية واستغل ظروف ايران السيئة زمن الشاه فاطلق العديد من التصريحات الحماسية التي - ولاشك - كونت له رصيدا من المؤيدين الناقمين على الحكم في ايران.

وقد زادت شعبيته حين سجن بعد ذلك ثم نفي الى تركيا (بورصة) حيث بقي سنة ثم قدم سنة ١٩٦٥م الى العراق بعد موافقة الحكومة العراقية وبقي فيها حوالي ١٥ سنة ثم تركها الى فرنسا حيث عاد بعدها الى ايران سنة ١٩٧٩م ليصبح على راس السلطة هناك بعد ثورة الشعب الايراني.(٤)

على ان عقيدة خميني الدينية والسياسية واسلوبه في العمل واهدافه لم تكن وليدة الساعة ولا هي تكونت خلال الثورة الايرانية او بعدها حين تسلم السلطة. ذلك لان آراءه المتطرفة والغالية واهدافه العدوانية كانت معروفة لدى المقربين من اتباعه ومريديه وقد كشفت عنها العديد من تصريحاتهم او اشارات الامام البروجردي وشريعة مداري والحكيم وموسى الموسوي وغيرهم

كثير .. ولكن اهم من هذا وذاك هو ما كتبه الخميني وما صرح به تصريحات عبر وسائل الاعلام والنشرات المختلفة فهي المعبر الصادق عن عقيدته الدينية والسياسية وشخصيته واهدافه.

لقد اشتهر من بين كتب الخميني كتاب (الحكومة الاسلامية) وهو اساس حركته ومنطلق دعوته والمعبر عن شخصيته حيث يفصل فيه بدعته الجديدة (ولاية الفقيه). اما كتابه الثاني المهم فهو (كشف الاسرار) الذي ألفه في الاربعينات من هذا القرن وشهرت ترجمته العربية حديثا[٥] ، وهذا الكتاب يكشف خميني على حقيقته فاذا به يتبنى العديد من افكار الغلاة والباطنية فيما يتعلق بالحلول والتناسخ وختم النبوة وما يتعلق بتحريف القرآن وتأويله وكذلك بموقفه من الصحابة (رض) فهو في كل ذلك لا يتبنى آراء الشيعة الامامية المعتدلة بل يجنح دوما الى التطرف والغلو ... ويبدو ان هذه المواقف بالذات هي التي ابعدت عنه الامام البروجردي شريعة مداري ونفرت منه الامام الحكيم والامام كاشف الغطاء وغيرهم ، وهي نفسها التي جعلت ابنه الاكبر مصطفى يقول عنه "ابي هدام وليس بناء"، وكان مصطفى يعترض على العديد من اقوال ومواقف والده الخميني ويرى انها لا تليق بمرجع ديني او رجل في شيخوخته لانها كلام المهرجين.[٦]

وللخميني كتب اخرى منها (تحرير الوسيلة) وهو في الفقه وكذلك كتاب (تحفة العوام..)[٧] وسنعتمد على مقتطفات من هذه الكتب وكذلك تصريحات الخميني للدلالة على آرائه ومعتقداته واهدافه التي اراد ان يمررها - تحت شعار الدين ومن وراء برقع التشيع - على المجتمع الاسلامي وهي في واقعها عقيدة التطرف الباطني بتعابير ومصطلحات القرن العشرين!!.

ولابد ان نوضح هنا امرا بالغ الخطورة وهو ان الحركة الخمينية كغيرها من الحركات الباطنية المغالية استغلت كل مفردة من مفردات الاسلام عموما والفرقة الامامية خصوما ووظفتها لمصلحتها لتبرير موقف سياسي معين. وبمعنى آخر فان عقائد الشيعة الامامية في جانبها الديني او العقدي لم تكن شيئا يهم الحركة الخمينية بقدر ما يهمها تفسير هذه العقائد من عصمة ونص وتعيين. ومهدوية وتقيه وغيرها بشكل يخالف تفسير الامامية لها وعزو

هذه التفاسير الى الائمة العلويين بطريقة وضع الاحاديث ونسبتها اليهم وتاويل النص القرآني بطرقة ليصبح فيها اداة لتمرير آرائهم المتطرفة في قضية من القضايا او لاضفاء المشروعية على موقف سياسي معين تتخذه الخمينية او غيرها من الفرق الباطنية.

فالمهم اذن ليس الجانب العقدي لفرقة من الفرق الإسلامية مثل الامامية ولكن المهم هو ان تكون هناك حركة مثل الخمينية تستغل عقيدة الامامية وتحرفها لتبرير مواقفها وسياساتها وبذلك فان التركيز هنا على الدواعي والاسقاطات السياسية التي استغلت الاسلام او الفرقة الامامية وعملت تحت ستارها وحرفت تعاليمها وعقائدها واخرجتها عن دائرة الاسلام واطاره.

وسنتطرق الى العقائد الاساسية في الحركة الخمينية:

اولا ـ التأويل:

اشرنا سابقا ان كل الفرق المغالية والباطنية تدعي بان لكل تنزيل تأويل ولكل ظاهر باطن.(٨) فهم يؤكدون على التفسير الباطني للقرآن الكريم ويجعلون هذا التاويل حكرا على ائمتهم وزعمائهم. والمعروف ان هذا التاويل يتجاهل كافة الضوابط اللغوية والاصولية والنقلية والعقلية التي يجمع عليها المفسرون من كافة المذاهب الاسلامية. وهكذا تحول القرآن عند الغلاة والباطنية الى كتاب اخر ليس بينه وبين قرآن المسلمين رابطة الا الكذب والتحوير والتحريف لان ما يقوم به الباطنية انما هو فهم رمزي لا يضبطه ضابط من لغة او فقه بل هو في حقيقته تاويل تقتضيه المصلحة السياسية والموقف السياسي.(٩)

وكان المغيرة العجلي من اوائل من أول كلمات القرآن على انها تشير الى رجال بعينهم وان هذا الغلو قاد فيما بعد عند الخطابية الباطنية الى تاويل آيات اخرى للدلالة على اسقاط الفرائض الدينية واباحة المحرمات. اما الخميني فلم يكتف بالاعتماد على روايات موضوعة ومنسوبة الى الائمة العلويين في كتب الحديث مستخدما اياها في تأويل آيات القرآن تبعا لوجهات نظره بل ذهب الى اكثر من هذا ليزعم بان القرآن محرف. حيث اتهم صحابة الرسول (صلعم) بتحريف القرآن قائلا:

"لقد كان سهلا عليهم (الصحابة) ان يخرجوا هذه الايات من القرآن

وتيتناولوا الكتاب السماوي بتحريفه ويسدلوا الستار على القرآن ويغيبوه عن أعين العالمين". (١٠)

وعلى سبيل المقارنة نشير الى تاويل المغيرة العجلي وهو احد الغلاة للآية القرآنية :

(انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) .. (الاحزاب:٧٢)

يقول المغيرة العجلي ان الامانة هي امامة علي (رض) ، والانسان هنا هما ابو بكر وعمر بن الخطاب (رض) اللذان تحملا الامانة وغدرا بعلي بن ابي طالب واغتصبا منه الخلافة. ففي نفس الموضوع نلاحظ ان المغيرة يؤول الآيات كما يحلوا له اما الخميني فيزعم ان صحابة رسول الله (ص) حرفوا القرآن واخرجوا منه آيات لم يذكرها في حق الامام علي (رض) !!.

وهكذا فقد اكد خميني نهج سلفه ميرزا حسين الطبرسي المتوفي سنة ١٣٢٠هـ / سنة ١٩٠٢ م الذي كتب كتابا سماه (فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الارباب) جمع فيه روايات ونصوص موضوعة ومختلفة تحاول ان تثبت ان القرآن الكريم قد لعبت به الايدي زيادة ونقصانا. والادهى

ان هؤلاء الفقهاء الفرس وضعوا الاحاديث عل لسان الائمة العلويين لاثبات وجهة نظرهم. فقد روى جابر الجعفي عن الامام محمد الباقر قال:"سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما انزل الا كذاب..". ونسبت روايات اخرى بنفس المفهوم الى الامام جعفر الصادق (رض). (١٠)

ثانيا - هدم عقيدة التوحيد المطلق:

عملت فرق الغلاة التي عالجناها سابقا على هدم عقيدة عدم الشريك في الالوهية وخواصها وابتدعت لذلك طرقا شتى منها الحلول والتناسخ بمعنى ان روح الله تعالى تحل في البشر وان الارواح تنتقل من شخص الى اخر فليس هناك بعث وقيامة. وقد نبعت هذه الفكرة من المجوسية قبل الاسلام حيث كان الفرس يعتقدون بان ذات الله تتجسم في الحاكم وان النور الالهي ينتقل في اصلاب العائلة المالكة ولذلك فهم ظل الله في الارض.

وليس هناك كبير فرق بين هذه المقولة وما يزعمه خميني حين يسمي الى الائمة العلويين فيجعل لهم مقاما بمستوى الالوهية حين يقول:

"ان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون. وان من ضرورات مذهبنا ان لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ..."(١١)

وحينما يستطرد خميني ويقول بان الائمة (رض) كانوا قبل هذا العالم انوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين فانه يستقي من تراثه الهندي - الآري فكرة العائلة الالهية المختارة التي تنقل في اصلابها النور الالهي جيلا بعد جيل. كما ان فكرة النور هذه ظهرت في فرق الغلاة وخاصة المتصوفة من الغلاة ونادى بها السهروردي الذي قتل بحلب سنة ٥٨٧هـ وحاول ان يمزج المجوسية بالفلسفة اليونانية فابتدع ما يسمى بالحكمة الاشراقية قوامها الكشف والالهام والرياضة الروحية التي توصله بعالم الانوار وادعى انه حكيم متاله يتلقى معرفته النقية التي لا تقبل الخطأ ترتبط بعالم الانوار مباشرة.(١٢) وقد اوضح الاستاذ الدكتور عرفان عبد الحميد خطر هذه الدعوى لانها تقود في نهاية المطاف الى القول بان الوحي باق ومستمر، وابان كذلك عن اصولها الزرادشتية.(١٣)

وللخميني في هذه الدعوة غاية سياسية بعيدة فقد لاحظنا في العديد من زعماء الغلاة والباطنية انهم يدعون الصفات الخارقة للأئمة عليهم رضوان الله ثم بعد مدة ينقلون تلك الصفات والسلطات لانفسهم باعتبارهم نوابا عن الامام ثم ينتقلون بعد ذلك الى مصاف الانبياء واخيرا يدعون الالوهية كما فعل ابو منصور العجلي وابو الخطاب وكما زعم الباب علي محمد الشيرازي واخيرا الخميني. وهذا الاخير باعتباره نائبا للامام واستنادا على دعواه بولاية الفقيه سيكون له ما للامام من منزله وسلطة ومقام وبذلك سوف لا تكون هناك حدود معينة لسطوته وسلطته الدينية والسياسية. وهذا ما يهدف اليه خميني وانصاره.

ثالثا - من هذا المنطلق يجب النظر الى مواقف خميني من تعاليم وعقائد اخرى تناولها في كتبه او خطبه ومنها (عقيدة ختم النبوة) تلك العقيدة

التي هـــي من مبادئ الاسلام المعروفة. ولكن الحركة الخمينية باعتقادها بفكرة النور ومغالاتها بالائمة واعتبارهم فوق الانبياء قد فرطت بعقيدة ختم النبوة. بل ان الخميني في احد خطبه اكد ان جبريل (ع) ظل ينزل على فاطمة الزهراء (رض) فيوحي اليها (١٤) وان الامام علي بن ابي طالب كان يكتب وحيها !!.

ومما يدل على ان الخميني ـ مثله مثل الغلاة ـ يؤمن بان النبوة مستمرة وباقية وان آيات القرآن لم تزول بعد لتعطي معناها الحقيقي قوله:

"اني متاسف لأمرين : احدهما ان نظام الحكم الاسلامي لم ينجح منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا .. وحتى في عهد الرسول لم يستقر نظام الحكم كما ينبغي .. وان عليا عليه السلام لم تتح له الفرصة لكشف علم الحقيقة وعلم الحقيقة هذا هو الذي اخبر النبي عليا في اذنه وقال علي بنفسه ان العلم الذي اخبر به النبي في اذنه يشمل آلاف الابواب في العلم. والامر المؤسف هو عدم اتاحة الفرصة للامام علي وخلفائه من الائمة من بعد لاظهار هذا العلم. ولم يجدوا شخصا يكون اهلا لتحمل هذا العلم ولبيان المعنى الحقيقي للتعليمات القرآنية وهكذا ذهب الامام ومعه علم الحقيقة. (١٥)

رابعا ـ ومن هذا المنطلق ايضا يجدر بنا النظر الى عقيدة (المهدوية). فالمعلوم لدى المؤرخين ان فكرة المنقذ او المخلص ليست مقصوره على فرقة معينة او شعب معين ، بل انها فكرة عالمية ظهرت في عصور قديمة قبل الاسلام وظهرت في مناطق مختلفة من العالم .وفي الاسلام اعتقدت بها فرق عديدة مع اختلاف في طبيعة هذا الاعتقاد بين هذه الفرق سواء الاسلامية ام غير الاسلامية.

ونحن هنا لا نناقش المهدوية عقيدة دينية فللناس فيما يعشقوه مذاهب ولكن الذي يعنينا هو مناقشتها من خلال اسقاطاتها السياسية ومن خلال استغلال الغلاة والباطنية لعقيدة المهدي المنتظر لتحقيق جملة اهداف سياسية.

لقد اوضحنا في الفصول السابقة كيف استغلت فرق من الغلاة عقيدة

المهدوية لاثبات زعامتها وتوسيع سلطاتها فالمختار الثقفي مثلا ادعى ان محمدا بن الحنيفة المهدي وجعل نفسه وزيره ونائبه.. وهكذا فعلت الخطابية حين اعتقدت ان ابا الخطاب لم يمت وسيرجع والاسماعيلية حين وقفت بعد موت اسماعيل بن جعفر الصادق وانتظرت رجعته.

والواقع ان الفرس هم الذين طوروا فكرة المهدوية بهذا الشكل واضافوا اليها وكان قصدهم الاول ايقاف التفتيت داخل المذهب واتباعه فحينما يقف الاتباع عند امام معين ولا يعترفون بموته وينتظرون رجعته فان الفرقة لا تنشطر الى اقسام عديدة. اما القصد الثاني فهو خلق زعامات فارسية تنوب عن الامام وتتمتع بصلاحيات الامام حتى يعود من غيبته !!

وفيما يتعلق بالمهدوية بدأ الخميني بالقول ان المهدي افضل من رسول الله (ص) وجميع الانبياء حيث قال:

"لقد جاء الانبياء جميعا من اجل ارساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا : حتى النبي محمد خاتم الانبياء الذي جاء لاصلاح البشرية وتنفيذ العدالة وتربية البشر لم ينجح في ذلك. وان الشخص الذي سينجح في ذلك ... هو المهدي المنتظر.

ان السبب الذي اطال - سبحانه وتعالى - من اجله عمر المهدي عليه السلام هو انه لم يكن بين البشر من يستطيع القيام بمثل هذا العمل الكبير حتى الانبياء واجداد الامام المهدي لم ينجحوا في تحقيق ما جاءوا من اجله.."(١٦)

وبعد ان يضفي هذه الصفات على المهدي حيث تجاوز عليه وعلى صفاته حتى في عقيدة الامامية ينتقل الخميني الى المرحلة التالية فيقول في موضع آخر:(١٧)

"وقد مر على الغيبة الكبرى (اي سنة ٣٢٩هـ) لامامنا المهدي اكثر من الف عام، وقد تمر الوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الامام المنتظر".

وهكذا - وعلى طراز فرق الغلاة والباطنية مع اختلاف في التعابير والمصطلحات تقتضيه طبيعة العصر - اعطى الخميني صفات خارقة وسلطات واسعة للامام المهدي ثم زعم ان المدة قد تطول قبل ان يظهر المهدي ثم

خلص الى النتيجة الحتمية وهي ما سماها (ولاية الفقيه) بمعنى ان يتقلد المجتهد او مرجع التقليد او نائب الامام او المرشد جميع سلطات المهدي وصلاحياته حتى يظهر.

ان الخطورة في فرق الغلاة ومنها الخمينية هي في تحويرها عقيدة المهدوية الى نظرية ذات بعد سياسي تنقل صلاحيات الامام الغائب الى نائب الامام وبتفويض منه. وبمعنى اخر فان القول بامام غائب ومعصوم ومنتظر بيديه سلطة التشريع والتنفيذ قد فسح المجال عبر التاريخ الاسلامي الى نقل حقوقه جملة وتفصيلا الى من يباشر الامامة باسم المهدي وهو المجتهد. وهذا المجتهد او زعيم الحركة يزعم ان ذاته تتحول الى ذات ولي حاكم معصوم عن الخطأ يباشر السلطة باسم امام غائب معصوم. وهكذا فان الثقل السياسي نقل من الامام الى المجتهد او الفقيه ومؤسسته الدينية وله وحده الحق في ان يعطي الشرعية الى الافعال او السلطة القائمة. وهذه هي الخطورة في استغلال الغلاة وزعمائهم لفكرة المهدوية!!

خامسا ـ ومثلما طبقت الخمينية تخريجاتها السياسية على المهدوية كذلك طبقتها على (العصمة).. والواقع ان تاريخ الاسلام يذكرنا بان العديد من الباطنية حاولوا تمرير زعاماتهم واهدافهم السياسية تحت ستار التشيع لآل البيت ومن خلال الامامية ولكن التشيع والامامية منهم براء.

فالمعروف ان الامامة عند الشيعة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام لا يجوز لنبي اغفاله او تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام. فالامامة عندهم (لطف من الله تعالى وللامام ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم واقامة العدل بينهم وان الامامة لا تكون الا بالنص من الله تعالى وهي ليست بالاختيار والانتخاب بين الناس والامام كالنبي يجب ان يكون معصوما.."(١٨)

لقد استغلت عقيدة الامامة من قبل الباطنية وآخرها الخمينية لدواعي سياسية. فالمعروف ان الائمة العلويين تتابعوا حتى امامة المهدي الذي غاب سنة ٢٦٠هـ غيبته الصغرى ثم اختفى سنة ٣٢٩هـ في غيبته الكبرى. فلم تكن هناك اجتهاد في الفقه الشيعي الى وقت الغيبة لان الامام المعصوم

بيده كل السلطات ولكن بعد الغيبة كان لابد من البحث عن اختصاصات وصلاحيات (نائب الامام المعصوم) وهو المجتهد. وهل ستكون ولايته ولاية خاصة مقيدة ام ولاية عامة تشمل الدين والدولة؟

وهنا يلعب العنصر الفارسي دوره في تحريف هذه العقيدة وقد لاحظنا سابقا في استعراضنا لحركات الغلاة كيف استغل هؤلاء عقيدة المهدوية والعصمة. (١٩) والواقع ان التأثيرات الفارسية قويت بدرجة ملحوظة في اواخر القرن الثالث الهجري ومع مجيء البويهيين الى ميدان العالم الاسلامي في بدايات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . فقد تحول القول بعصمة الامام الى الزعم بعصمة نائب الامام (مرجع التقليد او المجتهد) وغدا يباشر الحكم والسلطة بنفس صلاحيات الامام.

ولابد من الاشارة هنا ان تأليه الفقيه المجتهد واعطاءه كل تلك الصفات الخارقة ينسجم تماما مع العرف السياسي الفارسي عبر تاريخ ايران السياسي. فكل الحركات الفارسية خلال العصر الاسلامي كان زعماؤها يدعون الالوهية او شبه الالوهية بمعنى ان روح الله حلت فيهم وليس هناك حاكم في تاريخ أيران الا عد نفسه تجسيدا للأرادة الالهية. وقد حاول بعض الكتاب الفرس ان ينقلوا هذه الافكار السياسية الى العرب في العصر العباسي ولكن هذه الافكار خذلت ولم تلق القبول في المجتمع العربي الاسلامي في العراق. (٢٠)

ويبدو العنصر الفارسي السياسي في هذه الفكرة فيما زعمته فرق الغلاة واقرته الخمينية في ولاية الفقيه:

"اعتقادنا في المجتهد الجامع للشرائط انه نائب للامام الغائب عليه السلام في غيبته. وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للامام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس. والراد عليه كالراد على الامام والراد على الامام كالراد على الله تعالى وهو على حد الشرك بالله". كشف الاسرار ص٢٠٧.

وهكذا وظفت هذه العقيدة باسم المذهب لاهداف سياسية من قبل الخمينية والحركات الباطنية التي قبلها.

سادسا ـ ومثلما حرف الغلاة والباطنية والخمينيون العقيدة المهدوية والعصمة

عن معانيهما الاصيلة الى اسقاطات سياسية لاتمت الى الامامية بصلة ، كذلك جعلوا لمبدأ (التقية) انعكاساته السياسية ووظفوا هذا المبدأ حسب اهوائهم السياسية.

والتقية هي اظهار الشخص خلاف قوله او عمله او خلاف عقيدته ومذهبه. وقد اجازت الشريعة الاسلامية استعمال التقية في حالات وحدود قليلة جدا ولهذا استعملتها غالبية الفرق الاسلامية واجازتها في حدود تلك الحالات والضرورات .(٢١) ولكن الغلاة والباطنية تجاوزوا حد المعقول في استخدام التقية والكتمان بل عدوها من اسس عقيدتهم وبالطبع كان لابد ان يستندوا على شيء فوضعوا الاحاديث العديدة ونسبوها الى الائمة الابرار رضوان الله تعالى عليهم.(٢٢)

ولقد كان هذا اسلوب الباطنية الذي يكشفه الغزالي بوضوح حين يقول ان هذه الحركات كانت تخاطب كل فئة اجتماعية حسب ما تشتهي تلك الفئة ويقدمون لها من الآراء والوعود مثلما تريد حتى يستدرجوها ويدخلوها الى حركتهم . ولعل الخمينية المعاصرة ابرز مثل على التقية سواء في سياستها مع الكيان الصهيوني مع رفعها شعار تحرير القدس ام تعاونها مع الامبريالية ورفعها شعار الشيطان الاكبر وشنها الحرب الطائفية في لبنان والعدوان على العراق ورفعها شعار الثورة الاسلامية والعداء للعالم العربي الاسلامي تحت شعار الوحدة الاسلامية وقتلها آلاف الابرياء تحت شعار نصرة المستضعفين ودخولها في تحالفات مع فئات واحزاب تتناقض شعاراتها مع مبادىء تلك الفئات والاحزاب او الدول التي تمثلها.. ولا نرى داعيا لايراد المواقف الخمينية المتناقضة والكثيرة التي نسمعها كل يوم عبر وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة. ولكننا نرى لزاما علينا ان نقول بان العناصر الفارسية الباطنية ابتداءا من بدايات القرن الثاني الهجرة كانت تبلور التقية لخدمة مصالحها السياسية في شق وتفتيت المجتمع الاسلامي شأنها في ذلك شأن العقائد الاخرى. وهكذا اصبح لعقيدة التقية مغزى سياسي يعني وجوب المخالفة ، حين تمكن الفرس من تمريره وصياغته مستندين على احاديث مزورة عن الائمة الابرار (رض) بحيث اصبح قائما اصلا وابتداءا على وجوب المخالفة.(٢٣) والقول برد اجماع الامة!! وهذا خنجر

فارسي حاقد في صرح الوحدة الاسلامية وكذلك الوحدة الوطنية في كل قطر من الاقطار الاسلامية.

ولعل فيما اوردناه من مفردات في عقيدة الحركة الخمينية على سبيل المثال فحسب يدل بما فيه الكفاية بان كل مفردة من مفردات العقيدة الامامية قد استغلت باسم الاسلام والتشيع من قبل الخمينية كما استغلت من قبل الغلاة والباطنية. وهكذا اصبحت هذه العقائد اداة للتمرير. وبمعنى اخر ان الحركة الباطنية اوالخمينية تتبنى مواقف سياسية معينة ثم تاتي العقيدة او الدين لتبرير هذه المواقف السياسية!!.

اما الاساليب فالحركة الخمينية استفادت من تراث الحركات الباطنية في العديد من الاساليب التي اتبعتها بل انها استفادت من اخطاء تلك الحركات واتعظت بها وعدلت فيها لعلها تستطيع ان تجذب اكبر عدد من الاتباع والمريديين . وتتداخل في الحركة الخمينية العقائد بالاساليب فالعديد من العقائد التي اشرنا اليها اصبح لها انعكاسات سياسية استخدمت ساليب للدعوة والحركة عند الخمينيين كما لاحظنا ذلك بوضوح في الصفحات السابقة. ولعلنا نشير فيما ياتي الى محاور اتخذت اساليب للعمل من قبل الخمينيين ، او شعارات اصبحت خلال هذه الفترة من السمات المميزة للخمينية :

(١) مهاجمة الدولة الاسلامية الاولى وبناتها الاوائل:

مما لاشك فيه ان الرسول (ص) وصحابته الابرار من المهاجرين والانصار هم الذين بنوا الدولة الاسلامية الاولى ووضعوا اسسها واداروا اقطارها وحرروا العباد من الظلم والفساد ونشروا مبادىء الاسلام وتعاليمه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

فكان لابد والحالة هذه ان يكون هؤلاء الصحابة مستهدفين من قبل الغلاة والباطنية ممن يرومون هدم الاسلام ودولته والتشكيك بمنجزاتهم السياسية والحضارية. وكعادتهم استغل الغلاة الاسلام وعقيدة التشيع متسترين وراءها مظهرين الحب لآل البيت زورا وبهتانا بهدف شق الصف وتفتيت المجتمع الاسلامي.

لقد استغل الغلاة عدة مبادىء للطعن بالصحابة الكرام بناة الدولة منها

مبدأ التأويل ومبدأ التناسخ اللذين اشرنا اليهما في الفصول السابقة. فمن الغلاة الذين يعتقدون بتناسخ الارواح قوم ياخذون البغال او الحمير او الغربان او الغتوز يضربونها ويعذبونها معتقدين انها تحمل روح بعض الصحابة او الصحابيات مثل ابي بكر (رض) وعمر (رض) وعائشة (رض) باعتبارهم ـ حسب زعمهم ـ كانوا معاديين لآل البيت من العلويين !! (٢٤)

واولت فرقة المغيرية من فرق الغلاة قوله تعالى " انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما كفورا" بان هذه الامانة هي منع علي بن ابي طالب (رض) من الخلافة. والانسان هنا يرمز الى غدر ابي بكر (رض) وعمر (رض) ومنعهما الامام علي من الخلافة!!.

وتأول فرق الغلاة الفرائض على اسماء رجال اي انها ترمز الى رجال وبهذا تحل اتباعها من اداء الفرائض كما تأويل تعابير اخرى للأساءة الى صحابة الرسول (ص) وبناة الدولة فالفسق والفجور والعصيان في القرآن ترمز تباعا الى الخلفاء الراشدين الثلاثة الاوائل تباعا!! (٢٦)

لقد سار خميني على ذات الدرب وسلك ذات المسلك في الاساءة الى اصحاب رسول الله (ص) حين اوضح في كتابه (كشف الاسرار) ان الخلفاء الراشدين الثلاثة الاوائل وجميع الصحابة الا اربعة ارتدوا عن الاسلام وكانوا طلاب دنيا قبلوا الاسلام ظاهرا طلبا للسلطة لكنهم في الباطن ظلوا على الكفر. وكانوا شر خلق الله مستعدين لارتكاب اي عمل لتحقيق اغراضه حتى ولو كان الامر تحريف القرآن ووضع الاحاديث المزيفة... (٢٧)

ان التاريخ الاسلامي الذي يورد منجزات الصحابة هو الذي يرد على الخميني واتباعه ، كما ان القرآن الكريم قال فيهم وفي فضلهم آيات عديدة نذكر منها:

(والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم). وقال تعالى **(وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)**.

وقد قيل ان (الجوز ينضح بما فيه) ، كل التهم الباطلة التي الصقها الخميني واتباعه بصحابة رسول الله (صلعم) قد قام ويقوم بها في الارتداد

عن الاسلام والارهاب والطغيان والفساد وتحريف القرآن والحديث فهي كلها من مميزات الخمينية التي نعيش عصرها ونقرأ عنها كل يوم !!

(٢) الشعوبية :

ياتي الحقد والكراهية للعرب ومنجزاتهم الحضارية ومقامهم في تاريخ الدولة العربية الاسلامية ونشر الاسلام متمما ومكملا لحقد الخمينية على الصحابة والتابعين وبناة الدولة الاوائل من مشاهير العرب المسلمين .ذلك لان الغالبية العظمى من المسلمين في عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين كانوا من العرب المسلمين.

لقد استفادت الخمينية من الموروث الفارسي المجوسي في هذا الشان فقد كان الشعوبيون الفرس في العصر العباسي يقولون ساخرين بالعرب:

"لم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ولا كان لها نتيجة من صناعة ولا اثر في فلسفة" وتعهد سنباذ بالسير الى الكعبة وهدمها وصرح مرداويج بن زياد الديلمي : "انا ارد دولة العجم واسقط ملك العرب". وقطع بابك الخرمي وعدا على نفسه باعادة الدين الابيض "المزدكية" ومحو الدين الاسود "الاسلام" . وكانت الاسماعيلية الباطنية تسمي العرب "الامة المنكوسة"!!.

هذا قليل من كثير من الموروث الفارسي الذي استقى منه خميني كرهه لكل ما هو عربي ولعل سياساته المعلنة تجاه العرب تثبت ما ذهبنا اليه.(٢٨)

واكثر من ذلك تنكشف شعوبية الخمينية وتحريفيتها الدينية في دعواها انها اول نظام لله في الارض سينفذ ما عجز الرسول (ص) عن تنفيذه!! وبهذا يسقط مقام الرسول العربي (صلعم) ومكانة العرب القيادية سياسيا وحضاريا عبر التاريخ الاسلامي. وماذا يختلف الخميني عن سنباذ المجوسي حين يرفع شعار "ان قم لا مكة هي مهبط الوحي الجديد وأرض الاسلام المقدسة" وحين يقول ان العرب لم يكونوا غير بدو رعاة وقراصنة ديدنهم مهاجمة السفن والسواحل.."

وماذا يختلف خميني عن الشعوبية حين يرفع شعار العنصرية ويفرق بين العرب والفرس في المجتمع الاسلامي فيقول "فالمنافقون العرب اسلموا عن

خوف ولهذا لم يكن اسلامهم حقيقيا.. اما الايرانيون فقد اسلموا عن رغبة من تلقاء نفسهم". (٣٠) فاذا ما قارنا هذا بما ذكره القرآن عن جدارة العرب ومسؤوليتهم في حمل الرسالة الاسلامية مثل قوله تعالى "والزمهم كلمة التقوى وهم اجدر بها واهلها" مما يوضح ان العرب كانوا بمستوى المسؤولية واقدر من غيرهم على حمل الرسالة والتبشير بها . ويؤكد الله تعالى على هذه المسؤولية بقوله (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) (الزخرف:٤٤) والله اعلم حيث يجعل رسالته وقد اختار العرب لها ولقيادة المسلمين.وقد وصف الامام احمد بن حنبل اسلاف الخميني من الغلاة وصفا دقيقا حين قال: "وهم اصحاب بدعة وضلالة.لا يرون للعرب حقا ولا يعرفون لهم فضلا ولا يحبونهم بل يبغضون العرب ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم." وما اصدق هذا الكلام على الخمينيين في الوقت الحاضر

لقد استعمل الخمينية نفس الوسائل التي استخدمتها الشعوبية في العصر العباسي وبعده. ويبدو البعد الشعوبي واضحا في تشويهها للتاريخ الاسلامي وانكارها فضل الصحابة الكرام وفي عنصريتها المقيتة حين تضع على لسان الرسول (ص) والائمة (رض) احاديث في فضل العجم ما انزل الله ورسوله بها من سلطان . اما عداؤها للعرب في عصرنا هذا فلعل فيما قام به نظام خميني تجاه العرب في اقطار عديدة اكبر دليل على حقده وشعوبيته ، فالحرب ضد العراق ثم اصراره على استمرارها متحديا بذلك قرارات المجتمع الدولي واعتداءاته المتنوعة الاساليب والاشكال على دول الخليج العربي وعملياته التخريبية في لبنان وتونس وغيرها كلها ادلة لا تحتاج الى تفصيل واثبات. واكثر من ذلك كله فقد اصبح نظام خميني الة عدوانية ضد العرب بيد عدو العرب الاول الكيان الصهيوني. لقد وجدت الصهيونية ضالتها المنشودة في الخمينية فزودتها بالسلاح والخبرة من اجل استمرار حربها ضد العراق واعتداءاتها ضد دول الخليج العربي. كما يتعاون النظامان في مجال الارهاب والتخريب في مناطق عديدة من العالم.

ان العداء السافر الذي تبديه الخمينية للعرب جعل العديد من المفكرين والكتاب الاوربيين يربطون بين خططها وخطط الكيان الصهيوني الى درجة جعل احد الكتاب السياسيين يشير في احد فصول كتابه تحت عنوان "حرب

بالواسطة"!! ... الى ان "اسرائيل" وجدت في نظام خميني فرصتها التاريخية في شن حرب بالواسطة على العرب في اي مكان واي وقت ، تقدم فيها "اسرائيل" الاسلحة والخبرة الفنية والمعلومات ويقدم نظام خميني البشر. وهكذا يتفرغ الكيان الصهيوني لمجابهة ثورة الحجارة في فلسطين ، بينما يجابه المشرق العربي الاعتداءات والتهديدات الايرانية وبهذا تدين الخمينية نفسها بنفسها لتستحق بجدارة لقب شعوبية القرن الحاضر.

ثالثا - الارهاب والتخريب:

ارتبطت حركات الغلو والباطنية في العصر الاسلامي بالارهاب واستخدمت العنف اسلوباً للعمل السياسي والعقيدي. وقد ابتدعت هذه الفرق وسائل عديدة لارهاب الناس بالاغتيال او الخنق. وكان زعيم المنصورية يقول لاصحابة "من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فانه هذا جهاد خفي"!!

ومن التجارب الارهابية الفارسية تجربة الحركة الحشيشية التي ارهبت الناس وملأت قلوبهم فزعا بعملياتها الاجرامية ضد مخالفيها. ان تجارب هذه الحركات تذكرنا بالكثير من سياسات الخمينية في ايران وخارجها ، فالخمينية مثلها مثل الحركات الباطنية عدت المخالف كافرا وقتله جهادا واستعملت الارهاب لتصدير ثورتها او مبادئها الى انحاء العالم الاسلامي. وتصف المصادر زعيم الحشيشية بقولها :

"فاقام من الفتنة كل قيامة. .وبدأ في القتل والفتك بامور شنيعة"(٣١)

وهذا الوصف ينطبق على خميني الذي يصفه احد الباحثين:

"الارهاب رمز الخمينية وامتداد للعمليات الارهابية في القرن العشرين"(٣٢) فلقد افتى غير مرة بقتل المعارضين لحركته ونظامه دون محاكمة وقد هدد العالم الاسلامي كله بقوله "من لا يتبعنا فسوف نفنيه"(٣٣) ومع ان الاسلام كان دين رحمة وسلام ولم يكن في عقيدته النظرية او تأريخه العملي متشددا او متزمتا او متطرفا ولم يرفع السيف الا في وجه الذين رفعوه عليه وقد امر الله تعالى رسوله (ص) ان يجنح للسلم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فان الخمينية باسم الاسلام تستخدم الارهاب والقوة المسلحة رافعة شعارات

زائفة كالعودة الى الاسلام الاول ، ولكن التاريخ يكشف زيف الخمينية ويوضح ان الارهاب وسيلة الحركات المغالية والباطنية وان شعارات (الدم لا السلام) (والموت لا الحياة) هي شعارات خرمية مزدكية مجوسية قديمة ليس لها علاقة بالاسلام من بعيد او قريب وقد تبنتها الخمينية وبهذا ظهر بابك الخرمي من جديد في شخص الخميني . والمعروف ان احد الروايات التاريخية تقول في بابك هذا انه احدث في ديانة المزدكية القتل وسفك الدماء(٣٤) ولم تكن هذه الوسائل موجودة في الخرمية قبله. وهذا ينطبق على الحركة الخمينية المعاصرة التي اثبتت القرائن انها وراء العديد من عمليات الارهاب في انحاء مختلفة من العالم.

رابعا ـ ولاية الفقيه:

لقد اشرنا في باب عقيدة الحركة الخمينية من هذا الفصل الى ان هذه الحركة الباطنية مثلها مثل حركات الغلو التي سبقتها قد تسترت بالاسلام وتبرقعت بالتشيع واستغلت بعض العقائد كالمهدوية والعصمة والتقية والرجعة والبداء والموقف من الامامة فاخرجت هذه العقائد عن معانيها ومفاهيمها الحقيقية وحرفتها باتجاه التطرف والغلو لتستغلها لاهداف سياسية خطط لها زعماء فرق الغلاة والباطنية الطموحون من اجل الوصول الى السلطة وردم الاسلام وتخريبه من الداخل والقضاء على الدولة العربية الاسلامية وانها المقام القيادي للعرب في المجتمع الاسلامي.

وقد خلصنا الى القول بان تلك الحركات قد انتهت الى النتيجة الحتمية التي تتفق مع العرف والمفهوم السياسي الفارسي بتأليه السلطة السياسية.. انتهت بنقل سلطات وصفات وصلاحيات الامام الى نائب الامام او المجتهد الذي اصبح مطلق السلطة من الناحيتين الدنيوية والدينية ويمثل الارادة الالهية له ما للامام وعليه ما على الامام ، وقد مكنته هذه الصفات ان يتكلم باسم الامام وان يضفي الشرعية او عدم الشرعية على السلطة القائمة. وهكذا انتقل الثقل السياسي الى المجتهد ومؤسسته وهذا ما اصطلح عليه الخميني (بولاية الفقيه) التي تعد الاساس النظري لسلطاته العملية.

واذا كان لنا ان نستبق الاحداث فاننا نقول بان خميني مثل باقي

زعماء الغلاة سوف لا يرتضي ان يبقى نائبا للامام الغائب بل سوف يزعم - اذا طال به العمر والمقام - بانه الامام ثم يدعي النبوة والربوبية مستندا على نظرية الفيض وعلى فلسفة النور الزرادشتية. فهو لا يقل باي حال من الاحوال عن الباب علي محمد الشيرازي زعيم البابية الذي كان من احدث من ادعاها في هذا العصر. ولعل المتتبع لاقوال خميني واتباعه يدرك انه يمهد لهذا بجملة من التصريحات منها ان الاسلام لايزال ناقصا ولابد من اكماله وان الانصاف الالهي لم يتحقق ولابد من تحقيقه ، وان العدالة لم تتحقق في المجتمع الاسلامي ، وان الرسول (ص) لم ينجح في ايصال الدين ، وان علي بن ابي طالب (رض) منع من الكلام والبوح بما عنده وان غالبية الصحابة كانوا منافقين مرتدين !! وقد كانت هذه التصريحات ما اشار اليه اردبيلي في تشبيهه خميني بالرسول (ص) .. تمهيدا لمفاجآت جديدة في العقيدة الخمينية ولكنها ليست مفاجآت لمؤرخي الفكر المغالي والباطني في الاسلام بل انها انما تستقي آراءها منه وتضيفها باسلوب العصر الحديث ليس الا !!

لقد تستر اردبيلي على عادة الغلاة والشعوبيين في القرآن والاسلام فجاء بآية قرآنية **(وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)** مشبها خميني بين اتباعه كالرسول محمد (ص) بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم - معاذ الله - وكان من وراء ذلك مقصد سياسي ديني هدف من ورائه الانتقال بالخميني - على عادة الغلاة الباطنية متدرجة الولي الفقيه والمرشد ونائب الامام الى درجة اعلى هي المشاركة في النبوة والتشبه بالنبي محمد (ص) ثم بعد ذلك الانتقال الى المشاركة في الالوهية. وهذا التدرج مر به كما لاحظنا العديد من زعماء الغلاة. وفي هذا يقول ابن تيمية في كتابه (بغية المرتاد) ما نصه "فالواحد من هؤلاء يطلب ان يصير نبيا ، كما كان السهروردي المقتول يطلب ان يصير نبيا وكان قد جمع بين النظر والتأله...". وهكذا يغدو الولي الفقيه بمنزلة مثل منزلة النبي بل اعلى منها لانه بامكانه تعطيل الفروض الدينية من صلاة وزكاة وصوم وحج وغيرها الامر الذي لا يستطيع النبي (ص) القيام به وبهذا يصل بهدفه الرئيسي وهو هدم الاسلام واستبداله.

ان "الحاكم المتأله" في العرف السياسي الفارسي المجوسي قبل الاسلام

انتقل في العصر الاسلامي ليصبح "المرشد الروحي" في الحركات الفارسية المجوسية والباطنية ، ثم تحول هذا في الخمينية الى ما يسمى "بولاية الفقيه" !!

وبتفصيل اكثر فان الشاه في العصور الفرثية والساسانية وبتأييد من رجال الدين المجوس غدا فوق البشر حاكما متألها يتمتع بصفات روحية واحكام معصومة من الخطأ وطاعته واجبه يجمع بين السلطتين الروحية والدنيوية. فهذا "الوالي الالهي" صورة للحاكم في تراث بلاد فارس السياسي قبل الاسلام فهو الله قد صار بشرا ومن هنا ليس غريبا ان يتحول الناس والرعية الى قطع من الشطرنج لا حول لها ولا قوة يحركها الشاه الفارسي كيفما يشاء. فالتدبير والقرار كله من اختصاص الحاكم وليس لهم الا الطاعة العمياء.

اما في العصور الاسلامية فان زعماء حركات الغلو والباطنية اخذوا نفس صفات وسلطات الحاكم الالهي الساساني فاضفوا على انفسهم صفات "المرشد الروحي" المتمتع بميزات المنقذ الالهي الموعود مع استخدامه اساليب السحر والشعبذة والمخاريق. ومن هنا ليس امام اتباعه الا الانقياد الاعمى له والامتثال لاوامره دون تحكيم العقل والمنطق. وتاريخ الحركات الباطنية في العصور الاسلامية دليل قوي على ذلك.. كما ان تاريخ الخمينية المعاصرة وزجها الوف البشر في هجمات بربرية تؤدي بهم حتما الى الموت اثبات جديد على ما ذهبنا اليه.

وفي الخمينية لم تخرج "ولاية الفقيه" عن هذا المعنى السياسي النابع من الارث المجوسي - الباطني . فقد اصبح المجتهد او الفقيه العادل بديلا عن المرشد الروحي في الحركات الباطنية السابقة وبديلا عن الحاكم المتأله في ايران الساسانية المجوسية!!

ولكن كيف يعرض الخميني فكرته في ولاية الفقيه ؟؟

يعتمد الخميني اصلا على عقيدة الامامة وعقيدة المهدوية بعد ان يحرفها عن طبيعتها وحدودها الاولى ويضفي عليها العنصر الفارسي الموسوم بالتطرف والمغالاة لينتهي بعد ذلك كله الى اعطاء نفسه باعتباره فقيه الامة ومجتهدها كل سلطات الامام المهدي الموعود باعتبار ان المهدي طالت غيبته وسوف لا يظهر ربما بعد الاف السنين. وهذه هي بعينها وعلى مر الازمان

الطريقة الفارسية للألتفاف على السلطة وحيازتها وانتزاعها من العرب كما لاحظنا ذلك في العديد من حركات الغلو والباطنية !!

يبدأ الخميني الكلام على الامامة وطبيعتها فيخرج بها عن صفاتها وسلطاتها عادا الائمة (رض) اعلى من جميع الانبياء وان تعيينهم من عند الله تعالى وباختياره مسبغا عليهم صفات الصقها بهم اهل الغلو والباطنية وتبرأ منها الائمة في وقتها من هذه الصفات (٣٥). ثم انتقل الخميني الى المهدي الموعود فاسبغ عليه صفات خارقة ومقدرات خارج طاقة البشر واكد انه وصي رسول الله (ص) وعلى ذلك فطاعته واجبة مثل طاعة الامام والنبي وجميع قراراته واعماله منزهه عن الخطأ واجبة التنفيذ وهو رئيس الامة الديني والدنيوي .

لقد جاء الخميني بكل هذه المقدمة الطويلة حول الامامة والمهدوية من اجل ان يصل الى الهدف السياسي لحركته وهو نقل سلطات الامامة ونقل صفات وسلطات الامام المهدي المنتظر الى الفقيه او المجتهد او الخميني. وبمعنى آخر وعلى عادة زعماء الغلاة السابقين نقل السلطة والحكم الى نفسه !!

استند الخميني في بناء فكرة ولاية الفقيه (٢٧) على حديث ضعيف ينسب الى رسول الله (صلعم) يقول فيه:

"اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات ، قيل: من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويرون احاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي"

وقد فسر الخميني كلمة "خلفائي" بطريقة التأويل الذي هو ديدن الغلاة في تفسير القرآن والحديث انها تعني الفقهاء العدول والمجتهدين المتبحرين في الشريعة وعلوم الدين . وهي كما هو واضح لا تعني ذلك وانما تعني كل الفئة الكبيرة من الدعاة المسلمين الذين يعملون كل بطريقته الخاصة وضمن اختصاصه لنشر تعاليم الاسلام. ثم ان النبي (ص) دعى لهم بالرحمة ولم يوصى لهم بالحكم او السلطة من بعده !!. ولكن كما اشرنا من قبل في عدة مناسبات ان الفكرة السياسية المسبقة او الموقف السياسي الذي في ذهن الغلاة والباطنية هو الذي يتطلب منها تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا لخدمة هذه الفكرة (ولاية الفقيه مثلا) او تبرير الموقف

السياسي!! وهذا ما فعله الخميني ايضا.

فالخميني يريد ان يصل الى فكرته حول ولاية الفقيه اي ان للفقيه العادل حق الحكم وان سلطاته عامة ودينية وسياسية ، فوظف لذلك عقيدة الامامة والمهدوية ، ولما لم يجد في القرآن الكريم ما يسند فكرته راح يفتش عن الحديث النبوي الشريف ولما لم يجد شيئا من ذلك لتمرير فكرته بدأ الخميني يأول الاحاديث تأويلا باطنيا على طريقة الغلاة !!

يقول الخميني :

"لقد مر على الغيبة الكبرى (٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) اكثر من الف عام وقد تمر الوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الامام المنتظر".

ثم يقول :

"ان الفقهاء هم اوصياء الرسول (ص) من بعد الائمة وفي حال غيابهم فقد كلفوا بالقيام بجميع ما كلف الائمة عليهم السلام القيام به".

ثم يقول:

"..ومن حق الفقهاء اي علماء الشيعة بل من واجبهم ومن المفروض عليهم ان يسعوا الى ان يكونوا خلفاء لامام اخر الزمان ، الامام الغائب ، وان يتملكوا زمام الحكم ممثلين للامام و مندوبين عنه. واذا وجد بينهم من يملك صلاحية الحكم نهض وتملك زمام حكم الامة ، ومن هنا تصبح طاعته واجبه ليس فقط كأمام بل كالنبي وكالرسول.

ويقول الخميني في موضع آخر:

"واذا نهض بامر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل ، فانه يلي من امور المجتمع ما كان يليه النبي (ص) ووجب على الناس ان يسمعوا له ويطيعوا. ويملك هذا الحاكم من امر الادارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وامير المؤمنين عليه السلام".

ثم ينتهي الخميني الى القول العجيب حيث يكشف هدفه السياسي:

"وبعد كل هذا فان القائم بنشر سنة رسول الله (ص) هم الفقهاء العدول والخلافة في ظاهرها اللغوي وفي معناها المتعارف هي الحكومة . واطلاق كلمة خلفائي يدل على ان للفقيه العادل كل ما كان للرسول الاكرم فيما يرجع الى ولاية المسلمين العامة الا ما خرج بالنص الخاص"!!

ان هذه المقتطفات من افكار الخميني تدل ان الخميني اضفى على نفسه صفات وسلطات واسعة باعتباره فقيها فهو وصي الرسول (ص) وان ولايته عامة في الشؤون الروحية والسياسية وطاعته واجبة لاكالنائب عن الامام بل كامام وكالنبي وكالرسول! فهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للأمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس والراد عليه كالراد على الامام والراد على الامام كالراد على الله تعالى وهو على حد الشرك بالله !!.

ان ولاية الفقيه فكرة جالت في فكر خميني بسبب طموحاته السياسية الواسعة وقد حاول دون جدوى ان يعززها ويجد سندا لها في القرآن او الحديث والسنة فلم يستطع ولم يسعفه كذلك تراث التعاليم الامامية التي اختطت لنفسها منذ عهد الامام جعفر الصادق (رض) نهج المسالمة السياسية وسار الائمة بعد الصادق (رض) على نهجه في عدم تشجيع النشاطات السياسية وبهذا ابعدت عن اتباعها مبادىء الغلو والتطرف وبقيت ضمن اطار الاسلام الصحيح وحققت تقاربا كبيرا مع اهل السنة والجماعة بفضل جهود الامام جعفر الصادق ومن جاء بعده ، فقد اصبح من الصفات المشتركة بين الامامية واهل السنة والجماعة هي عدم التدخل في امور السياسة ورفض التحرك ضد اولي الامراء اي الخليفة الحاكم او السلطة القائمة.

ويبدو انه بعدما حدث من فتن وحروب بين المسلمين انفسهم فقد تولد شعور في بعض الحلقات مفاده بان الامل الوحيد لحفظ شعائر الاسلام وقيمه ومثله العليا يكون بابعاده عن النشاطات السياسية وكانت الامامية من اوائل من ادرك ضرورة ذلك واعترف به وطبقه منذ ايام جعفر الصادق (رض).

وكانت غيبة الامام الثاني عشر تعني قبولا ضمنيا للحقيقة السابقة وهي ان التدخل في العمل السياسي والقيام بنشاطات سياسية سوف لا يغير كثيرا من سير الاحداث بل سيؤدي الى فتن جديدة وهدم في المجتمع الاسلامي وتفرقة دون كسب حقيقي. ومن الواضح ان هذا النهج الذي سار عليه الائمة والمجتهدون من بعدهم حتى يومنا هذا يتناقض تمام التناقض معه نهج خميني وفكرته في ولاية الفقيه.(٣٨) كما انه لم يستطع ان يجد لها اساسا عقليا ومنطقيا ، ولذلك – وعلى عادة الغلاة والباطنية – لجأ الى التاويل المغالي ليبرز فكرته السياسية فجاء التبرير متهافتا لا تعززه قواعد اللغة العربية

وشرائط علماء التفسير وضوابطهم !! ولعلنا هنا نشير الى تعليق مفكر معاصر حول ولاية الفقيه حيث يقول:

"ان فكرة ولاية الفقيه بدعة ابتدعها خميني وضلال اضل به المجتمع. وانه والله لا يؤمن هو بها ولا زمرته ، بل اتخذها ذريعة للسلطة على رقاب المسلمين ظلما وعدوانا ، وان الله ورسوله بريئان منه ومن كل من يحكم بالباطل ، ويتخذ من الظالمين اماما وهاديا". (٣٩)

وقال باحث اخر في ولاية الفقيه واصفا اياها انها ردة خطيرة للعقل البشري وهي مجافية لكل قيم الشريعة الاسلامية. (٤٠)

ان استقصاء جذور التجربة الخمينية في ايران المعاصرة لابد ان يقود الباحث المتمعن الى ان جذورها التي تغوص في العمق لتستقي من الارث المجوسي الباطني بكل عقيدته ومعاييره واساليبه واهدافه. ان عوامل عديدة سياسية ودينية واجتماعية في المجتمع الايراني كانت ومازالت تعمل على ظهور حركات تحريفية وارهابية تنجح في كسب جماعات كبيرة من الناس تحت شعارات دينية وسياسية زائفة وتهيئهم لتقبل عقيدتها اسلوبا للعمل.

والواقع ان التاريخ يثبت المرة تلو الاخرى بان التحريفية والارهاب كانتا صفتين متلازمتين لحركات التشدد والتطرف الدينية السياسية. ومن هذا المنطلق يمكننا عد الخمينية حركة دينية - سياسية ضمن سلسلة الحركات المغالية والباطنية ابتداءا من المغيرية والمنصورية والكيسانية مرورا بالخرمية والقرامطة والحشيشية وانتهاءا بالبابية والبهائية والقاديانية ، هدفها تحطيم الاسلام من الداخل والقضاء على سلطته السياسية وهدم معالم حضارته وتراثه الزاخر وازاحة العرب والتشكيك بمقامهم القيادي في مسيرة الاسلام وحضارته.

الهوامش:

١ـ لقد اكد العديد من السياسيين الايرانيين والباحثين المحايدين انه لابد من التفريق بين الثورة الايرانية التي قامت بها شعوب ايران واحزابها الوطنية وبين تسلط الملالي وزعيمهم على السلطة مستغلا الفراغ السياسي بعد رحيل الشاه عن البلاد. (راجع د.موسى الموسوي ، الثورة البائسة ، ص٢٨ فمابعد).

٢ـ في اوائل سنة ١٩٨٥ اظهرت احصائية نشرت في لندن ان عدد النشرات التي تصدر في انكلترا وحدها ما بين يومية واسبوعية وشهرية حوالي الاربعين!! كما ان النظام الخميني يصرف ملايين الدولارات على الفئات والمنظمات الموالية في لبنان ودول افريقية واسيوية اخرى.

٣ـ الموسوي ، المصدر السابق ، ص١٤٨ فمابعد. نفس المؤلف ، الشيعة والتصحيح ص٧٩ فمابعد.

٤ـ نفس المصدر السابق.

٥ـ الحكومة الاسلامية او ولاية الفقيه ، القاهرة ، ١٩٧٩م. ـ كشف الاسرار (الترجمة العربية) عمان ، ١٩٨٧م .

٦ـ الموسوي ، المصدر السابق ، ص١٨٩.

٧ـ تحرير الوسيلة كتاب في الفقه ويقع في مجلدين من القطع الكبيرة بالفارسية (راجع نعماني ، الثورة الايرانية في ميزان الاسلام ص٤١. ـ اما تحفة العوام فقد نشر في لاهور بالباكستان ، بدون تاريخ بالاف النسخ!!

٨ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص٤٢٦.

٩ـ د. محسن عبد الحميد ، الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، ص١. د.عرفان عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد ، ص٥٠ فمابعد. كذلك عرفان عبد الحميد ، فضائح الخمينية ص٨٩ فمابعد.

١٠ـ خميني ، كشف الاسرار ص١٢٦ فمابعد. ـ نعماني ، المصدر السابق ص٦٠.

١٠أ ـ ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ص٤٧.

١١ـ خميني ، الحكومة الاسلامية ، ص٥٢.

١٢ـ ياقوت ، معجم الادباء ، ج١٩ ص٣١٤ فمابعد.

١٣- عرفان عبد الحميد ، فضائح الخمينية ، ص٩٧.

١٤- خطاب خميني في ١٩٨٦/٣/٢ في جماران.

١٥- خطاب خميني في أب ١٩٨٤. - مكي حمود ، التسلسل الباطني ، ص١٧-١٨. ١٦- خطاب خميني في ١٥ شعبان سنة ١٤٠٠هـ / سنة ١٩٨٠ م.

١٧- خميني ، الحكومة الاسلامية ، ص٣٦.

١٨- ابن بابويه ، عقائد الشيعة الامامية (باب الامامة). - الشيخ المفيد اوائل المقالات ص٤.

١٩- راجع عرفان عبد الحميد ، فضائح الخمينية ، ص٩٢ فمابعد. - نعماني ، الثورة الايرانية ص١٣٠ ص١٨٠ ص١٨٨. محمد البغدادي ، التشيع بين مفهوم الائمة والمفهوم الفارسي ، ص٤٣ فمابعد خاصة الباب الثالث.

٢٠- راجع ، فاروق عمر ، مباحث في الحركة الشعوبية ، خاصة المبحث الثاني.

٢١- انظر سعيد حوى ، في فضائح الخمينية ، ص٤٧.

٢٢- نعماني ، المصدر السابق ، ص١٨٠ فمابعد.

٢٣- يقول محمد البغدادي "ان العمود الفقري للتشيع الفارسي مخالفة العقيدة الاسلامية" وهذا يخالف مفهوم الائمة (رض) للتشيع والمفهوم الاصلي للتشيع الذي ظهر في البيئة العربية راجع البغدادي ، المصدر السابق ، ص٤٩.

٢٤- الحيني ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص٦٦ حيث يشير الى النص.

٢٥- الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص٢٧٦.

٢٦- نعماني ، المصدر السابق ، ص١٣٤ ص١٤٨ ص١٩٢ فمابعد.
السامرائي ، الغلو والفرق الغالية ، ص١٤٧ فمابعد.

٢٧- كشف الاسرار ، ص١٧٥ ص١٨٦.

٢٨- راجع مباحث في الحركة الشعوبية للدكتور فاروق عمر وخاصة المبحث الاول.

٢٩- كشف الاسرار ، ص١٥٠ ص١٥٥ ص٢٣٨.

٣٠- مكي حمود ، المصدر السابق ، ص٩. - د. عبد الستار الراوي ، الايديولوجيا والاساطير ، ندوة مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٨٥ ، بغداد.

٣٠أ – ابو يعلى ، طبقات الحنابلة ، ج١ ص٣٤.

٣١– البغدادي ، مختصر دوله آل سلجوق للعماد الاصفهاني ، ص٢٣١.

٣٢– الموسوي ، الثورة البائسة ، ص١٢٦. – نفس المؤلف ، الشيعة والتصحيح ص١١٩ فمابعد.

٣٣– لقد اغتال الغلاة الخناقون مئات الشهداء وقتل الحشيشية الآف العباد اما الحركة الصوفية الصفوية التي ادعت التشيع ورفعت شعاره فقد قال مؤسس دولتهم الصفوية :"اني لا اخاف احداً . فان تنطق الرعية بحرف واحد فسوف امتشق الحسام ولن اترك احدا على قيد الحياة" راجع ابا مغلي ، ايران ص٢٤٦. – ولاشك فان هذا التراث هو مصدر كبير لخميني واتباعه.

٣٤– المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٤ ص٣٠.

٣٥– كشف الاسرار ، ص١٧٣ ص١٩٤. – نعماني ، المصدر السابق ، ص١١٨.
وعبد الستار الراوي ، ولاية الفقيه ، مجلة الامن القومي ١٩٨٤.

٣٦– خميني ، الخطاب الذي القاه في شعبان سنة١٤٠٠هـ / سنة ١٩٧٩م. وكذلك خطابه في ١٩٨٧/٣/٢٨م سنة ١٤٠٨هـ.

٣٧– حول النصوص التي اوردناها عن ولاية الفقيه ، راجع كتاب (الحكومة الاسلامية) ص٣٦ فمابعد. ص٤٩ فمابعد. كذلك راجع: نعماني ، المصدر السابق ص٣٦–٣٨، ص٢٢٠–٢٢١. محمد شريف احمد في كتاب نهج خميني ، ص٥٥–٦٢. – ولاية الفقيه ، نخبة مر الباحثين (الندوة الفكرية لكلية الشريعة ١٩٨٨).

٣٨– حول هذا الموضوع راجع: فاروق عمر ، حول العلاقة بين الخلافة العباسية والفرع الحسيني من العلويين مجلة أربكا. جامعة السوربون ، باريس (بالانكليزية). – كذلك راجع : فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، بغداد ، ١٩٨٦ ص٤٨٤–٤٨٥.

٣٩– الموسوي ، الثورة البائسة ، ص١٨٠. – نفس المؤلف ، الشيعة والتصحيح ص٧٨ ص٦٩ فمابعد.

٤٠– محمد شريف احمد ، نهج خميني ، ص٥٥–٥٦. – وقد وصف حزب المعارضة الايراني المعروف باسم (حزب تحرير ايران) ولاية الفقيه التي ادعاها خميني بانها تشبه الحكومة الاستبدادية وقال الحزب في بيان اصدره

في حزيران سنة ١٩٨٨ ان اعطاء الولاية المطلقة للفقيه مخالف للاسلام والقرآن والسنة ولذا فان تطبيق مثل هذه الافكار يعد خروجا كاملاً عن الدين الاسلامي.

اساليب
الرد على الغلو والتطرف

لابد ان نشير بدءا الى ان هذه الدراسة قد ركزت على البعد التاريخي السياسي لحركات الغلو والباطنية والتطرف ولم تتطرق الى البعد الديني الا بقدر الاستعانة به لخدمة وايضاح البعد السياسي. فهي دراسة تاريخية سياسية وليست دراسة عقائدية. ولعل السبب في ذلك يعود الى كثرة الدراسات التي عنيت بالجانب الديني العقائدي لهذه الحركات التي - وان تشبثت بالعقيدة الدينية غطاء لستر اهدافها - فقد كانت في واقعها حركات سياسية شعوبية وزندقة تمثل الاطار الذي كان يعمل من خلاله الفرس لهدم الاسلام والعروبة سياسيا وحضاريا واعتقاد وبالذات لضرب المقام التاريخي الرئيس للعرب في الاسلام. فلو كانت هذه الحركات دينية صرفة لبقيت محدودة وما اتسع خطرها الى هذا الحد...ومن هنا جاءت العناية بالبعد السياسي فيها.

على ان صعوبات عديدة تعترض الباحث في هذا المجال لعل اهمها واولها اخفاق الكتاب الاوائل ومن ثم العديد من الباحثين المحدثين في التمييز بين فرق الغلو والباطنية من جهة وفرق الشيعة من جهة اخرى والسبب في ذلك يعود الى تستر هذه الفرق المغالية بالولاء للعلويين والعمل تحت شعارات علوية والادعاء بالانتماء الى الشيعة. وقد لاحظنا خلال هذا البحث كيف كان هؤلاء الغلاة قد حرفوا عقائد الشيعة واخرجوها عن معانيها

وحملوها اكثر مما تحتمل بهدف تحقيق طموحاتهم السياسية ومن اجل استغلال الشيعة لايصال زعماء الغلاة الى السلطة والحكم. وهكذا الصقت بالشيعة مبادىء مثل الوهية الائمة والحلول والتناسخ ليست منها.

اما ثانيها فهو الاخفاق في التمييز بين الشيعة الحركة العربية الاسلامية نشأت في أرض عربية وترعرعت بين العرب المسلمين وتعمل سياسيا وعقائديا في اطار العروبة والاسلام ، وبين التشيع الذي تطور وتعقد على ايدي الموالي الاعجام او في البيئة الفارسية حيث دخلته تعاليم وطقوس ومراتب ليست من التشيع ولا من الاسلام. وقد لاحظنا من خلال هذه الدراسة ان الحركات المغالية والباطنية كانت حسب تسلسلها التاريخي تستقي من تراث الغلاة الذي سبقها وتضيفاليه عقائد ومبادىء جديدة مجوسية او من عقائد الديانات السابقة للأسلام او فلسفية او صوفية حتى غدت هذه العقائد ركاما من السخافات المتناقضة والآراء التي لا تنسجم مع منطق او عقل او شريعة. ولعل خير دليل على ذلك ما تضمنته كتب الفرق من آراء الغلاة وما تضمنته كتب الباب والبهاء والقادياني والخميني من افكار. وقد ادرك المفكرون المسلمون منذ فترة مبكرة حقيقة الارتباط بين الغلو وفئة من الفرس الذين اظهروا الاسلام وابطنوا المجوسية فقد ادان المقريزي وابن حزم الفرس "الذين راموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فراوا ان كيده على الحيلة انجح فاظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا اهل التشيع باظهار محبة اهل البيت .. ثم سلكوا فيهم مسالك شتى حتى اخرجوهم عن طريق الهدى". (١)

واكد البغدادي ان اساس الباطنية هم اولاد المجوس. كما رد عليهم سلسلة متصلة من الفقهاء والعلماء والكتاب المسلمين وفضحوا عقائدهم وكشفوا حقيقتهم للرأي العام الاسلامي. يقول البغدادي (ت ٤٢٩هـ):

"وذكر اصحاب التواريخ ان الذين وضعوا اساس دين الباطنية اولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين اسلافهم ولم يجسروا على اظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الاغمار منهم اسسا صار في الباطن الى تفضيل اديان المجوس وتأولوا ايات القرآن على موافقة اسسهم". (٢)

ويقول الغزالي (ت ٥٠٥هـ) عن الباطنية:

"طائفة انقطعت الدولة عن اسلافهم بدولة الاسلام كأبناء الاكاسرة والدهاقين واولاد المجوس فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم كالداء الدفين فاذا حركته تخاييل المبطلين تأجج نيرانه في صدورهم فاذعنوا لقبول كل حال تشوقا الى ادراك ثارهم."(٣)

ولقد كان الغزالي (رحمه الله) يعيش في عصر يشبه عصرنا من حيث شراسة الهجمة الباطنية على الاسلام والعروبة وقد شعر ان الباطنية تريد هدم الاسلام وتحريفه وادرك ذلك انها تريد تحويل الرئاسة عن العرب.. ولذلك نراه قد افتى بقتلهم واعدامهم "تطهيرا لوجه الارض منهم ومن شرورهم" على حد قوله.

لقد كان الائمة العلويون هم اول من تصدى الى عقيدة الغلاة لانهم اساءوا اساءة بالغة الى الائمة (رض) ونسبوا اليهم صفات واحاديث لا يرتضونها. فقد تبرأ الامام جعفر الصادق من ابي الخطاب زعيم الخطابية المغالية بعد ان اطلع على تعاليمه. وطرد الامام الباقر زعيم المغيرية المسمى المغيرة بن سعيد بعد ان قال له :"أقرر انك تعلم الغيب أجبي لك العراق". وسار الائمة على هذا المنهج في الرد على الغلاة لانهم كانوا يدركون مآربهم الدينية - السياسية الهدامة. فقد قال الامام الحسن العسكري في ابن النصير زعيم النصيرية بعد ان وقف على آرائه المتطرفة من احد اتباعه :(٤)

"اني ابرأ الى الله من ابن النصير النميري وابن بابا القمي فأبرا منهما. واني مخبرك وجميع الموالي ومخبرك اني العنهما - عليهما لعنة الله فتانين مؤذيين اذاهما الله وارسلهما في اللعنة واركسهما في الفتنة.."

لقد اتبعت الدولة العربية الاسلامية والمجتمع الاسلامي بعلمائه وفقهائه ومفكريه اساليب عديدة لمجابهة حركات الغلو والتطرف. فالحركات التي حملت السلاح واشاعت الفتن والاضطرابات وتمردت على الدولة وقابلتها الدولة بقوة السلاح كما لاحظنا ذلك في حركات الغلاة والخرمية والباطنية على التوالي فالسلاح يقابله السلاح.

ولكن من جهة ثانية لم يكن دورالعلماء والمفكرين والفقهاء المسلمين بأقل من قيام الدولة الاسلامية. فلقد ادرك هؤلاء جميعا ان الخطر الذي ولدته

حركات الغلاة والباطنية وما نشرته من آراء لا يكمن فقط في هدم العقيدة الاسلامية بل في تفتيت البنية الاجتماعية للأسلام لما تولده هذه الحركات من شك عبث بالقيم والمعايير الاسلامية والعربية التي بني عليها المجتمع ولما تبثه من روح الحقد والكراهية المذهبية والعنصرية بين فئات المجتمع الواحد.

لم يقف انصار الاسلام الصحيح مكتوفي الايدي ينتظرون ما تقوم به الدولة ـ والواقع ان الدولة اتخذت جملة اجراءات عسكرية وسياسية وادارية وعلمية للحد من نشاط الغلاة ـ بل اتخذوا زمام المبادرة في الرد على الآراء المتطرفة والهدمية من شعوبية وزندقة وباطنية وغلاة. والذي يتصفح تاريخ الفكر الاسلامي يجد سلسلة متتابعة من المفكرين المجاهدين الذين ادركوا ان جهاد الكلمة هو اعظم الجهاد .. سلسلة تبدأ بالائمة الابرار من اهل بيت النبوة وتمر بابي حنيفة ومالك ابن انس والشافعي واحمد بن حنبل والنوبختي والكشي والجاحظ وابن قتيبة والشريف الرضي والغزالي وابن تيمية وتنتهي بالفقهاء والمجتهدين المعاصرين امثال الشريعتمداري والقمي ومهدي روحاني وموسى الموسوي والشهيد صبحي الصالح والشهيد احسان الهي ظهير والشيخ محمد منظور نعماني والعلامة سعيد حوى ومحمد بغدادي وناصر الدين شاه وغيرهم كثير.

ولسنا هنا بصدد ذكر كتبهم ومقالاتهم في كشف زيف حركات الغلو والباطنية فهي معروفة ومدروسة في بطون الكتب المختصة ،(٥) ولكننا في محاولتنا ايجاد الوسائل والاساليب للتصدي للغلاة والباطنية لابد لنا من الاستفادة من خبرات وتجارب اجدادنا في هذا المجال.. فقد برزت حملة فكرية نشطة ومنظمة ومدعومة من قبل الدولة الاسلامية التي شجعت العلماء والفقهاء على الكتابة لتوضيح الدين الحنيف للناس ولفضح اساليب الغلاة في محاولة هدمه وتخريبه وكشف مدى تعصبهم وضيق افقهم ومدى زيف وبطلان نزعة التشكيك بالعقيدة. وهكذا غدت كتابات الباطنية بالمقارنة مع ما كتبه علماء الاسلام جمودا فكريا يتسم بضيق الافق وضعف الحجة ، وهذا ما نريد من علمائنا وفقهائنا في كل العالم الاسلامي ان يقوموا به للكشف عن حقيقة الخمينية الباطنية واهدافها السياسية المستندة على التوسع

والارهاب.

وقد قام اجدادنا بتأسيس مجموعة مدارس ومعاهد عرفت في وقتها بأسم النظاميات لتخريج علماء وفقهاء ومحدثين يفهمون الاسلام الحنيف فهما صحيحا ويتسلحون بالعلم والايمان ، ثم وزعتهم على الاقاليم والمدن الاسلامية لافهام الناس اصول الدين الصحيح وللرد على دعاوى الباطنية .. وما احوجنا الآن الى تعاون دول الاسلام كافة من اجل اعادة تنظيم امثال هذه المعاهد لتخريج صفوف من الائمة والخطباء والفقهاء وعلماء الدين ليكونوا ردءا واقيا في مجتمع المدينة والقرية الصغيرة ضد دعاوى الباطنية المضللين وبذلك يصدق فينا قول رسول الله (ص):

"يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

ولابد من جهة اخرى من التنسيق بين المؤسسات المعنية بالاسلام وتراثه في دول العالم الاسلامي كافة من اجل وضع خطة واسعة لتبسيط كتب التراث الاسلامي والعقيدة التي الفها مفكرونا الاوائل ونشرها بصورة واسعة لجمهور الناس لكي يطلعوا على منجزات مفكرينا في التصدي للغلو والباطنية فاننا نعيش في زمن مشابه لزمانهم من حيث شراسة الهجمة الباطنية على الاسلام واهله. ولابد من تشجيع الباحثين المحدثين على الكتابة عن الخمينية واستقصاء جذورها واصولها الباطنية ومناهجها السياسية الهدمية التوسعية. وان تستخدم هذه البحوث أداة للتوعيه والتوجيه تعرفنا باصالتنا وروح شخصياتنا العربية الاسلامية الغنية بالقيم والمعايير والمثل العليا ومن هنا يستطيع الناشئة ان يفرقوا بين القيم الاسلامية والمعايير التي يحاول الغلاة والباطنية زرعها في المجتمع.

ان خطر الخمينية يشمل عقيدتنا وشخصيتنا ووجودنا كافة اكبر من خطر اية حركة سبقتها لانه خطر يقف وراء دولة تسخر من امكاناتها في خدمة اهداف الخمينية . كما ان هذه الحركة استفادت من اخطاء ونقاط الضعف في الحركات التي سبقتها ولهذا نجدها تعتمد التنظيم والسرية والتدرج في الكشف عن الاهداف حيث انها تظهر خلاف ما تبطن ولا تبدي لكل الفئات حقيقتها المتطرفة الخارجة على الدين الاسلامي الحنيف المعادية للعرب

والطائفية الا بعد التثبت من مواقف هذه الفئات. بل انها اكثر من ذلك تثير في كل فئة من الفئات او مجتمع من المجتمعات آمالها وطموحاتها وتظهر وكأنها تعمل من اجل تحقيق تلك الطموحات وذلك لغرض كسب هذه الجماعات اليها. وكأني بالخميني يطبق وصية عبد الله بن ميمون القداح اليهودي الأصل الباطني العقيدة الذي دخل الاسلام في العصر الجاهلي من اجل هدمه اذ يقول لاحد دعاته: (٦)

"..واشير عليك الا تظهر ما في نفسك للعرب ولا لمن يتعصب لهذا الدين فان هذا الدين قد غلب على الاديان كلها .. والزم التشيع والبكاء على اهل البيت فانك تجد من يساعدك من المسلمين ويقول هذا هو الاسلام. ثم تعمل بعد ذلك في استئصال الاسلام"!!

وليس هناك ابلغ من رد القرآن الكريم على هذه الوصية حيث يقول تعالى:

"واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا دخلوا الي شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون. الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون".

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين "ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا امرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين". (البقرة:٢٨٦).

هوامش الخاتمة:

(١) راجع خطط المقريزي ، ج١ ص٣٦٢. - ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ج٢ ص٩١ كذلك الاسفراييني التبصير بالدين ، ص١٠٩.

(٢) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٢٨٤.

(٣) الغزالي ، نصائح الباطنية ، ص١٨. كذلك ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص١٠٦.

(٤) راجع البغدادي ، ص٣٦ فمابعد. - عبد الحسين العسكري ، العلويون او النصيرية ، ص٤.

(٥) راجع ابن النديم ، الفهرست. - ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة.

فاروق عمر ، مباحث في الحركة الشعوبية. ـ السامرائي ، الغلو والـفـرق الغالية ص١٨٩ـ ٢٠٤. ـ فاروق عمر ، التاريخ الاسلامي وفـكـر الـقـرن العشرين (الفصل الخاص بالزندقة). ـ مكي حمود ، التسلسل البـاطني ص٥ـ٨.

(٦) راجع النص في الخلافة والدولة في العصر العباسي للدكتور محمد حلمي احمد ص١٣٥. عن التصدي للغلاة والباطنية ، راجع كذلك : سميرة الليثي ، الزندقة والشعوبية ، الباب الثالث والرابع. محسن عبد الحميد ، حقـيـقـة البابية والبهائية. ـ محمد البندا ي ، التشيع بين مفهوم الائمة والمفهوم الفارسي. ـ الند وي ، صورتان متضادتان. ـ نعماني ، الثورة الايرانية في ميزان الاسلام ... فاروق عمر ، الدس الشعوبي وأساليب الـرد عـلـيـه ، الرسالة الاسلامية ، بغداد ١٩٨٨.

المصادر الاصلية والمراجع الحديثة:

ابن الاثير	الكامل في التاريخ ليدن ، ١٨٥١ـ١٨٧١م.
الاسفراييني	التبصير بالدين ، القاهرة ١٩٥٥م.
الاشعري	مقالات الاسلاميين ، القاهرة ١٩٥٠م.
الأصفهاني	مقاتل الطالبيين ، النجف ١٣٥٣هـ.
ابن ابي الحديد	شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٩٥٩م.
ابن بابويه القمي	عقائد الشيعة الامامية ، طهران ١٣٧٠هـ.
البغدادي	الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩٤٨م.
ابن تيمية	بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، القاهرة ١٣٢٩هـ.
الجاحظ	البيان والتبيين ، القاهرة ١٣٥١هـ.
	رسائل الجاحظ ، السندوبي ، القاهرة ١٩٣٣.
	ثلاث رسائل ، القاهرة ١٣٤٤هـ.
	الحيوان ، القاهرة ١٩٤٧م.
ابن الجوزي	المنتظم ، حيدر ابار الدكن ، ١٣٥٧هـ.

ابن حزم	الفصل في الملل والاهواء والنحل ، القاهرة ١٣١٧-١٣٢٠هـ.
ابن حنبل	الرد على الجهمية والزنادقة ، القاهرة ١٩٥٦م.
ابن خلدون	المقدمة ، بيروت ١٩٥٦.
الخياط	الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، بيروت ١٩٥٧م.
الدهلوي	مختصر التحفة الاثني عشرية. اختصره الالوسي ، القاهرة ١٣٧٣هـ.
الرازي	اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ١٩٣٨.
الشهرستاني	الملل والنحل ، القاهرة ١٩٤٧م.
الصادق	توحيد المفضل ، النجف ١٣٦٩هـ.
الطبري	تاريخ الامم والملوك ، ليدن ١٨٧٦م.
الغزالي	فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، القاهرة ١٩٦١م.
	احياء علوم الدين ، القاهرة ١٣٦٤هـ.
	فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي.
	المنقذ من الضلال ، بغداد ١٩٨٣.
	معارج التقديس ، بيروت ١٩٧٨.
القمي	المقالات والفرق ، طهران ١٩٦٣م.
الشهيد نظام الملك	سياسة نامة(سير الملوك)،لندن ١٩٦٠ (ترجمة انكليزية عن الفارسية).
الكشي	اخبار الرجال ، بومباي ١٣١٧هـ.
الكليني	اصول الكافي ، النجف ١٩٥٧م.
الملطي	التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ، القاهرة ١٩٤٩م.

ابن النديم : الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة.
النوبختي : فرق الشيعة ، النجف ١٩٣٦.
الديلمي : بيان مذهب الباطنية وبطلانه،مصر ١٩٥٠م.
الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ، تبريز ، ١٣٧١هـ.
المجلسي : بحار الانوار ،طهران ١٣٠٣-١٣١٥هـ.
الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ، بيروت ١٩٦١م.

المراجع الحديثة

آل كاشف الغطاء،محمد حسين : أصل الشيعة واصولها ، النجف ، ط٩.
بدوي ، عبد الرحمن : من تاريخ الالحاد في الاسلام القاهرة ١٩٤٥
البغدادي ، محمد : التشيع بين مفهوم الائمة والمفهوم الفارسي عمان ١٩٨٨.
بليغ ، عبد الحكيم : ادب المعتزلة ، القاهرة ١٩٥٩.
حسن ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام عدة اجزاء ط السابعة ١٩٦٤م.
الدوري ، عبد العزيز : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ١٩٤٩م.
العصر العباسي الاول ، بغداد ١٩٤٥.
دراسات في العصور العباسية المتأخرة بغداد ١٩٤٥.
الجذور التاريخية للشعوبية بيروت ١٩٦٢
الجذور التاريخية للقومية العربية بيروت ١٩٦٢.
التكوين التاريخي للأمة العربية بيروت.
الحيني ، محمد جابر : حركات الشيعة المتطرفين القاهرة ١٩٥٤م
حوى ، سعيد : الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف ، عمان ١٩٨٧م.
حسن ، سعد : المهدية في الاسلام ، مصر ١٩٥٣.
خميني ، روح الله : الحكومة الاسلامية او (ولاية الفقيه)

	القاهرة ١٩٧٩م.
	كشف الاسرار ، عمان ١٩٨٧م.
	تحرير الوسيلة ، مجلدان.
	تحفة العوام مقبول ، لاهور.
خليل ، عماد الدين	التفسير الاسلامي للتاريخ ، الموصل ١٩٨٥
	في التاريخ الاسلامي ، مواقف ودراسات الموصل ١٩٨٥.
	في التاريخ الاسلامي ، فصول في المنهج والتحليل ، بيروت ١٩٨١.
	المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي ، الرياض ١٩٨١.
السامرائي،عبد الله سلوم	الغلو والفرق الغالية ، بغداد ١٩٨٢م.
	الشعوبية ، بغداد ١٩٨٤.
	القاديانية ، بغداد بدون تاريخ.
شرف الدين ، تقي	النصيرية ، بيروت ١٩٨٣.
شقرة ، محمد	شهادة خميني في اصحاب رسول الله ، عمان ١٩٨٥م.
الصالح ، الشهيدد. صبحي	مباحث في علوم القرآن ، دمشق ١٩٦٢م.
	النظم الاسلامية ، بيروت ١٩٦٥م.
	علوم الحديث ومصطلحه ، ١٩٦٥م.
	معالم الشريعة الاسلامية ، بيروت ١٩٨٢
طه ، عبد الحميد	أدب الشيعة ، مصر ١٩٥٦م.
ظهير ، الشهيد احسان الهي	الاسماعيلية ، تاريخ وعقائد ، لاهور ١٩٨٦.
	البابية ، عرض ونقد ، لاهور ١٩٨٤ـ١٤٠٤
	القاديانية ، لاهور باكستان.
	البهائية ، نقد وتحليل ، لاهور ١٩٨٤ /١٤٠٤هـ

عمر ، فاروق — الخلافة العباسية ، بغداد بيت الحكمة ١٩٨٦.

التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ، بغداد ، ١٩٨٥ الطبعة الخامسة .

تاريخ ايران في العصور الاسلامية الوسيطة ، بغداد ١٩٨٨.

الخمينية حركة معادية للعروبة والاسلام.. بالاشتراك مع نخبة من الباحثين بغداد ١٩٨٨.

التحديات التي تواجه الامة. .بالاشتراك مع باحثين آخريين. بغداد ١٩٨٨.

حكام بلاد فارس والعدوان على العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٨.

الشخصية الايرانية ..مع نخبة من الباحثين ، بغداد سنة ١٩٨٨.

الشعوبية ، بغداد ١٩٨٦.

العراق والتحدي الفارسي ، بغداد ١٩٨٧.

طبيعة الدعوة العباسية ، بغداد ، طبعة جديدة ، ١٩٨٨.

تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية، بغداد ١٩٨٨.

فتاح ، عرفان عبد الحميد — دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، بغداد ١٩٦٧.

نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها،بيروت ١٩٧٤.

المظفر ، محمد رضا — عقائد الامامية ، النجف ، بلا تاريخ.

معروف ، بشار عواد — العربية شعار الاسلام واهله،الرباط،١٩٨٦م

فضائح الخمينية ، منشورات منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي. بدون تاريخ.

موقف الشعوبية من فضل العرب الموهوب والمكسوب ، ندوة الد س الشعوبي ، بغداد

١٩٨٨.

الندوي ، ابو الحسن — صورتان متضادتان ، الهند ١٩٨٥.

نعماني ، الشيخ محمد منظور — الثورة الايرانية في ميزان الاسلام ، القاهرة ١٩٨٦م.

النشار ، علي سامي — نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، القاهرة ١٩٦٢ (جزءان).

الموسوي ، موسى — الثورة البائسة ١٩٨٣ ، لوس انجلس. امريكا

الشيعة والتصحيح ، ١٩٨٧ لوس انجلس.

الشيبي ، كامل مصطفى — الصلة بين التشيع والتصوف ، بغداد ١٩٦٣

الفكر الشيعي والنزاعات الصوفية ، بغداد ١٩٦٦.

محمد بهجت الاثري ، — السلام والاسلام ، منشورات منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي.

نهج خميني في ميزان الفكر الاسلامي. — نخبة من الباحثين ، دار عمار عمان ١٩٨٥

خميني داعية ضلالة خارج عن الاسلام. — منشورات المؤتمر الاسلامي الشعبي ، ١٩٨٧

عبد الحميد ، د. محسن — حقيقة البابية والبهائية ، دار الصحوة القاهرة ١٩٨٥.

الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، مجلة كلية الدراست الاسلامية بغداد ١٩٧٠.

سلسلة الرسائل البيضاء ، بغداد ، بيروت.

الليثي ، سميرة — الزندقة والشعوبية ، القاهرة ١٩٦٨.

العسكري ، عبد الحسين — العلويون والنصيرية ، بلا تاريخ او مكان نشر .

شاه ، ناصر الدين — العقائد الشيعية ودجال القرن العشرين ، ١٩٨٧.

العمري ، موفق مصطفى — مجموعة دراسات مسلسلة عن البابية والبهائية والماسونية ، بغداد.

العقيلي ، محمد ارشيد — الشيعة ، نشأتها وتطورها ، عمان ١٩٨٠

رؤوف ، عماد عبد السلام — الشعوبية في العصر الحديث. الندوة الفكرية حول التحديات ، نقابة المعلمين المركزية ١٩٨٧م.

حمود ، مكي خليل — التسلل الباطني في العراق ، اطروحة ماجستير بكلية الآداب/جامعة بغداد ١٩٨٧

فروج ، عمر — الاسلام على مفترق الطرق ، بيروت.

الميرزا حسين البهاء — الأقدس (منشور ضمن كتاب البابيون والبهائيون للحسيني).

الايقان (منشور ضمن كتاب البابيون والبهائيون للحسيني).

الحسيني ، عبد الرزاق — البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم ، بغداد.

القزويني ، محمد — البهائية في الميزان ، بدون تاريخ.

الميرزا علي محمد الشيرازي — البيان (نصوص منه منشورة في كتاب حقيقة البابية ، محسن عبد الحميد).

عثمان ، فتحي — التاريخ الاسلامي والمذهب المادي في التفسير ، الكويت ، ١٩٦٢.

صبحي ، احمد محمود — في فلسفة التاريخ ،الاسكندرية بلا تاريخ

نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية. مصر ، بلا تاريخ.

الخفاف ، عبد علي وآخرون — الاحوال الديموغرافية في ايران ، البصرة ١٩٨٧.

ابو مغلي ، محمد وصفي — ايران ..دراسة عامة ، البصرة ١٩٨٥.

كوتام ، ريتشارد — القومية في ايران ، جامعة بتيسبرك ١٩٦٤ (مترجم للعربية).

الاحسائي ، احمد — حياة النفس
الرشتي ، كاظم — اصول العقائد ، بلا تاريخ.
قاسم ، محمود — دراسات في الفلسفة الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧.
رونلدسن ،د. — عقيدة الشيعة (مترجم) دون تاريخ ، مصر
شريعتي ، د.علي — التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ١٩٧٣ (مترجم).
غالب ، مصطفى — الحركات الباطنية في الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ.
حتي ، فيليب — الدروز ، المجتمع والعقيدة.. (بالانكليزية)
مايكل فيشر — ايران من الصراع الديني الى الثورة ؛
ولهاوزن ،ي — احزاب المعارضة السياسية..الكويت ١٩٧٦
الوردي ، د.علي — لمحات من تاريخ العراق الحديث ، بغداد ١٩٦٩ عدة اجزاء.
الجابري ، علي — الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية ، بيروت ١٩٧٧.
الاعظمي ، وليد — الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والافكار الفاسدة ، دارعمار ١٩٨٨ عمان.
نخبة من الباحثين — النصيرية حركة هدمية (بحوث الندوة الفكرية لكلية الشريعة ١٩٨٥) .
نخبة من الباحثين — ولاية الفقيه..الواقع والابداع (بحوث الندوة الفكرية لكلية الشريعة ١٩٨٨).
الراوي ، عبد الستار — الفكر الديني الايراني المعاصر ، بغداد ، ١٩٨٢ــ ولاية الفقيه ، مجلة الامن القومي ، ١٩٨٤
مغنية ، محمد جواد — خميني والدولة الاسلامية ، بيروت ١٩٧٩.
العمر ، عبد الجبار — الخمينية بين الدين والدولة ، آفاق عربية ، بغداد.

نبذة عن السيرة العلمية للمؤلف

- ولد الدكتور فاروق عمر حسين فوزي في ٦ حزيران من عام ١٩٣٨ في مدينة الموصل في العراق.
- حصل على البكالوريوس بدرجة الشرف من قسم التاريخ جامعة بغداد سنة ١٩٥٩ وحصل على الدكتوراه من معهد الدراسات الشرقية والافريقية من جامعة لندن سنة ١٩٦٧ وكان موضوع اطروحته الخلافة العباسية ١٣٢هـ - ١٧٠هـ.
- عين مدرسا للتاريخ الاسلامي بكلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٦٧ ونال مرتبة الاستاذية بالتاريخ الاسلامي بجامعة بغداد سنة ١٩٧٩ وحصل على وسام المؤرخ العربي سنة ١٩٨٥.
- تدرج في مناصب ادارية وعلمية مختلفة منها:-

مدير للدراسات الاجتماعية والادبية بوزارة التعليم العالي ١٩٧٤ - ١٩٧٥.

سفير بديوان وزارة الخارجية العراقية ١٩٧٦.

رئيس لقسم التاريخ بجامعة بغداد كلية الآداب ١٩٧٨ - ١٩٨٠ - ١٩٨٥ - ١٩٨٦. محاضر في التاريخ الاسلامي في جامعة لانكاستر بانكلترا (معهد الدراسات العربية الاسلامية) ١٩٧٧-١٩٧٨. مشرفا عاما لدار الحكمة بجامعة بغداد ١٩٨٦.

- اعيرت خدماته الى جامعات عربية حيث حاضر باقسام التاريخ فيها وفي جامعة الرياض وجامعة الامارات العربية المتحدة. واختير عضوا بمجلس كلية الآداب بجامعة الامارات ممثلا للأساتذة بالمجلس.
- حاضر في مواد عديدة من مواد التاريخ الاسلامي عبر مشواره في الجامعات المختلفة منها: التاريخ العباسي . الحضارة العربية الاسلامية. النظم الاسلامية . تاريخ الخليج في العصور الاسلامية . تاريخ الاسلام في المشرق . تاريخ الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة . تاريخ فلسطين في العصر الاسلامي . منهج البحث التاريخي.

- شارك في وضع مناهج كتب التاريخ الاسلامي للمدارس المتوسطة والثانوية بالعراق وبتأليف كتب منهجية لهذه المدارس. كما شارك في وضع مناهج المواد التاريخية وتوصيفها لاقسام التاريخ بالجامعات العراقية وتأليف كتب منهجية لبعض موادها.
- حاضر بقسم الدراسات العليا (التاريخ) بجامعة بغداد على طلبة الماجستير والدكتوراه كما اشرف على عدد من اطروحات الماجستير والدكتوراه بالجامعة. وشارك في مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- شارك في مؤتمرات تاريخية متخصصة منها: المؤتمر الدولي التاريخي في بغداد ١٩٧٣. ومؤتمر مركز الدراسات الفلسطينية حول الصهيونية في بغداد سنة ١٩٧٤. ومؤتمر مصادر الجزيرة العربية بالرياض ١٩٧٦. ومؤتمر العالم الاسلامي بلندن سنة ١٩٧٥. وندوة اعادة كتابة التاريخ ببغداد سنة ١٩٨٠. والمؤتمر الدولي لاخرام وحنين بن اسحق العبادي ، مجمع اللغة السريانية ، بغداد سنة ١٩٧٥ ومؤتمرات جامعة اكستر عن الخليج العربي ١٩٨٥-١٩٨٦ ، وندوة الأمن القومي العربي ، بغداد ١٩٨٥ وندوة الفكر القومي والتراث ، بغداد ١٩٨٥ . وندوات الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط ١٩٨٧-١٩٨٨.
- شارك في كتابة عدد من المقالات في دائرة المعارف الاسلامية والموسوعة الفلسطينية ودائرة المعارف البريطانية وموسوعة حضارة العراق. وموسوعة الجيش والسلاح وموسوعة العراق في ركب الحضارة الاصالة والتأثير.

* الفهرست *

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٥٢٩ لسنة ١٩٨٨

